

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 60 APRIL 1982.

العدد (٦٠) - جادى الآخرة ١٤٠٢ هـ السنة الخامسة - نيسان (أبريل) ١٩٨٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

العدد ١٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ السنة الخامسة - نيسان ١٩٨٨ م

فُہذ العدد

٤	من كتاب هذا العدد
٥	الحركة الثقافية في شهر
١٩	حوار عن وحدة النصير في القرآن .. د. عماد الدين خليل
٢٢	حلوة العينين (قصيدة) .. د. محمد رضا آل صادق
٢٣	قضية الحرية في الأدب العالمي .. د. ليلى راغب
٢٨	بين الفكر العمودي والفكر الإبداعي .. د. سعد الحاج بكري
٣٠	ديوان المظالم أو القضاء الإداري في الإسلام .. د. عامر الخطيب
٣٥	القيطرة الحرة .. (مدينة وتاريخ) .. د. فيصل محمد شقير
٤٥	كمبوديا .. (من عادات الشعوب) ..
٥١	الدكتور عبد الحميد بونس (لقاء مع) .. د. مصطفى عبد الله
٥٥	الغلق في الشعر العربي الحديث .. د. سعد دعيبس
٦٢	الكلمات العربية في اللغة الصربوكروانية .. د. جمال الدين سيد محمد
٦٧	بين شاعرين (البحيرة) لأمارتين - علي محمود طه ..
٧٢	مكافأة الأمية في الواقع العربي (عام الكبار الدولي) .. د. لطفي بركات أحمد
٧٤	تلفزيون أم عذرات ؟! .. د. عبد الرحمن حميدة
٨٠	بوانتاساتوس .. شاعرة يونانية بروح إغريقية .. د. نعيم عطية
	فن رواية القصة (رحلة في كتاب)
٨٣	تأليف : ميبيا زرين جرهاردت .. د. عبد الوهاب علي الحكيم
٨٨	طاهر زعشري (مطالعات في الكتب) .. د. يوسف بول
٩١	الكتيريا في خدمة البشرية (موضوع خاص) .. د. هشام سليمان أبو عودة
٩٩	طاقة لوزن الخيوة : معاودة بين جمال كلاي وجورج ليون .. د. عباس الصراف
١٠٣	الزوجة الثانية (قصيدة) .. د. إبراهيم عيسى
١٠٤	امرأة جالسة (الرحلة ولقاء) .. د. جون مبرو
١٠٧	الأقنعة (قصيدة) .. د. أحمد مرفت عبيد
١٠٨	مكنة السيرة الشعبية .. د. يوسف الشاروني
١١٤	الملكة أروى الصليحية .. د. عارف تامر
١١٧	النفط وأثره على التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة أسامة فوزي
١٢٣	هل يمكن تحويل شواطئ الجزيرة العربية إلى غابات ؟ .. د. محمود عبد القوي زهران
١٢٦	الخوت .. د. أحمد محمد غندور
١٣١	همس الوداع (قصة قصيرة) .. د. هدى جاد
١٣٤	الفعل اللازم والفعل النعدي (قصة قصيرة) .. د. عبد الكريم مصطفى شنبه
١٣٦	سحكة القرش (قصة قصيرة) بقلم : مارك نويل .. د. باسر الفهد
١٣٩	دائرة المعارف (الغاب) ..
١٤٣	منقشات وتعليقات ..
١٤٨	مع الأصداق ..
١٥٢	سابقة مجلة الفیصل ..



★ اعتادت «الفصل» أن تصبح من حين لآخر إلى بعض بلاد الله لتنقل لك صورة سريعة عنها من خلال الصورة، مركزة على العادات التي تمثل أبرز المظاهر الإنسانية .. في هذا العدد تعال معنا إلى «كمبوديا». ص (٤٥) ★



★ الخوت .. عالم له تكوينه ومظاهره .. كيف تعترف عليه الإنسان .. وأمور أخرى تطالعها على ص (١٢٦) ★



★ هل يمكن تحويل شواطئ الجزيرة العربية إلى غابات ؟ سؤال يطرح قضية هامة تحمل صورة مستقبل جديد .. طالع ص (١٢٣) ★



إبراهيم عيسى

- ★ من مواليد القاهرة عام ١٩٢٧ م.
- ★ بكالوريوس تجارة عام ١٩٤٩ م.
- ★ يعمل مديراً عاماً للتفرغ بالجلس الأعلى للثقافة.
- ★ له خمسة دواوين لم تطبع بعد.
- ★ نشر كل شعره في الصحف والمجلات.
- ★ عضو اتحاد الكتاب.
- ★ حصل على الميدالية الذهبية عن الشعر من المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٧٣ م.



عامر الخطيب

- ★ من مواليد دمشق - سورية عام ١٩٣٨ م.
- ★ إجازة في الحقوق، دراسة عليا في الإدارة العامة.
- ★ عمل موظفاً في بنك مصر بحلب، ثم مدرّساً في المدارس الإعدادية، ثم رئيساً لدائرة العلاقات المصرفية في إحدى الشركات، ثم تنقل في عدة وظائف.
- ★ يعمل حالياً قاضياً في مجلس الدولة بسورية.
- ★ شارك في عدد من المؤتمرات.
- ★ يشارك بالكتابة في عدد من المجلات والصحف العربية.
- ★ عضو رابطة الحقوقيين بدمشق، وعضو الندوة العربية للفنون والآداب بدمشق.



د. عباس الصراف

- ★ من مواليد كربلاء - العراق عام ١٩٣٠ م.
- ★ دكتوراه في تاريخ الفن والنقد.
- ★ يجيد اللغات الفرنسية والإنجليزية والفارسية.
- ★ عمل أستاذاً لتاريخ الفن.
- ★ له عدد من المؤلفات حول الفن والنقد الفني.
- ★ له اهتمام برسم اللوحات الزيتية.



د. عبد الوهاب الحكي

- ★ من مواليد الطائف - المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٨ م.
- ★ دكتوراه في الأدب الإنجليزي، والأدب المقارن.
- ★ يجيد الإنجليزية والفرنسية.
- ★ عمل رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية، كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- ★ يعمل حالياً عميداً للقبول والتسجيل بجامعة أم القرى.
- ★ عضو نادي مكة الثقافي.
- ★ له دراسات نشرت في المجلات العربية والعالمية.



أسامة فوزي

- ★ من مواليد الزرقاء - الأردن عام ١٩٥٠ م.
- ★ بكالوريوس آداب.
- ★ عضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو مؤسس في أسرة القلم الأردني، ومسؤول

- الشؤون الثقافية والصحفية في اتحاد الكتاب الصحفيين الفلسطينيين في الإمارات العربية.
- ★ له بعض الأعمال المطبوعة في الدراسة.
- ★ شارك في عدد من المؤتمرات العربية.

• • من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق • •

• في الوطن العربي •

- جوائز لدعم حركة التأليف والتعريب في الوطن العربي .
- مشروع إنشاء مؤسسة عالمية إسلامية للنشر والتوزيع .
- وفاة الدكتور أحمد سوسة ، والأديب نجيب العقيقي ، وحسين القباني .
- معرض تاريخي عن مدينة «طرابلس» بلبنان .
- معارض للكتب في كل من السعودية وتونس .
- وفاة شيخ الأزهر ، والأديب محمد عبد القادر ، وعميد الأدب السوداني .

• في العالم •

- ترجمة قصص عربية إلى الرومانية .
- معرض فني عربي في ألمانيا الغربية .
- وفاة مؤرخ الفن الفرنسي «فرانسواز هنري» والناقد المسرحي «جيل ساندييه» .
- معرض فني «ياباني» كبير يُقام في بريطانيا .
- معرض أثري سوري يُقام في ألمانيا .



★ د. أحمد عبد القادر الهندس ★

★ د. د. عزي غصبي ★

★ الشيخ حسن عبد الله الشيع ★

السعودية

مؤسسة إسلامية للنشر والتوزيع

تنفيذاً لمقترحات مؤتمر الإعلام الإسلامي الذي عقد في (جاكرتا) العاصمة الأندونيسية وذلك خلال العام الماضي ، ومن ضمن تلك المقترحات إنشاء «مؤسسة عالمية إسلامية للنشر والتوزيع والتسويق والإنتاج الفني» ، لذلك فقد عقدت الهيئة التأسيسية الخاصة بإنشاء تلك المؤسسة اجتماعاً لها في مكة المكرمة ، وقد أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي أنه سيتم دعوة أكثر من (١٣٠) دار نشر وتوزيع في العالم الإسلامي .

ومما هو جدير بالذكر أن هذه المؤسسة إذا بدأت عملها الفعلي ، فإنها ستقدم خدمات كبيرة من أجل نشر الكتاب والمطبوعات الإسلامية في أنحاء العالم ، وستسد بالتالي الفراغ الحاصل في هذا المجال .

في تأليف وإعداد الكتب والمواد التعليمية الخاصة بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في دول الخليج ، وقد عقدت تلك الندوة خلال الفترة من ٥ - ٧ جمادى الأولى من عام ١٤٠٢ هـ ، شارك فيها عدد من الخبراء المختصين في كل من معهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود ، ومعهد اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير العرب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وكلية الآداب بالجامعة المستنصرية بالعراق ، ومركز اللغات بجامعة الكويت ، ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان ، ومعهد بورقيبة للغات الحية بالجامعة التونسية . هذا وقد نوقشت في هذه الندوة عدة موضوعات وذلك بهدف التوصل إلى صيغة موحدة بصدد تأليف كتب جديدة في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

ندوة عن مكتب التربية

أقيمت بصالة معهد الإدارة العامة بالرياض تحت إشراف وتنظيم النادي الأدبي بالرياض ، ندوة موضوعها «مكتب التربية العربي لدول الخليج ودوره في التنسيق الثقافي بالمنطقة» اشترك فيها كل من الدكتور أحمد عبد القادر المهندس ، والدكتور عبد الله الجبوري ، والدكتور عبد الرؤوف العاني ، وأدارها صالح السويدان من الإذاعة . هذا وقد حضرها جمع من المهتمين .

معرض الفن السعودي المعاصر

أقيم في الرياض تحت إشراف وتنظيم الرئاسة العامة لرعاية الشباب «المعرض الرابع للفن السعودي المعاصر» وذلك بصالة العرض بمبنى الرئاسة ، اشترك فيه عدد كبير من الفنانين التشكيليين ، وعرض فيه (٢٥٠) عملاً فنياً بين رسم وتصوير ومختلف فروع الفنون التطبيقية ، التي عبّرت عن فكرهم وعن مظاهر البيئة والعادات والتقاليد في المملكة ، كما عولجت في بعض اللوحات حياة الصحراء والنواحي المعاصرة برؤية جديدة . هذا وقد رصدت للمعرض جوائز تشجيعية وجوائز اقتناء ، حيث وزعت أخيراً على الفائزين بها ، مع العلم بأن المعرض استمر عشرة أيام ، حيث افتتح في يوم الثلاثاء ٧ جمادى الأولى وانتهى يوم ١٦ من الشهر نفسه .

معرض للكتاب الإسلامي بالرياض

تقيم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خلال الفترة من ٤ إلى ١٣ جمادى الآخرة معرضاً للكتاب الإسلامي وذلك تحت إشراف وتنظيم عمادة المكتبات بها ، والهدف الرئيسي من إقامة هذا المعرض التعريف بالجديد في الإنتاج الفكري في مجال الدراسات الإسلامية المنشور باللغة العربية واللغات الأخرى . هذا ويشارك فيه عدد من دور النشر المحلية والعربية . وبمناسبة إقامة هذا المعرض ستنظم العمادة ندوات لبحث المشكلات التي تواجه الكتاب الإسلامي ونشره وذلك بالاشتراك مع المعنيين بقضايا التأليف والنشر .

معرض للكتاب

اهتماً بالثقافة ونشرها على جميع المستويات فقد أقيم المعرض الرابع للكتاب «بدار الكتب الوطنية بالرياض» ، حيث استمر عشرة أيام عرضت فيه أحدث الكتب . واشتركت فيه مجموعة من دور النشر المحلية وكان تحت إشراف وتنظيم وزارة المعارف .

ندوة للمختصين في تأليف الكتب

نظم مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ندوة للخبراء والمختصين

كلمة

مرض القصيدة العربية المزمن!!

والهموم الخاصة للإنسان العربي الشاعر هي التي تفرض نفسها عليه وتجعله أسير واقعه الممتلئ «تعاسة» .

● يضاف إلى هذا .. أن خبرات الشاعر العربي ما تزال ضحلة ، لأنه يواجه نفسه بقوالب شعرية تنظم حتى أفكاره وعواطفه ، وتحرمه من التحرك خارج إطارها التقليدي .

● ولا أعني بذلك أن «الوزن» و «القافية» في حد ذاتها يعتبران بمثابة قيدين يجبران عليه التفكير والتحليق في عوالم أخرى .. ولكنني أقصد بذلك .. عدم معاشرته لثقافات وتجارب ، ومعاناة الغير .. وتعوده عليها .. وتمازجه معها .. واستجابته لعطائنها الزر .

● ولو حدث شيء من هذا .. لأخذت القصيدة السياسية (مثلاً) موضعاً بارزاً من اهتماماته في وطن كل ما فيه جريح .. وفي مجتمعات تعاني كثير من الظلم والاضطهاد ، واستبداد القوى الأجنبية المتسلطة عليها .

● فهل يتحرك الشاعر العربي خارج قوقعته .. ليعيش العالم بكل همومه .. ومآسيه .. ويتفاعل مع قضاياها وتجاربها وخبراته المتجددة؟! .

هاشم عبده هاشم
جدة

● يتراوح «المضمون» الفكري للقصيدة العربية .. بين مرارة الشكوى ولوعة الفراق .. ولذة «الحب» ومآسيه .

فأنت لا تواجه مشكلة عند دراستك «ها» .. بحكم تمحورها حول هذه المضامين ، أو على الأصح .. حول هذا المضمون الواحد .

يحدث هذا في الوقت الذي يتجاوز فيه الشعراء في أي مكان من هذا العالم .. بمن فيهم الشعراء «الأفارقة» هذا الإطار المحدود .. فتأتي قصائدهم .. ممثلة للحياة بكل ما تنطوي عليه من خير وشر ، وطبيعة ومشاعر ، ومعبرة عن مختلف الأوضاع والظروف ، سياسية كانت أو اجتماعية أو إنسانية .

● ولذلك فإن «القصيدة» في خارج الوطن العربي تأخذ أكثر من قالب .. فضلاً عن تعدد المضامين التي سنتناولها .. وهي مضامين عميقة .. ومؤثرة .. وذات دلالة عالمية .. في الوقت الذي يتحرك فيه الشاعر العربي في إطار البيئة المحلية «الغنية» بالهموم .. الذاتية وبالفوارق الخاصة .

● وبالتأكيد .. فإن طبيعة الظروف الفكرية والمناخات السياسية ،

نحو مجتمع أفضل

ذلك هو اسم السلسلة الجديدة التي نشرتها شركة «دلة أفكو عبر البلاد العربية» وذلك تحت إشراف العلاقات العامة بمؤسسة «تهامة» ، وهي سلسلة للأطفال ، تهدف إلى توعية الطفل ، رجل الغد ، وترشيد السلوك الاجتماعي لهم بما يتمشى مع الآداب الإسلامية وتقاليده المملكة العربية السعودية ، ويشارك في إعدادها كتّاب مسلمون متخصصون في فن الكتابة للطفل . هذا وقد صدرت من هذه السلسلة التي تحمل عنوان «نحو مجتمع أفضل» مجموعة كتيبات منها «مغامرة في الحافلة» ، «حفلة لا تنسى» ، «حاجة بسيطة» ، «عالم كبار كبار» ، «مباراة لا تنسى» من إعداد يعقوب إسحاق .

الرد على المستشرقين في مجلد

عقد في الرياض وبمكتب التربية العربي لدول الخليج اجتماع للجنة المكلفة بوضع وإصدار مجلد يكشف عما جاء في كتب المستشرقين من تحريف للحقائق الإسلامية ، وقد أقرت في هذا الاجتماع الخطوات اللازمة لإصدار ذلك المجلد . ضم الاجتماع ممثلين عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ورابطة العالم الإسلامي ، والأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومكتب التربية العربي لدول الخليج .

سلسلة كتب جديدة

استحدثت «تهامة» للنشر والتوزيع سلسلة جديدة وذلك ضمن سلاسل إدارة نشرها ، هذه السلسلة ستكون الثامنة تحت عنوان «سلسلة الكتاب اليمني» وسيكون أول كتبها :

★ «وللخوف عيون» ، مجموعة قصصية تأليف أحمد شريف الرفاعي .

★ «ملاح وأفكار مضيئة» ، تأليف أحمد شريف الرفاعي .

هذا وستليها مجموعة من الكتب بمختلف مجالات المعرفة لنخبة من الأعلام اليمنية المعروفة .

* كتب جديدة *

● «الأديب وموقفه من الحدث التاريخي والنضالي» ، تأليف علوي طه الصافي رئيس تحرير «الفصل» ، صدر عن نادي جازان الأدبي .. وهو عبارة عن محاضرة ألقاها بدعوة من النادي المذكور .

● «تاريخ القضاء .. في المملكة العربية السعودية» ، تأليف معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، سيصدر بالرياض .

● «الحمى» ، ديوان شعر للدكتور غازي القصيبي ، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات» ،
تأليف الدكتور محمد فتحي عبد الهادي ، صدر عن دار المريخ
 بالرياض .

● «قواعد تحويلية للغة العربية» ، تأليف الدكتور محمد علي
الخولي ، صدر عن دار المريخ بالرياض .

● «قضايا ومشكلات لغوية» ، تأليف أحمد عبد الغفور عطار ،
صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .

● «التصنيع والاستخدام الاقتصادي» ، تأليف هنري
ساوري ، صدر عن دار المريخ بالرياض .

● «أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك» ، تأليف
الدكتور علي عبدالله اندفاع ، صدر في الرياض .

● «صراع على المحيط» ، رواية سيدني بونس ، ترجمة



★ د. أحمد عبد الرحمن ★

● «لغات من التاريخ الإفريقي الحديث» ، تأليف الدكتور أحمد

دياب ، صدر باللغة العربية عن دار المريخ بالرياض .

● «الفهرسة الوصفية للمكتبات» ، تأليف الدكتور شعبان

خليفة ، صدر عن دار المريخ بالرياض .

يموت سنوياً في الولايات
المتحدة أكثر من (٣٠) ألف
طفل من جراء التسمم
بالمواد الكيميائية المستعملة
في البيوت (المواد القاتلة
للحشرات والمنظفات
الكيميائية والأدوية
إلخ ...).

وعلى الرغم من عدم وجود
إحصائيات رسمية في البلدان
العربية موثوقة عن نسبة الوفيات
في التسممات ، إلا أنها بالتأكيد
نسبة مرتفعة بفعل غياب الوعي
الصحي أولاً في كثير من الأسر ،
وثانياً غياب الخدمات الصحية
الفعالة العامة في مجال إسعافات
التسممات . وهنا تبرز أهمية الثقافة
الطبية الخاصة على مستوى الأسرة
التي تلعب دوراً كبيراً في إنقاذ
أعداد لا بأس بها من أطفالنا ،
فلذات أكبادنا ، ... وهؤلاء
أرباب الأسر أكتب هذا الموضوع
الهام .

مثلاً يحتفظ كل منا في بيته
بدفتر «جيب» يسجل فيه أسماء
وأرقام تلفونات وعناوين
الأصدقاء ، والأقرباء ، والمخلات
والبقاليات التي يتعامل معها يومياً ،

الإسعاف الأولي لأعراض
التسممات الدوائية
والمواد الكيميائية



إجراءات الإسعاف الأولي

بادئ ذي بدء لا تضع وقتك
في البحث عن سبب التسمم ،
أو نوع المادة السامة ؛ فالوقت هنا
هو الذي يقرر حياة المريض .
عليك أن تراقب حالة
المتسمم ... هل يتنفس أم
لا ؟ هل هو في حالة سبات ؟
هل المادة المسممة قد تم استنشاقها
(دخان ، غاز إلخ ...) أم أنها
متناثرة ملتصقة على سطح
الجلد ... أم دخلت العين ؟ .
إذا كان المريض مصاباً بزلّة
تنفسية (عسر تنفس) باشر على
الفور بممارسة التنفس الاصطناعي
حسباً هو مبين أدناه :

(١)

انزع من فم المريض أي شيء موجود فيه .

(٢)

قوم رقية المريض ورأسه ومن ثم أرفع رقبته
قليلاً ، أما الرأس فاخفضه إلى الوراء قليلاً
للمساعدة على فتح المسار التنفسي .

(٣)

اضغط على منخرينه المغلقين ومن ثم انفخ
بقوة في فمه .

(٤)

استمر في النفخ بقوة في فمه حتى ترى صدر
المريض وقد ارتفع (امتلا بأنفاه) .

كذلك من الضروري أيضاً أن
نسجل عناوين المشافي الخاصة
وأرقام تلفوناتها ، وكذلك
عناوين الأطباء الذين يقبلون
تقديم الخدمات الإسعافية عند
الطوارئ . ففي حالات الإسعاف ،
كثيراً ما نخوننا ذاكرتنا حتى بتذكر
اسم الطبيب المناسب أو اختيار
المشفى الملائم لنقل المريض المصاب
بالتسمم إليه .

فلاضطراب النفسي والارتباك
في حالة الطوارئ يشلان التفكير
السليم واتباع الطريق الأنصر
والأسرع للإسعاف .

كذلك من المناسب أن تحتفظ
في البيت ، من جملة الأدوية التي
ندخرها ، بدواء مقيء نستعمله
على التو عند التسمم وذلك
لإجبار المتسمم على التقيؤ
بشرط استشارة الطبيب أولاً بالهاتف
بعدما نشرح له باختصار نوع المادة
السمية (إن أمكن معرفتها) . .
وحالة المريض .

أنت بحاجة إلى مساعدة
المتسمم على التنفس بطريقة
التنفس الاصطناعي (الزفير في فم
المريض MOUTH-TO-MOUTH
BREATHING) . فهذا التكنيك
قد يكون أهم عمل حاسم تقوم به
في حياة المريض .



* د. عبد الله الدوع * * عبد الله حبيفة *

● «الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية - ١٢١٥ - ١٣٥١ هـ»، تأليف عبد الله أبو داهش، صدر عن دار الأصالة بالرياض.

● «ذوق الطلاب في علم الإعراب»، تأليف محمد أحمد الحفظي، تحقيق عبد الله محمد أبو داهش، صدر عن مطابع الشريف بالرياض.

● «واستوت على الجودي»، ديوان شعر للشاعر الدكتور أسامة عبد الرحمن، طبع بالمطابع الأهلية للأوقفت بالرياض.

● «منوعات شعبية»، مجموعة قصص وقصائد قام بجمعها وإعدادها الشيخ سعد بن محمد بن نفيسة، صدرت عن دار الوطن للنشر بالرياض.

الدكتور حسن محمد الشباع، صدرت عن مؤسسة دار الوطن للنشر والتوزيع بالرياض.

● «مبادئ علم الجغرافيا»، تأليف الدكتور محمد بن والدكتور طه الفراء، صدر عن دار المريخ بالرياض.

في أثناء ذلك استدع الإسعاف على التوبدون أن تتوقف عن ممارسة التنفس الاصطناعي، إذ من الأهمية بمكان أن يظل جهاز التنفس يقوم بوظيفته للإبقاء على حياة المريض.

إذا كان المتسمم فاقد الوعي (السبات التسممي)، أو مصاباً بنوبة اختلاجية، اطلب الإسعاف على التومع ممارسة التنفس الاصطناعي إذا كان المريض يعاني من زلة تنفسية. في حال دخول المادة السامة إلى العين، افتح الجفنين واغسل كرة العين بمياه نقية معتدلة الحرارة لمدة ١٥ دقيقة على الأقل.

إذا كانت المادة السامة موجودة على سطح الجلد، باشر بإزالتها بالماء النقي واغسل الجلد بالصابون والماء.

في حال احتفاظ المريض بوعيه وبتنفسه الطبيعي ولم تظهر عليه أعراض التسمم بعد، يجب والحالة هذه إجباره على تناول الماء أو الحليب إذا كان في مقدوره أن يبلع. إذا تم التأكد أن المريض ابتلع السم حينئذ حاول التعرف على المادة السامة وأخبر الطبيب على الفور، واستشره فيما إذا كانت المادة

المقيئة تنفع في هذه الحالة. نحذر من حث المريض على التقيؤ إذا كان فاقد الوعي، أو كان في حالة اختلاج أو لا يستطيع البلع، أو بلع مادة حمضية.

كيف نحت المريض على التقيؤ؟

إن أفضل وسيلة آمنة لحت المريض على التقيؤ هي إعطاء شراب IPECAC (حشيشة الأبيكاك). وإذا فشلت هذه الوسيلة فلا بد والحالة هذه من نقل المريض فوراً إلى المستشفى. وعلينا أن نعلم أن ترك مادة IPECAC في المعدة بدون تقيؤها، فهي كافية لوحدها لإحداث التسمم.

إذا لم تتوفر المادة المذكورة فيمكن أن تضع في فم المريض الماء أو الحليب مع سده بالإصبع. نحذر من استخدام الماء المالح أو أية مادة مخرشة.

وعلى العموم سواء تقيأ المريض أم لم يتقيأ فلا بد من استدعاء الطبيب أو الاتصال به سعيًا وراء تعلقاته. نذكر بضرورة الاحتفاظ بعلمة المادة التي تسمم بها المريض كما تعرضها على الجهة المسعفة.

الإسعاف الأولي للتسمم النوعية

١ - مادة الحموض والأسس (القلوية) (عن طريق الفم):

يتم إعطاء المتسمم كميات كبيرة من الماء أو الحليب. يستدعى الطبيب.

٢ - المواد المنظفة (التسمم عن طريق الفم):

بعض هذه المواد تسبب الإقياء، وبعضها الآخر تحدث حروقاً في غاطية الفم والحنجرة. يعطى المتسمم الماء والحليب. يستدعى الطبيب.

٣ - المواد التجميلية: أيضاً إعطاء الماء والحليب. يستدعى الطبيب.

٤ - مواد: البترول ومشتقاته:

تحدث هذه المواد السعال الشديد، والحس بالاختناق، ولم في الرئة، وكذلك الاختلاج. يعطى المريض التسمم الحليب أو الماء. يستدعى الطبيب على الفور.

٥ - لدغ الحشرات: علاج المنطقة المصابة المأروفة «بكمادات» مبللة بالماء البارد. إذا

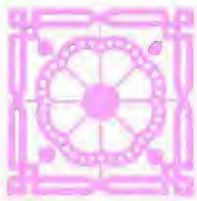
ما استمر الألم، وتفاقم الورم والاحمرار وازداد سوءاً. حينئذ استدع الطبيب. إذا ما أغمي على المصاب وتضاءل التنفس يسعف على الفور بالتنفس الاصطناعي كإجراء أولي مع طلب الطبيب. ٦ - المواد القاتلة للحشرات:

أولاً يتم سحب المتسمم من المنطقة التي تسمم فيها. يغسل جلده بالماء وتزع عنه الألبسة الملوثة بالمواد السامة. في حال التسمم عن طريق الفم يعطى المريض على الفور الحليب أو الماء. استدع الطبيب على الفور. ٧ - الأدوية:

يعطى المريض الماء أو الحليب مع استدعاء الطبيب. ٨ - لدغ الأفعى:

منع المريض من المشي ومن ثم نقله إلى المستشفى على الفور. لا يعطى المريض الكحول أو الشاي.

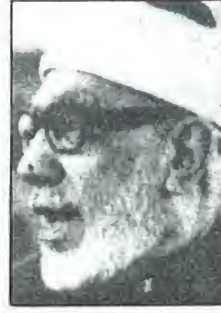
الدكتور محمد حمدي الحجار



نافذة

الألتنتيد

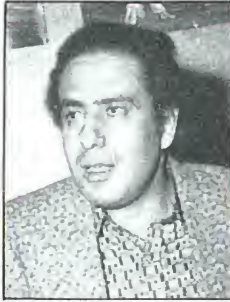
مسرحية شعرية في أربعة فصول



★ د. محمد عبد الرحمن بيسار ★

تفقد المسرحية الشعرية نقاد في الصحافة العربية دلت مقالاتهم على أنهم لم يتتبعوا إنتاجها في أدبنا الحديث، وأنها في زعمهم غابت بغياب شاعرها الكبير عزيز أباظة الذي أعاد سيرة أحمد شوقي في صنع المسرحية الشعرية ثم أخذت تضم غيرهما مجددين فيها على ضفاف النيل كان في طليعتهم الشاعر صلاح عبد الصبور، وفي لبنان كانت المسرحية الشعرية المتقنة للشاعر وديع ديب، وفي سورية وغيرها من آفاق العالم العربي ظهرت تجارب عديدة في المسرحية الشعرية، كتبها أقلام جديدة لم تدأب فيها وتحافت عنها، فلم يتناولها النقاد بالتحقيق والتقويم، وكانت هذه المسرحية تستمد صورها وموضوعاتها من التاريخ والمشكلات الفكرية القديمة والمعاصرة.

على أن شاعر دمشق عدنان مردم بك لم يهيب هذا الفن منذ لمع في أدبنا الحديث فأقدم عليه متمرساً به متفرداً، وكانت أولى مسرحياته الشعرية «غادة إفامية» سنة ١٩٦٧ م، ثم تابعت عاماً بعد عام، كانت آخرها ذات الرقم (١١) وهي «الألتنتيد»، التي جاءت في أربعة فصول ومشاهد متسلسلة متكاملة في نسقها ومحتواها، وتجهيز لها بقلل كتابها دل على اختياره وتجاوبه مع غيره في تناول القضايا والأمور التي تهم الفكر المتطور والجمع التوافق



★ د. هاشم سرحان ★



★ صلاح عبد الصبور ★

السادسة والستين، فقد ولد رحمه الله في مصر عام ١٩١٦ م، وفيها توفي. عاش أكثر عمره مقعداً بسبب مرض المفاصل الذي أصابه وهو في الثالثة عشرة من عمره. كان قد رأس تحرير عدة مجلات ثقافية في مصر «كالجيل»، والأدباء، وعالم الفكر»، وأصدر أكثر من (٢٠) مؤلفاً بالعربية و (١٠٠) مترجم. أسس ندوة القباني ورصد لها جائزة وأسهم في تغذية المجالات الإسلامية بقصصه الهادفة. رحمه الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وأهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

آخر عمل للمرحوم صلاح عبد الصبور

صدر في القاهرة آخر عمل للمرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور

وفاة شيخ الأزهر

انتقل إلى رحمة الله تعالى شيخ الأزهر فضيلة الشيخ الدكتور محمد عبد الرحمن بيسار عن (٧٤) عاماً. والشيخ البصار رحمه الله يحمل الدكتوراه، وقد شغل عدة مناصب قبل تعيينه شيخاً للأزهر، فقد عمل وزيراً للأوقاف، ووزيراً للدولة لشؤون الأزهر، وكان قبل ذلك أميناً عاماً لمؤتمر علماء المسلمين لمدة أربع سنوات متتالية، ثم وكيلاً للأزهر ومديراً للمركز الإسلامي بواشنطن، كما عمل أستاذاً بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وأميناً عاماً للمجلس الأعلى للأزهر، وأميناً لجمع البحوث الإسلامية، وفي عام ١٩٧٨ م، اختير ليكون شيخاً للأزهر، وفي مرتبة تساوي مرتبة رئيس الوزراء بكل مميزاتها، كما كان رحمه الله عضواً في لجان اختيار المرشحين لجائزة الملك فيصل العالمية حتى تاريخ وفاته. له من المؤلفات الكثير خاصة التي تتعلق بالعقيدة والمبادئ مثل كتابيه:

★ العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع.

★ في فلسفة ابن رشد الوجود والخلود.

إلى غير ذلك من الكتب الأخرى. رحمه الله الفقيد وأعضاء الإسلام فيه بخير، وأهم ذويه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة نجيب العتيقي

انتقل إلى رحمة الله تعالى البحاث والأديب المعروف «نجيب العتيقي» عن عمر يناهز الخامسة والستين عاماً، حيث توفي في القاهرة بعد وعكة صحية. المعروف أن المرحوم العتيقي كان يعكف في الآونة الأخيرة على إخراج الجزء الرابع من كتابه الموسوعي الكبير «من الأدب المقارن» بعد أن أتم نشر أجزاءه الثلاثة، وكان يهدف إلى نشر سلسلة لا تقل عن عشرة أجزاء، إذا طال به العمر، وكان المرحوم قد فرغ من نشر كتابه المعروف (المستشرقون) في طبعته الرابعة الجديدة وذلك بعد أن تناوفا بالتدقيق والإضافة، وصدرت في القاهرة مؤخراً عن دار المعارف المصرية في ثلاثة أجزاء كبيرة. رحمه الله الفقيد وأهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة حسين القباني

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب حسين القباني عن عمر يناهز

إلى ما يبني حياته وحضارته على المناهج القويمة والمثل العليا التي تلائم طبيعته وأشواقه للحرية التي قبضت للعلماء والأدباء وذوي الفن والفلسفة أن يجعلوا في آثارهم المصاييح التي تضيء العقول والدروب وتفتح الأعين على ما فاتها في التجديد الأدبي والإبداع .

أما « الأتلتيد » عنوان المسرحية الشعرية التي كتبها الأستاذ عدنان مردم بك وأخذ من فكرتها وتناولها موضوعه الفني الطريف ، فقد رَدَّ القارئ العربي المثقف إلى كلمة « أتلتيد » التي شاعت في مطالع هذا العصر بعد أن تناولها أفلام شرقية وغربية وأفلام في السينما ، عادت إلى مآثها ومراميها في التصوير والتثيل ثم طوتها الأيام ، لكنها ما استطاعت أن تطوي حكاية « الأتلتيد » التي وصفها أفلاطون في أدب الإغريق زاعماً بأن مدائها قامت خلف أعمدة « هيركول » في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد ، وأن قارئها كانت ملتصقة بالغرب حتى فصلتها عنه عوادي الطبيعة فضاعت بين سمع الأرض وبصرها ، وبقت صورة « الأتلتيد » أسطورة فيما كانت عليه حياتها وحضارتها .

وفي العام ١٩١٩ م ، نشر الأديب الفرنسي بيير بينوا روايته « أتلتيد عروس الصحراء » فحاز لنجاحها وروعتها جائزة المجمع الفرنسي في وطنه وقد صور هذا الأديب الغادة الفاتنة سليلة القارة النائية في مضبعة الرمال من ببداء « الهكار » الإفريقية ذات الجبال .

ودارت هذه الحكاية في هواجس طغاة من الغرب تفاوتوا في اللغة والأصل والأرض ، وبرزوا قبل النصف الأول من هذا القرن في مطامعهم ومفاهيمهم في السياسة والزعامة ، وقد خيل إليهم أنهم قادرون على أن يعيدوا سيرة

رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب سابقاً والشاعر المصري المعروف ، فقد رحل قبل أن يرى ذلك النص الكلاسيكي العربي الذي وضعه لقصة « حي بن يقظان » لابن الطفيل ، فقد نشر هذا الأثر العربي مع رسوم أتمها الفنان مصطفى حسين عن دار الشروق في حفل الكتب الفنية للفنانيات والفنانيات .

د . سرحان .. وثقافة الجماهير

عُيِّن الدكتور سمير سرحان أستاذ اللغة الإنجليزية وكيلاً لوزارة الثقافة المصرية لشؤون الثقافة الجماهيرية . الجدير بالذكر أن الدكتور سرحان من مواليد القاهرة عام ١٩٤١ م ، ويحمل شهادة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من « جامعة أنديانا » بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨ م ، عمل مديراً لتحرير « مجلة المسرح المصرية » للفترة من ٦٢ - ١٩٦٥ م ، وأستاذاً مشاركاً بجامعة القاهرة ، ثم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ثم عميداً للمعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة ، وقبيل وصوله ليعمل أستاذاً زائراً بجامعة الملك عبد العزيز بأسبوع صدر قرار تعيينه هذا . المعروف أن للدكتور سرحان مشاركات في الأعمال المسرحية .

كما شارك في إخراج كتاب « Who is Who » الذي نشرته شركة

الأتلتيد في حكمهم ويجعلوا بلادهم على شاكلتها ، فباؤوا بالخيبة لطغيانهم في خنق الحرية والرأي وكبت الشجاعة والأصوات ، ولا بدع إذا تصدى الشاعر الكبير عدنان مردم بك لفكرة « الأتلتيد » واتخذ من عنوانها وصورها وأخبارها موضوعاً لمسرحيته الجديدة وهو الباحث الثقة في حوادث التاريخ وقضايا المجتمع فينبئ خطر الفاشية والنازية في عصرنا وكيف حملت كل منها في بطشها وبهتانها أسباب المحال والزوال ، ومن يدري فقد تكون « الأتلتيد » المزعومة عانت في حياتها وتلتهت عن حقيقتها حتى ذهب رجبها ولم يبق منها إلا الذكرى .

وكان تصوير الشاعر مردم بك في مشاهد فصوله للمتعمفين والمتطرفين في مزاعمهم وأمانيم ضاحياً بجوار شائق ضجت فيه الخواطر وكشف الغلو في الأوهام والسراب .

وقد جاءت الصياغة الشعرية وما سبقها عمودية مصقولة بوضوحها وتماسكها ، لكنها خلت من الشعر الغنائي الذي يمكن أن يتخلل الحوار فيها والمشاهد كما كان في مسرحيات شوقي وأبازة ، على أي فضل أن أتأني على تلخيص لفصولها تاركة للقارئ أن يتبين من وجهته ما يروقه منها وملاحظاته حولها .

فتحية للأستاذ عدنان مردم بك كاتب المسرحية الشعرية « أتلتيد » في دأبه وجهده لملء الناحية التي لم يغن بها أدبنا الحديث وكانت على ندرتها طرفة جذيرة بالتقويم والتقدير .

دمشق - وداد سكاكيني

تهامة وضم تراجم لأبرز رجالات المملكة العربية السعودية .

ولحبه للحياة الثقافية فقد أدخل في مصر نظام (الأكشاك) الثقافية في الأحياء وذلك لكي تكون مراكز للبحوث العلمية والوثائق والمعلومات ، وتخصيص مسابقات أدبية للمحترفين والموهوبين ، له من المؤلفات ثلاثة كتب مطبوعة باللغة العربية ، وأربعة باللغة الإنجليزية ، إلى جانب إسهامه بالكتابة في كثير من المجالات الثقافية في العالم العربي .

وفاة منشي مجلة « الفصول »

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب الصحفي المصري « محمد زكي عبد القادر » نتيجة لسكتة قلبية وذلك يوم الأحد الموافق ١٢ من شهر جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ، المعروف عنه بأنه قد حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٣٦ م ، واشتغل فترة باغمامة ثم تركها إلى الصحافة ، وبالتالي أنشأ مجلته المعروفة « الفصول » الشهرية ، وعمل كاتباً في صفح الشعب والأهرام والأخبار ، وقد اشتهر بعموده اليومي « نحو النور » الذي بدأه عام ١٩٣٨ م ، هذا وقد انتخب عضواً في المجمع اللغوي بالقاهرة ، وحصل على الزمالة الفخرية في عيد الفن ، رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

من جامعة «جونس هوبكنس» عام ١٩٣٠ م، وبعد عودته عمل مديراً للمساحة ببغداد من عام ١٩٤٧ م، إلى عام ١٩٥٧ م، وانتخب عضواً في مؤسسة «فاي بيتا كابا» العلمية الأميركية. أما بالنسبة لأعماله الأدبية والثقافية، فكان رحمه الله عضواً في المجمع العلمي العراقي حيث انتخب عام ١٩٤٩ م، كما كان عضواً بارزاً في المجمع العلمية الأخرى في كل من دمشق والقاهرة وعمان. له من المؤلفات (٢٩) مؤلفاً منها ستة باللغة الإنجليزية. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



★ د. أحمد سوسة ★

جوائز لدعم حركة التأليف والتعريب

تحقيقاً لأهداف اتحاد مجالس البحث العلمي العربية في جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتكنولوجيا، ومساهمة منه في دفع حركة التعريب في الوطن العربي، فقد خصص المجلس جوائز لدفع ودعم حركة التأليف والتعريب، والمتمثلة في الآتي:

★ جوائز تمنح لأحسن كتب مترجمة أو مؤلفة باللغة العربية في العلوم والتكنولوجيا، مقدار كل جائزة (٥) آلاف دولار أميركي، شريطة أن تتوفر فيها الأمور التالية:

- (١) أن يكون موضوع الكتاب مبنياً على بحوث أصيلة أو مبتكرة، أو حديثاً في مادته ومنهج بحثه.
- (٢) أن تكون للكتاب فائدة تطبيقية أو أهمية في دعم التنمية القومية أو جلاء التراث العلمي العربي.

أن يلاحظ التحسن بالرؤية. . . وقد أجريت العملية على الأرباب أولاً، بعدها أجريت على أكثر من ٢٠٠٠ شخص في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وقد أعطت نتائج مرضية للغاية. (الصورة: لتصحيح قصر النظر يقوم الجراحون بعمل تشطيطات بسيطة في القرنية (الصورة اليسرى) باستعمال أداة خاصة (الصورة اليمنى).)

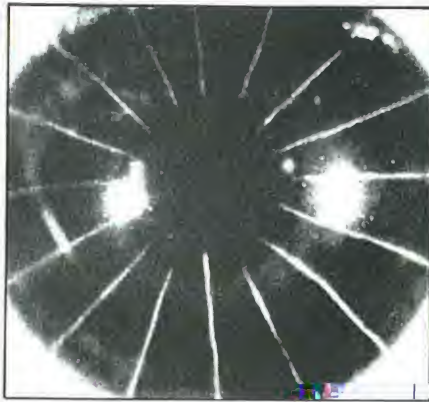


جزيرة الفضلات

تقوم شركة سوير السويدية ببناء أكبر جزيرة من نوعها في العالم. فقد اعتمد في إنشاء هذه الجزيرة - التي تعادل مساحتها سطح ١٢٠ ملعباً

أو العدسات القرنية. إلا أن الدكتور فيودوروف السوفيياتي يفضل إجراء عملية جراحية تعالج أسباب قصر النظر. فكما هو معروف ينشأ قصر النظر من تغير تحدب العين الطبيعي، لذا فبدلاً من أن يتجمع الضوء الواصل إلى العين على الشبكية، فإنه ينكسر ويتجمع قبل الشبكية عند قصار النظر.

والعملية الجراحية المقترحة لا تستغرق أكثر من ٩٠ ثانية. وهنا يتم عمل حوالي ١٦ تشطيطية في كرة العين لا يزيد عمقها عن ١/٢ مم. وعندما تشق الشطوط يصبح المريض سليم النظر. وبعد يوم واحد فقط من إجراء العملية يمكن للمريض



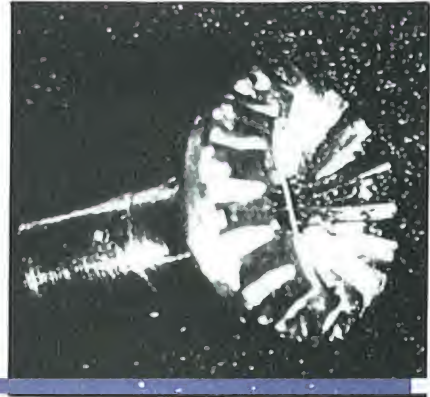
وفاة الدكتور سوسة

انتقل إلى رحمة الله تعالى العلامة المؤرخ العراقي «الدكتور أحمد نسيم سوسة» وذلك في اليوم السادس عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٢ هـ، عن عمر يناهز الثمانين أو الثانية والثمانين إذ هو من مواليد عام ١٩٠٠ م، وورد أيضاً بأنه من مواليد ١٩٠٢ م، بالخلعة «بابل». كان رحمه الله قد تتلمذ في مرحلته التعليمية الأولى على يد والده وذلك لعدم وجود مدارس وقتذاك، ثم أتم دراسته الإعدادية في الجامعة الأميركية ببيروت وذلك عام ١٩٢٣ م، ثم سافر للولايات المتحدة المتحدة الأميركية وتخرج من كلية (كولورادو) ونال شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٢٧ م، ثم حصل على الماجستير من جامعة «جورج واشنطن» عام ١٩٢٨ م، والدكتوراه

اليوم و الغد

عملية جراحية لقصار النظر

تدل الإحصائيات المبدئية أن حوالي ربع سكان الأرض يعانون من قصر النظر (نيوب). وقد كانت الطريقة الوحيدة المتبعة حتى الآن لمعالجة هؤلاء المرضى هي استخدام النظارات الطبية



(٣) أن تتوفر في الكتاب سلاسة التعبير والدقة والوضوح .

(٤) ألا يكون كتاباً مدرسياً .

البعثة على دينار واحد من الذهب يرجع إلى عصر الخليفة العباسي المأمون ،
ودراهم من الفضة وعدد كبير من الاواني الزجاجية .

الدكتور فتحي «عالم دولي»

فاز الدكتور فتحي طه عبد العزيز الأستاذ في فرع الكيمياء
الحياتية بكلية الطب بجامعة الموصل العراقية بلقب «عالم دولي» منحه
إياه (جامعة كامبردج) البريطانية وذلك تقديراً لجهوده القيمة في
اكتشاف عقاقير تساعد على تخلص الجسم من المعادن الثقيلة
والسامة ، وتشخيصه المبكر لعدد من أمراض الجهاز
العصبي والدماغ .

كتب جديدة *

صدرت الكتب التالية عن وزارة الإعلام والثقافة :

★ «هذا هو السياب» ، تأليف مدني صالح .

★ «الزوال» ، ديوان شعر للشاعر سامي مهدي .

● «ملاحم تاريخ العربية» ، تأليف الدكتور أحمد نصيف
الجنابي ، صدر في بغداد .

● «للعاصفة للريح» ، تأليف محيي الدين إسماعيل ، صدر
عن دار الرشيد ببغداد .

الإعصار الأول إلى مقتل ٢٥٠ شخصاً وتشريد
١٢٠٠٠ آخرين من بيوتهم ، بينما مر الإعصار
الثاني بسلام بدون أضرار في الأرواح أو
الممتلكات .

هذا القمر الاصطناعي واحد من (٥) أقمار
موزعة حول الأرض على ارتفاع ٢٢٢٥٠ ميلاً عن
خط الاستواء ، ونظراً لأنها تدور حول الأرض
بسرعة مماثلة لسرعة دوران الأرض حول نفسها ،
لذا تبدو هذه الأقمار وكأنها ثابتة في الفضاء وهي
ترصد دوماً المنطقة ذاتها . وتقوم هذه الأقمار بمراقبة
طقس الأرض ليلاً ونهاراً (باستخدام الأشعة
تحت الحمراء) ويرسل كل منها صورة واحدة كل
نصف ساعة . هذه الصور بمقدورها تحديد تفاصيل
غيمة لا يزيد طولها عن ٠,٦ ميل ، لذا فهي
قادرة على كشف كثير من الكوارث مثل
الفيضانات ، والأعاصير ، والزوايع ، والعواصف
البحرية ، والدوامات .

ورغم أنها قادرة على إنقاذ أرواح آلاف
البشر ، إلا أن مهمتها - مع الأسف - مقصورة
على جمع المعلومات الروتينية الذي يخدم أغراض
التنبؤ بأحوال الطقس فقط .

مع العلم بأن الجوائز من الممكن منحها بالتقاسم بين مشتركين أو أكثر في
جهد علمي واحد ، وتوجه الاشتراكات في هذه الجوائز إلى «المركز الوطني
للعلوم والتكنولوجيا» بالرياض - المملكة العربية السعودية .

★ أربع جوائز نقدية مقدار كل منها (١٠) آلاف دولار أميركي ،
وذلك لأحسن مجلة علمية عربية تكون قد ساهمت مساهمة فعالة في دفع عملية
التعريب في العلوم والتكنولوجيا وذلك في أحد المجالات الآتية :

(١) العلوم الإنسانية .

(٢) العلوم الأساسية .

(٣) العلوم التطبيقية والتكنولوجية .

(٤) العلوم الطبية .

وتوجه الاشتراكات في هذه الجوائز إلى «الأمانة العامة لاتحاد مجالس
البحث العلمي العربية» في بغداد - الجمهورية العراقية .

كشف أثري

كشفت بعثة الآثار العراقية عن بقايا آثار ثلاثة قصور عربية
ترجع إلى العهد العباسي ، وتعتقد البعثة أن هذه المباني كانت مقرات
للأمراء والأشخاص الذين عاشوا في عهد الخليفة المعتصم . من بين الآثار
المتبقية قاعات ذات مساحات واسعة وجدوران مرسوم عليها لوحات ، كما عثرت

لكرة القدم - على الفضلات ، ومن المقرر أن تم
تغطيتها بعد ذلك بالتراب والأشجار بحيث تصبح
متنزهاً لأهل المدن والقرى القريبة .

قبل الاهتمام بحماية البيئة كانت الشركة
- وهي أكبر الشركات السويدية في مجال
الصناعات الكيميائية - تقذف في البحر أكثر من
٣٠٠٠٠٠ طن من فضلات الجبس سنوياً . في عام
١٩٧٨ م ، فرضت الحكومة على الشركة إيجاد
طريقة أفضل للتخلص من نفاياتها . وهكذا بدأت
الشركة تحفّف جزء من البحر . وفي سبيل ذلك
عمدت أولاً إلى بناء جدار (سد) يحيط بمنطقة من
البحر مساحتها ٦٠٠٠٠٠ م^٢ ، ثم فرغت المياه من
هذا «الخوض» . بعدها بني أساس قوامه آلاف
الأطنان من مواد البناء . طُلّي الوجه الداخلي
للجدار بالبالستيك السميك لمنع رشح مياه البحر
وتسربها إلى الداخل . وأخيراً بدأ بوضع النفايات
ضمن الخوض الكتم .

وقد صرح ناطق باسم الشركة أن مثل هذه
«المزيلة» تمثل حلاً جيداً لمشكلة التخلص
من الفضلات في جميع أنحاء العالم ، خاصة أن
تسرب السموم مستحيل تقريباً .

هل تنبأ الأقمار الصناعية بالكوارث

هذه الصورة التقطها قمر الأرصاد الجوية
الأميركي في ٨ آب (أغسطس) ١٩٨٠ م ،
ويلاحظ في هذه الصورة وجود إعصارين : الأول
فوق خليج المكسيك ، والثاني متمركز فوق
جنوب غربي الولايات المتحدة . وقد أدى





★ د. صالح *



★ بركس العربي *

محمد صالح اليعقوبي يضم مجموعة من المقالات القديمة التي نشرها الدكتور طه حسين في الصحف والمجلات ولم تجمع في كتاب من قبل. المعروف أن هذا الباحث التونسي يعمل مدرساً للأدب العربي في «جامعة استكهولم» بالسويد.

نموذج من التعريب

عقدت في تونس ندوة دار موضوعها حول «التعريب دعامة من دعائم الوحدة العربية»، جرى خلالها مناقشة حوالي ثلاثين بحثاً حول التعريب. استمرت تلك الندوة أربعة أيام، وحضرها مندوبون عن جميع الدول العربية، وكذا عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

* كتب جديدة *

- «مشكلات التعليم في الريف العربي»، دراسة ميدانية أعدها المركز القومي للأبحاث التربوية في السودان، وصدرت عن وحدة البحوث التربوية التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- «الألفاظ الكتابية»، تأليف عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس.
- «اعتناق البربر للإسلام»، تأليف محمد الصادق بلعشي، صدر عن الدار التونسية للنشر.
- «في العقد الاجتماعي أو مبادئ الحق السياسي»، تأليف جان جاك روسو، ترجمة عمار الجلاصي وعلي الأجنف، صدر عن دار المعرفة للنشر.

الأردن

* كتب جديدة *

- «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، تأليف الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، صدر عن دار الفرقان للنشر والتوزيع بعمان.
- «قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية»، تأليف الباحثة روكس بن زايد العزيزي، صدر في عمان.
- «المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية»، كتيب صدر

● «وردة للسفر»، ديوان شعر للشاعر معد الجبوري، صدر عن دار الرشيد ببغداد ضمن سلسلة «ديوان الشعر العربي الحديث».

● «كفاية الطبيب فيما صح لدي من التجارب»، تأليف أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ٣٧٦ - ٤٦٠ هـ، تحقيق الدكتور سلمان قطاية، صدر ضمن سلسلة «كتب التراث» التي تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

● «الوحدة المطلقة عند ابن سبعين»، دراسة أعدها محمد ياسر شرف، صدرت ضمن سلسلة «دراسات» التي تصدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

تونس

معرض للكتاب التونسي

أقيم بنادي شعبية الأسواق بتونس العاصمة، معرض للكتاب التونسي استمر أسبوعاً، وذلك بهدف التعريف بالكتاب التونسي وضمان رواجه في السوق الداخلية، وتشجيع الشبان والكهول على المطالعة وذلك بما قدمه من تخفيضات في الأسعار. هذا وقد شارك في هذا المعرض عدة دور نشر تومية منها الدار العربية للكتاب، والدار التونسية للنشر، والشركة التونسية للتوزيع، ودار الكتب الوطنية. وقد احتوى المعرض على مختلف الكتب التونسية التي صدرت في السنوات الأخيرة والتي ضمت عناويناً في مختلف المجالات والتخصصات.

معرض للكتاب السعودي

تنظم وزارة التعليم العالي بالمملكة العربية السعودية خلال هذا الشهر معرضاً للكتاب السعودي بتونس وذلك بهدف إبراز الوجه الفكري السعودي للقارئ التونسي خاصة والعربي عامة. هذا وسيشارك فيه عدد من دور النشر المحلية لتعرض ما لديها من أحدث الكتب التي ألفتها الشخصيات الأدبية والعلمية والفنية.

مقالات غير معروفة

سيصدر عن الدار العربية للكتاب بتونس كتاب للباحث التونسي

عن مكتب المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس بعمان .

الجزائر

* كتب جديدة *

- «العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى» ، تأليف عبد المالك مرتاض ، صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر .
- «ما قال جراد البحر» ، مجموعة قصصية ، تأليف مرزان بغطاش ، صدرت في الجزائر العاصمة .
- «الجزائر في السلاح أو زمن الحقائق» ، تأليف سليمان الشيخ ، صدر عن ديوان المنشورات الجامعية بالجزائر .
- «الجزائر في الحرب» ، تأليف محمد تيفيا ، صدر عن ديوان المنشورات الجامعية بالجزائر .
- «سجلات أعمال ملتقى الفكر الإسلامي» ، مجلد صدر عن وزارة الشؤون الدينية بالجزائر .
- «مبادئ الأصول» ، تأليف عبد الحميد بن باديس ، تحقيق الدكتور عمار الطالبي ، صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر .

الكويت

جائزة الكويت للتقدم العلمي

ستمح جائزة الكويت للتقدم العلمي في حقول خمسة هي :

- ★ العلوم الأساسية في الفيزياء .
- ★ العلوم التطبيقية في مجال موارد الغذاء .
- ★ الفنون والآداب في مجال القصة ، القصيدة وإحياء التراث العربي الإسلامي .
- ★ تاريخ العمارة عند العرب والمسلمين .
- ★ العلوم الاقتصادية والاجتماعية في مجال التنمية الاقتصادية في الوطن العربي .

وذلك لعام ١٩٨١ م .

مهرجان تشكيليان

أقامت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية معرضها الأول بمناسبة العيد الوطني الحادي والعشرين وذلك في صالة الفنون ، اشترك فيه معظم الفنانين الكويتيين بلوحات تمثل البيئة المحلية والحياة في الكويت وطابعها .

* كتب جديدة *

- «العلاقات الإنسانية ودورها في السلوك الإنساني» ، دراسة

أعدها عوض حسين الشلالدة ، صدرت في كتاب عن شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع .

- «تقويم الطفل» ، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، وهو تقويم سنوي خاص بالأطفال لعام ١٤٠٢ هـ .
- «أقول» ، تأليف يوسف يعقوب السلطان ، صدر في الكويت .

- «البدواة في الكويت» ، تأليف إبراهيم حمزة الشكري ، صدر في الكويت .

- «أشكال وسطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية» ، تأليف الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، صدر عن جامعة الكويت .

- «هذا هو الإسلام» ، تأليف أحمد المنوفي ، تقديم يوسف العليان ، مراجعة الدكتور محمد عبد الحليم مصطفى ، صدر في الكويت .

البحرين

مهرجان للشعر الخليجي

أقام النادي الوطني للثقافة والفنون (بمجمان) مهرجاناً للشعر الخليجي وذلك في الرابع عشر من شهر مارس (آذار) ١٩٨٢ م ، اشترك فيه شاعران من كل دولة من دول الخليج إضافة إلى أربعة من شعراء دولة الإمارات .

وقد قسم المهرجان إلى ثلاث أمسيات إحداها للشعر الفصيح ، والثانية للشعر الشعبي ، والثالثة لتقييم المهرجان من خلال لقاء مفتوح بين الشعراء والنقاد والجمهور . هذا ومن بين الشعراء المشاركين الدكتور غازي القصيبي والشاعر علي عبد الله خليفة .

* كتب جديدة *

- «كاريكاتير ٨١» ، تأليف جلال الرفاعي ، صدر في دبي ضمن منشورات مؤسسة البيان .

البحرين

دليل المدارس الخاصة

سيصدر عن مراقبة التعليم الخاص بالبحرين دليل عن المدارس الخاصة ، وهو عبارة عن كتيب يحتوي على المعلومات الخاصة بالتعليم الخاص والمدارس الخاصة في البحرين ، والجدير بالذكر أن هذا الدليل سيكون باللغة الإنجليزية وسيوزع على مختلف المؤسسات التعليمية الرسمية وغير الرسمية وذلك بهدف مساعدة الوافدين وإرشادهم بمعلومات تيسر لهم سبل انتمائهم إلى المدارس التي يرغبون فيها .



* يوسف إسحاق *



* أحمد شريف الرفاعي *

● «حالات معتادة جداً»، مجموعة قصصية، تأليف محمد صوف، صدرت في الرباط.

تيسن

معرض عن طرابلس

اهتماماً بمدينة طرابلس وتاريخها فقد أقيم أسبوع تحت اسم «أسبوع طرابلس التاريخي» وذلك خلال الفترة من ٦ إلى ١٢ من شهر فبراير (شباط) عام ١٩٨٢ م، بصالة المركز الثقافي البلدي (قصر نوفل) التل، عرض فيه عدد من الآثار والعملات التي ضربت في طرابلس في الماضي وصور فوتوغرافية، ومصنوعات حرفية، إضافة للكتب والصحف التي صدرت في طرابلس منذ حوالي قرن من الزمان، وقد أقيم المعرض بالمشاركة بين كشافة لبنان وفوج الشبيبة وعشيرة الجواله والمجلس الوطني لإنماء السياحة في لبنان. هذا وقد صدر بمناسبة هذا الأسبوع كتيب تحت عنوان «ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر» من تأليف مارون عيسى الخوري.

عسكيري

* كتب جديدة *

● «العسكرية الصهيونية بعد حرب تشرين»، تأليف الفريق عفيف البزري، صدر ضمن منشورات فلسطين المحتلة.

* كتب جديدة *

● «في رحاب أم القرى»، أصدرته وكالة الأنباء القطرية وهو عن مؤتمر القمة الإسلامية الثالث الذي عقد بمكة المكرمة.

سورية

* كتب جديدة *

● «أليس في بلاد العجائب»، تأليف لويس كارول، ترجمة سالم جبارة، قصة للأطفال، صدرت عن وزارة الثقافة بدمشق.

السودان

وفاة محمد مهدي مجذوب

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر والأديب السوداني «محمد مهدي مجذوب» عن عمر تجاوز الستين عاماً، والمجذوب ينحدر من أسرة دينية وأدبية مشهورة، كان في حياته عضواً مؤسساً في اتحاد الأدباء العرب، كما كان عضواً نشطاً في الجماعات الأدبية السودانية حيث يلقب هناك «بعميد الأدب السوداني»، أما نشاطه الشعري ففي خلال مسيرته الشعرية التي استمرت منذ الأربعينات نشر عدة دواوين أشهرها «نار المجاذيب» و«الشرافة» و«الهجرة»، وقد حاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب والفنون، رحم الله الفقيد وأهمل ذويّه ومحبيه الصبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عمان

* كتب جديدة *

● «الشرع الكبير»، رواية، تأليف عبد الله محمد الطائي، صدرت في عمان.

البحرين

* كتب جديدة *

● «النداء بالأسماء»، مجموعة قصصية تأليف عز الدين التازي، صدرت في الرباط.

● «سلاماً... وليشربوا البحار»، ديوان شعر للشاعر عبد الله راجع، صدر ضمن منشورات الثقافة الجديدة بالرباط.

● «مشاكل الطاقة والتكنولوجيا في البلدان النامية»، تأليف عبد الله عاشور، صدر في الرباط.

● «من قضايا المسرح المغربي»، تأليف عبد الرحمن زيدان، صدر وطبع بمطبعة مكناس.

● «درجة الصفر للكتابة»، تأليف رولان بارت، ترجمة محمد برادة، صدر بالمشاركة عن الشركة المغربية للناشرين المتحدنين بالرباط والطليعة ببيروت.

السورية، إذ ضم روائع الآثار المنتقاة من المتاحف السورية، وقد بلغ عدد القطع المعروضة حوالي (٢٥٠) قطعة وذلك بهدف التعريف بالحضارة الشرقية عامة والسورية خاصة.

معرض فني عربي

سيتم خلال هذا العام إقامة معرض العالم العربي في مدينة (برلين) وذلك بالتعاون بين مكتب جامعة الدول العربية في (بون) وجمعية الصداقة العربية الألمانية والنادي العربي الألماني في برلين. ويرمي المعرض إلى التعريف بالدول العربية ثقافياً وسياحياً وإعلامياً عن طريق عرض كل دولة لنتاجاتها الفنية وصناعاتها اليدوية والكتب المطبوعات واللوحات الفنية لكبار رساميه.

* أحدث الكتب *

● «ما عسى أن يكون مستقبل هذا الفتى يا ترى»، ذكريات ضمت في كتاب، تأليف هايغريش بول، صدر في ألمانيا.

فهرس

مؤلفات (بريفاو) في معرض

أقيم في (باريس) معرض ضم أشهر مؤلفات الشاعر والكاآب الفرنسي «جاك بريفاو»، كما ضم بعض اللوحات التي رسمها أثناء مرحلة هوائته لفن الرسم، من أشهر الأعمال التي عرضت لبريفاو (المحادثات) التي كتبها عام ١٩٤٨م، و (القصص المقدسة) و (فاتراس)، أما اللوحات فتلك التي تمثل خياله.

وفاة فرانسواز هنري

توفي في (باريس) مؤرخ الفن الفرنسي «فرانسواز هنري»، عن (٨٤) عاماً. شغل إبان حياته منصب مدير متحف الآثاريات الوطني في باريس، وأرخ بصفة خاصة لتاريخ الفن الأيرلندي، كما شغل قبل الحرب العالمية منصب أستاذ تاريخ الفن الأيرلندي في «جامعة دبلن».

وفاة جيل ساندييه

توفي في (باريس) مؤرخاً الناقد المسرحي الفرنسي «جيل ساندييه» عن (٥٨) عاماً. كان (ساندييه) متخصصاً في النقد المسرحي حيث كان يكتب آراءه في الصحف والمجلات الأدبية المتخصصة منذ عشرين عاماً. من أشهر الصحف التي كتب فيها صحيفة (لوماتان) الفرنسية حيث نقد من خلالها المسرح العالمي مثل مسرحيات «ليريخت وشيرو جينية» المعروف أن جيل ساندييه ولد عام ١٩٢٤م، وتلقى دراسته في معهد الدراسات المسرحية بباريس.



* جاك بريفاو *

قصص عربية إلى الرومانية

صدر في (بوخارست) العاصمة الرومانية مجلد في «كتابين» تحت عنوان [انطولوجيا القصة العربية] تحت إشراف وترجمة المستشرق الروماني «نيقولاي دوبريشان». يحمل الكتاب الأول من المجلد اسم «سر الماء» وهو اسم قصة الكاآب العراقي «عبد الرحمن مجيد الربيعي»، أما الكتاب الثاني فيحمل اسم قصة للكاآب القصصي التونسي «محمد صالح الجابري». من الذين لهم قصص مترجمة في الكتاب الأول عبد الحميد بن هدوقة، أبو العبد دودو وهما من (الجزائر)، وعمود تيمور، يحيى حقي، نجيب محفوظ، يوسف إدريس، نعم عطيه من (مصر)، وحسن فارس، عيسى الناعوري وهما من (الأردن)، وعبد الرحمن مجيد الربيعي، فؤاد التكريلي، ادمون صبري يوسف من (العراق)، وهداية سلمان سالم، سلمان الشطي من (الكويت). أما الكتاب الثاني ففيه أعمال للقصاصين: جبران خليل جبران، مارون عبود، ميخائيل نعيمة، توفيق يوسف عواد، سهيل إدريس من (لبنان)، وعبدالله القويري، بشير الهاشمي، أحمد إبراهيم الفقيه من (ليبيا)، ومحمد عزيز الحبابي، عبد الرحمن الفاسي، عبد المجيد بن جلون، أحمد عبد السلام البقالي، مبارك ربيع، محمد زفزاف من (المغرب)، وغسان كنفاني، توفيق فياض، رشاد أبو شاوور من (فلسطين)، وعادل أبو شنب، غادة السمان، بديع حقي، سعيد حوزانيه، ياسين رفاعية، زكريا تامر من (سورية)، والطيب صالح، الطيب زروق، المصور من (السودان)، وعلي الدوعاجي، محمد العروسي المطوي، محمد صالح الجابري، نافلة ذهب، سمير العيادي من (تونس).

وسمى يذكر أن هذا المجلد بكتابه يقع في (٥٩٢) صفحة ويعد جهد سنوات لذلك المستشرق الذي عرف بعلاقاته الواسعة مع أدباء العربية، الأمر الذي دفعه لترجمة هذا الزخم من القصص هؤلاء الكاآب ومن مختلف البلدان العربية وذلك كله يثبت مدى اهتمامه وتعلقه بالأدب العربية وبما تترجمه تلك القصص من شؤونهم وحياتهم العامة والخاصة.

أخبار

معرض أثري سوري

أقيم في خمس مدن ألمانية اتحادية معرض يمثل كنوز الآثار

- ★ «الشباب المسلم في مجتمع متعدد الثقافات»، بقلم محمد أنور [عبارة عن تحليل لحياة الأقلية الإسلامية في بريطانيا] .
- ★ «الإسلام طريق السلام»، إعداد حامد وك. مراد، ج ١ من سلسلة «الوسائل السمعية - البصرية» للتعريف بالإسلام .
- ★ «الإرساليات المسيحية والدعوة الإسلامية»، وهو عبارة عن مجموعة مناقشات تمت في الحوار الإسلامي - المسيحي أثناء المؤتمر المنعقد في تشامبزي - بسويسرا .

أمريكا

مجلة الأعمال «جرين»

يعتزم الكاتب الأمريكي «جوليان غرين» نشر جميع أعماله الأدبية الحديثة التي انتهى من كتابتها خلال الأعوام بين ٧٦ و ١٩٧٨ م. وبالتالي جمعها في مجلد كبير تحت عنوان «الأرض الجميلة»، كما يوشك حالياً على الانتهاء من مؤلفه الجديد (سان فرانسوا)، ومن ناحية أخرى قرر جوليان نشر يومياته التي شرع في كتابتها منذ عام ١٩٢٨ م.

أعمال سارتر

سيصدر الجزء الأول من أعمال الفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر» عن جامعة شيكاغو الأمريكية وذلك بمناسبة مرور عامين على وفاته. سيتضمن هذا الجزء عدداً من رواياته بالإضافة إلى كتاب سارتر وفلوير. المعروف أن سارتر ولد في عام ١٩٠٥ م. وتوفي في عام ١٩٨٠ م. وأنشأ في عام ١٩٥٠ م. مجلة العصور الحديثة.

أحدث الكتب

- «العلم في الصين»، تأليف جون فيوام، الأستاذ بجامعة هارفارد، صدر في الأسواق الأمريكية.

إسبانيا

أحدث الكتب

- «مكتبة الأسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية»، تأليف براليو خوستيل، صدر في مدريد.
- «معجم إسباني - عربي، وعربي - إسباني»، تأليف فيرنادور بالديراما، صدر في مدريد، ويحتوي على أكثر من (٢٥٠٠) كلمة شائعة.

إيطاليا

أحدث الكتب

- «دليل آفاميا»، كتاب يدور حول آثار آفاميا في سورية، صدر في بروكسل العاصمة.



★ ميران ★

أحدث الكتب

- «داروين ومائة عام على وفاته»، تأليف بيير توييه، صدر في باريس.
- «هانين.. العقل والقلب»، كتاب حول شخصية الروائي الألماني هنري هانين، تأليف الكاتب الفرنسي فرانسوا فوتو، صدر في الأسواق الفرنسية.
- «شعراء التروبادور»، كتاب صدر عن دار النشر الفرنسية (جالمار).
- «فرانسوا ميران والقضايا العربية»، تأليف الدكتور جورج فرسخ، صدر ضمن منشورات المكتب العربي بباريس.

بريطانيا

معرض ياباني في بريطانيا

أقيم في (لندن) معرض فني ياباني استغرق الإعداد له خمس سنوات وذلك بمقر «الأكاديمية الملكية البريطانية» وقد ضم المعرض أكثر من (٤٠٠) عمل فني تم إنجازها ابتداءً من عام ١٩١٠ م. وحتى تاريخ افتتاحه في شهر أبريل (نيسان) من هذا العام، وهذا فإنه يعد من أفضل المعارض التي شهدتها أوروبا في العصر الحديث نظراً لكثرة العروض فيه، والإعداد المسبق والطول في نفس الوقت عاكساً الحياة اليابانية بجميع متغيراتها منذ ذلك التاريخ إلى الآن. من الفنانين الذين شاركوا فيه بأعمالهم كوران، وسوناسو، وأوكيو، وروستو. والجدير ذكره أن هذا المعرض أقيم على غرار المعرض الياباني الذي افتتح في عام ١٩١٠ م، ببريطانيا وقد لاقى إقبالا جماهيرياً كبيراً.

أحدث الكتب

- «نحو نظام اقتصادي عربي جديد»، تأليف الدكتور عبد العال الصكبان، صدر عن مركز الدراسات العربية في لندن.
- كما صدرت الكتب التالية عن «إسلامك فاوندیشن» - لندن:
- ★ «قصص رائعة من حياة محمد»، بقلم إم. إي. تاراتينو.

السؤال الملخ

كنت أسير وصديق آخر عبر أحد شوارع المدينة في طريقنا إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة .. وقبل أن نصله بمسافة غير قليلة ، طرقت أسماعنا صوت المرتل وهو يتلو الآية ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة غافر ، الآية ٥١) .
- كيف ؟

انطلق السؤال من فمه وكأنه كان يؤرقه منذ زمن بعيد .

وما لبث أن أعاد طرح السؤال ، بوضوح أكثر هذه المرة : كيف يكون ذلك ونحن نرى الأمم التي كفرت بالله تتولى أزمة القيادة والتحضر على السواء ؟

نظرت إلى الساعة .. كانت ثمة أكثر من عشرين دقيقة تفصلنا عن موعد الأذان .. فانعطفنا إلى شارع جانبي وأنا أقول له : إن المقاييس التاريخية لا تأخذ بالآني أو المرحلي وتصدر منه أحكامها ومقولاتها ، إنما هي تحيي أساساً تكثيفاً وتقييداً لحركة التاريخ البشري كله في ماضيه وحاضره ، مضافاً إليه في الرؤية القرآنية ، وفي بعض الرؤى الوضعية ، البعد المستقبلي .

إن أصحاب المواقف الوضعية أنفسهم يتجاوزون ، من أجل أن يكونوا أكثر موضوعية ، الأحكام المرحلية والنظرات الآنية المحدودة إلى ما هو أشمل وأعم وأبعد مدى .. وإنهم هم أنفسهم يحدوثوننا في كثير مما كتبوا ، عن حضارتهم الراهنة وكيف أنها تجابه من داخل بنائها بعوامل التدمير والتفكيك التي تسير بها قدماً نحو المصير السيء .. هذا ما يؤكدونه هم ، فكيف بالنسبة لنا ، ونحن ننطلق في أحكامنا التاريخية من الموقف القرآني الأكثر شمولاً والأبعد نفاذاً ، لأنه كلمات الله الذي وسع كل شيء علماً ؟

ومن أجل أن نكون موضوعيين مع أنفسنا

حوار

بقلم:
د. عماد الدين خليل



حضارية ، تمت في القرن العاشر أو الخامس عشر أو العشرين ثم يقول : هذا هو تاريخ البشرية كله وهذا هو مصيرها المحتوم . إنه ليس بمقدور أي مفكر أو باحث أن يحكم سلفاً ، حكماً إيجابياً يقينياً جازماً على مصير الحضارة الرهنة - أو أية تجربة تاريخية أخرى - سباً وأن عدداً من علمائها ومفكرها أنفسهم يضعون الكثير من التحفظات على موقف اعتباطي كهذا .

من كان يتصور ؟!

وإذ رأيت في الوقت متسعاً واصلت حديثي : من كان يتصور - على سبيل المثال - أنه خلال نصف قرن من حركة التاريخ طويلة المدى ، ستسقط ألمانيا الجبارة مرتين وتنهض مرتين ؟ أو أن تغادر الصين الشيوعية ، واليابان الرأسمالية مواعدها في الخطوط الخلفية لكي تقف في مقدمة الدول العالمية وتلعب دورها الحاسم على المستويين السياسي - العسكري والحضاري .. بينما تظل أمم أخرى من العالم الثالث نفسه تعاني التخلف والتبعية في عالمنا الراهن ؟

ومن كان يشك في أن إسبانيا التي ورثت عنفوان الحضارة الإسلامية ، وأضافت إليها دفعة عسكرية جغرافية ، أوصلتها وشقيقتها البرتغال إلى أطراف العالم ووضعت يديها على مشارق الأرض ومغاربها .. ستؤولان بعد عقود عديدة من الزمن إلى أن تكونا في ذيل الحضارة الغربية المعاصرة وفي خطوطها الخلفية بحيث أن أحداً لا يكاد يرى لها أي دور يذكر في ميادين هذه الحضارة ؟ بل من كان يظن أن الإمبراطورية البريطانية التي لم تكن الشمس تغيب عن أراضيها الشاسعة أبداً ، والتي بلغت قمة قوتها وجبروتها وامتدادها في الربع الثاني من هذا القرن ، في أعقاب جهود مستمرة دامت القرون الطوال ، ستتفتت وتنكمش ، منذ مطلع النصف الثاني ، في مدى لا يزيد على العقد أو

تميزت به قوى الكفر منذ فجر التاريخ وحتى القرن العشرين ، كضرورة من ضرورات التصاقها بالأرض ورفضها أي إيمان بالغيب أو المثل العليا ، إنما يمثل تعبيراً عن السعادة بمفهومها الشامل .

على العكس ، فهذا الجنوح يمثل نقصاً كبيراً وانحرافاً خطيراً في تجربة هؤلاء ، بملا خلاياها وشرائنها بالتعاسة والشقاء .. وهي من أجل أن تغطي على هذه الهزيمة الحقيقية في تجربتها تزداد تجبراً وطمعاً .. وهذا كثيراً ما يحدث على المستويين الفردي والجماعي ، حيث يزداد الطغيان وفق نسبة طردية مع زيادة الشقاء البشري ، كنوع من التغطية والتعويض والإسقاط التي يحدثنا عنها علم النفس وهو يحلل التجارب البشرية المرضية الشاذة ، لا الصحية المستقيمة .

المصير المحتوم

وها نحن نرى ، بأم أعيننا ، من خلال التجارب الاجتماعية والذاتية التي يمارسها العالم المتقدم ، مدى اتساع نطاق التعاسة والشقاء البشريين في أتون حضارة جالحة تقف - على كثرة وتنوع معطياتها - قبالة السعادة الإنسانية بمفهومها الشامل العميق الذي يتجاوز مآسي الخوف والحزن والتخزق والإحساس بالعبث والملل واللاجدوى ... وسواء عايشنا هذه التجارب القاسية في أرضها وبلادها معايشة حيوية واقعية مبكرة ، أم قرأنا عنها في المرايا التي تعكسها .. أدياً وفكراً وفناً .. فإننا لن نخرج إلا بنتيجة واحدة مؤكدة أن الإنسان والمجتمع الغربيين الراهنين ليسا من السعادة بمفهومها الكلّي الشامل ، كما يتصور بعض الملتصقين بعصرهم ، الناظرين عبر مقاييس مرحلية ، جزئية آنية ، لا يمكنها بحال أن تعكس لنا الصيغة النهائية لحركة التاريخ البشري ومصير حضاراته المتعاقبة التي كتب لأغلبها التدهور والزوال .. ولن يكون موضوعاً أبدأ من يقف عند حدود تجربة تاريخية ، أو

ومع قرأتنا ومع حركة التاريخ نفسه .. فإن علينا أن ننظر نظرة شمولية في استقراءنا التاريخي ، للتأكد من صدق النظرية القرآنية ، تاريخ البشرية كله ، وأن نمثّل كذلك رؤانا وأحكامنا الاستنباطية المقارنة صوب المستقبل ، وحينذاك ستتكشف لنا حقائق عدة .

فمن جهة كان مصير جميع الرسالات السماوية النجاش الحاسم ، ومصير جميع القيادات الطاغية الباغية الدمار الكامل .. ومن جهة أخرى كانت الجماعات المؤمنة ، حتى في مرحلة كفاحها ومواجهتها لقواعد الكفر التي تفوقها عدة وعدداً ، أكثر سعادة وفرحاً ، وأعمق أمناً يقيناً ، وأشد إيماناً بالمستقبل والمصير من الجماعات الكافرة ، حتى وهي تتولى القيادة وتضع يديها على مصادر القوة والمال في العالم .

ومن جهة ثالثة ليست (السعادة) مسألة جزئية موقوتة أو نسبية محدودة ، إنما هي تجربة شاملة معقدة متشابكة ، يتسع فعلها إلى كل مساحات النشاط البشري ، وتتوغل تعابرها إلى سائر مكونات الإنسان عقلاً وجسداً وروحاً وعاطفة وغرائز ووجداناً ، وإلى شتى مناسط الجماعة البشرية في علاقاتها الداخلية والخارجية ، وفي طبيعة موقفها في العالم .. ومن ثم لا يمكن القول بأن الجنوح المادي الذي طالما

العقدين .. ثم ما نلبث أن تدخل في دوامة الأزمات السياسية والاقتصادية والقومية التي ما زالت تطحنها في عقر ديارها طحناً؟ وليس لنا إلا أن نلتفت صوب ماضينا نحن لكي نرى بوضوح، في حركة تاريخنا المدهشة نفسه، وفي تفجر طاقاتنا الحضارية الفذة، وفي تسلمنا مواقع القيادة الأمامية على كل المستويات، عبر قرون الإسلام الأولى، قرون الإيمان والالتزام والإبداع، والتلقي عن الله وحده والتوجه إليه دون أي شريك .. ثم ما حدث — في القرون التالية — من تعثر كاد يصل إلى حد السكون في حركتنا التاريخية، ونضوب يصل حد التقليد الممسوخ في معطياتنا الحضارية، وخضوع وذلة يصلان حد الاستسلام الكامل للقوى الغازية .. بسبب مغادرتنا — بدرجة أو أخرى — مواقع الإيمان والالتزام والإبداع .. ما يؤكد لنا — على مستوى الواقع — أطروحات القرآن الكريم بهذا الصدد، ويملؤنا يقيناً بالمصير الذي تحدث عنه الآية التي طرقت أسماعنا قبل قليل .

التحقق في الأرض أولا

إنك كثيراً ما تقرأ في كتاب الله عن هذا التوحد في المصير الذي يتلقاه المؤمنون في الأرض والسماء .. ليس ثمة انتظار للوعد في السماء وحدها .. وليس ثمة تعليق للجزاء إلى يوم الفصل، إنها يتحققان هنا في الأرض أولا قبل أن يقوم الأشهاد .

خذ مثلاً هاتين الآيتين ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ (سورة فصلت، الآيتان ٣٠ - ٣١) .

أية سعادة تعدل سعادة الإنسان الذي تحرر

من الخوف والحزن؟ إن كل عذاب يهون إزاء عذاب الخوف والحزن، وكل مصير يحتمل إزاء فتك الحزن ونذير الخوف .. إن الخائفين والمحزونين لا يقر لهم قرار ولا يتذوقون سعادة ولا يحسون طعم الحياة .. إنهم ليسوا أحياء ولكنهم ميتون، قتلهم الخوف والحزن .

إن هذا الخوف وهذا الحزن يبدآن بالأفراد، ولكنها سرعان ما ينعكسان على الواقع الجماعي ويعطيان التاريخ لونه القاتم والحضارة وجودها القلق المهزوز .. إننا نلاحظ اليوم هذا الحزن وهذا الخوف يغطيان مساحات واسعة من خارطة العالم المعاصر، وهو مصير كان لا بد من تحقيقه إزاء العصيان وإزاء الفساد الذي طفى على معظم مساحات الأرض .. ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (سورة الروم، الآية ٤١) .

إن المؤمنين أفراداً وجماعات، كانوا دائماً سعداء، قبل أن ينتقلوا إلى السماء ليضاعف لهم الجزاء ويكتسب صفة الكثافة والدوام والخلود، وقد أتاحت لهم هذه السعادة العميقة، وهذا التوحد الذاتي، وهذا التماسك، فرصة حقيقية لتجميع طاقاتهم كلها، وتوجيهها وجهة بناءة، لتصب في مجرى الحضارة الواسع .

وهكذا انعكس اختيار الأفراد ومصائرهم على طريق الجماعة والأمة ومصيرهما، فكانت الأمم المؤمنة أكثر الأمم فاعلية وإيجابية وإسهاماً في إغناء حركة التاريخ، فكان (الدين) — كما يؤكد كثير من الباحثين — الشرارة التي تشتعل في قلب الإنسان فتثير له الطريق لصياغة العالم وتحضيره وتطويره .

فلنحييه حياة طيبة

وثمة شواهد قرآنية كثيفة، تترى في الذهن، عن هذا الارتباط في المصير الذي يؤول إليه الإيمان، وعن المكاسب الكبيرة والثمار

الحلوة التي يحظى بها المؤمنون في العالم من جراء موقفهم الإيماني :

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل، الآية ٩٧) .

﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبونهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة النحل، الآية ٤١) .

﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ (سورة النحل، الآية ٣٠) .

﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ (سورة هود، الآية ٥٢) .

﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (سورة النحل، الآية ١١٢) .

﴿ فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٤٨) .

﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (سورة المائدة، الآية ٦٦) .

﴿ كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون . فأذاقهم الله الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ (سورة الزمر، الآيتان ٢٥ - ٢٦) .

كانت الآيات التي تربط بين المصير في السماوات والأرض تتدفق في ذهني بإيقاعها المؤثر العميق .. وأردت أن أقدم المزيد .. لكن صوت المؤذن سرعان ما طرق أسماعنا بنداءه الجميل، فغذنا خطانا مستجيبيين للنداء ..

محرم عسني

شعر: محمدرضا آل صادق

ولهُمَّ قلبي بالهوى فترقني
إنني شقيتُ ولم أكن ممن شقي
يا حلوة العينين .. كيف سحرتني
وأسررتني وملكت حتى منطقي
فغرقت في صمت ولذت بحيري
وسبيت بالشال الشفيف الأزرق
أو ما علمت بأن قلبي من جوى
وصباية في خفقة وتشوق
يلتاع من كلف ويكتم ما به
من لوعة مشبوبة وتحرق
قد كان قبلك بالتم ساخراً
حتى تعلق فيك أي تعلق
فلذا به هجان بصرعه الهوى
وجدأ فيا للواله المتعشق
أصميته بسهام لحظ فاتر
وتركته صمغاً ولما تُشفي
هلاً خنوت عليه حين نظرت
ومن الجمال عليك أهي رؤيت
لله قُذُك إذ يسُ برق
يا غصن زنبقة يسُ بزنبق
تتلفتين فكل شيء هائم
بتلفت الرشا الأغصن الشقيق^(١)
يا من قُنت بحسنها ودلالها
ماذا الصدود .. أما .. لنا .. أن نلتقي؟

الهوامش

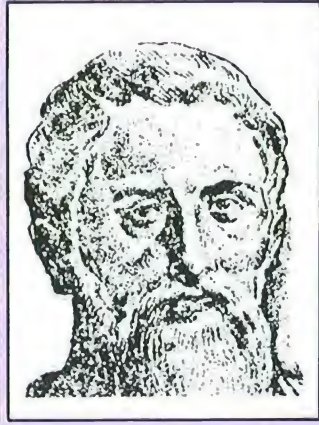
(١) الشيق : المشتاق .



★ داني ★



★ برنارد شو ★



★ أفلاطون ★

قضية الحرية في الأدب العالمي

القضية

بقلم: د. نبيل راغب



★ إيمانويل كانط ★



★ فولتير ★

كانت قضية الحرية الشغل الشاغل للفكر الإنساني منذ فجر الوعي الحضاري . وبالرغم من كل مظاهر الكبت والإرهاب والاضطهاد التي واجهتها الحرية على مر العصور ، فقد استطاعت الصمود والاستمرار ، واستشهد من أجلها الملايين ، لدرجة أن الحرية والإنسانية أصبحتا وجهين لعملة واحدة هي : الكيان الإنساني الحق . وفي الفلسفة والأدب أصبح صراع الإنسان صراعاً من أجل الحرية . ومهما اختلفت المفاهيم عن الحرية ، فهناك حد أدنى منها لا يستطيع أعنى الطغاة أن يتعداه ، وإلا انقلب الأمر إلى ثورة عارمة ضده .

بين هذا الحد الأدنى والحد الأقصى للحرية صال الأدباء وجالوا في أعماهم الشعرية والمسرحية والروائية . فمنهم من رأى في الحرية كلاً لا يتجزأ ، ومنهم من حم ضرورة إحاطتها بسياج كي لا تتحول إلى فوضى . ونكاد لا نجد فيلسوفاً أو أديباً لم يعالج قضية الحرية أو يدلي فيها

بدلوه . فقد قال أفلاطون في « الجمهورية » :

« إن الحرية في أية ديمقراطية هي مفخرة الدولة ، ومن ثم لا يستطيع أن يمارس الحياة الديمقراطية إلا الأحرار » .
أما الشاعر اللاتيني هوراس فقدّم تعريفاً آخر للحرية في قصيدة له بعنوان « هيجو » قال فيها :

« الإنسان الخُرْمة ذلك الغافل الذي يستعبد بالتحكم في شهواته ، ولا يخاف الفقر ، أو الموت ، أو الأصْفاد ، ويقاوم رغبته بقوة ، ويستخف بأبْجَاد العالم ، ويعتمد على نفسه كل الاعتماد ، ويعالج كل ما في أخلاقه من عيوب » .

ويتساءل سينيكا في « رسائله الأخلاقية » عن كنه الحرية فيقول ، إنه يمكن في تخلص الإنسان من عبوديته لشيء أو حاجة أو لأزمة أو لكربة ، وأن تكون حاجته في متناول يده . أما شيشيرون فيؤكد أنه لا جدوى من تهديد الأحرار .

ويقول دانتى إن الحرية – أو الروح التي تنبع منها أحاسيسنا بالحرية – هي أعظم هدية من لدن الله سبحانه وتعالى .

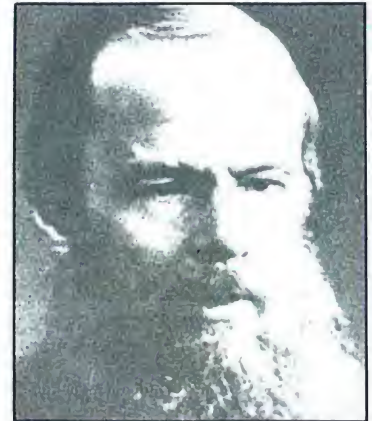
ويكمل فرانسيس بيكون رأي دانتى عندما يقول في مقالة له عام ١٦٠٥ م ، بعنوان « تقدم المعرفة » : إن حرية الكلام تدعو إلى استخدام الحرية في مجالات أخرى . وبذلك نزيد من معارف الإنسان وننمي مداركه .

وفي عام ١٦٤٤ م ، قال الشاعر جون ميلتون إنه عندما تسمع الشكاوى بجرية ، وتبحث بعمق ، وتزال أسبابها ، تتحقق أسْمى أهداف الحرية المدنية التي يتطلع إليها الحكماء . وهذه المفاهيم تتفق تماماً مع جون درايدن الذي يؤكد في قصيدته « بالامون وأوريست » أن حب الجرية

قضية الحرية في الأدب العالمي



★ توماسي ★



★ ديدروبيكي ★

قبل الحياة نفسها ، يجعل الحياة نفسها أروع هبة من السماء .
ومهما تباعدت العصور فإن المفكرين والأدباء يستخدمون أحياناً نفس الألفاظ في التعبير عن مفهومهم للحرية . ففي عام ١٦٧٠ م ، قال سبينوزا في « بحث ديني سياسي » إنه كلما ازداد سعي الحاكم إلى الحد من حرية القول ، تعاظمت المقاومة العنيدة التي يواجهها . ثم تبعه جون لوك عام ١٦٨٠ م ، في مقالة له « عن النظام الحكومي » أكد فيها أن الحرية هي أن يفعل الإنسان ما تملّيه عليه إرادته ، ما دام ذلك لا يتعارض مع القاعدة العامة ، وألا تفرض عليها الإرادة الغاشمة ، المتقلبة ، المجهولة ، التحكية التي يبديها أي شخص آخر .
وفي عام ١٧٧٦ م ، يستبد العجب بتوماس بين في كتابه « الأزمة » عندما يقول : مما يثير العجب حقاً ألا يقام وزن كبير للحرية التي هي هبة السماء . ثم يأتي إيمانويل كانط في رسالته « نحو السلام الدائم » عام ١٧٩٥ م ، ويحتم أن يكون المرء حراً ليتعلم كيف يستخدم قوته بحكمة .

إعلان حقوق الإنسان

وفي أغسطس (آب) عام ١٨٧٩ م ، يتم إعلان حقوق الإنسان مؤكداً أن الحرية هي الاستقلال في فعل أي شيء لا يلحق ضرراً بأي شخص آخر .

وفي عام ١٨٣١ م ، يؤكد جيته في « فاوست » أن الجدير بالحرية والحياة هو الذي يجد دائماً السعي إليها . أما هيجيل في « فلسفة التاريخ » عام ١٨٣٧ م ، فيوضح أن تاريخ العالم ليس سوى تقدم الشعور بالحرية . أما شيللر فيقول في « رسائل عن الجمال والفلسفة » : إنه مهما كان للحرية من عيوب ، فإنها تجذب النفوس النبيلة التي يصعب أن يجتذبها أي نظام اجتماعي راسخ ولكن يفتقر إلى الحرية ، أو مجتمع يكون فيه الناس كقطيع الغنم ، أو آلة تعمل كالساعة . ثم يأتي هاينريش هايني ليقدّم في « مقتطفاته » تعريفاً للحرية فيقول : « الإنجليزي يحب الحرية كأنها زوجته الشرعية . ولئن لم يعاملها بمنتهى الرقة فإنه يدافع عنها ، عند الضرورة ، كرجل . والفرنسي يحب الحرية كأنها زوجته ، إنه يحترق من أجلها كالشعلة .. إنه يجثو أمامها مسرفاً في بسط ما لديه من حجب ، وهو مستعد للقتال من أجلها حتى الموت ، وأيضاً ارتكاب آلاف الحماقات من أجلها . أما الألماني فيحب الحرية كأنما هي جدته » .

ومن المفاهيم التي تركت بصماتها واضحة على الأدب الإنساني ما أكدّه جان جاك روسو في « العقد الاجتماعي » عام ١٧٦١ م ، وفولتير في « القاموس السياسي » عام ١٧٦٤ م ، وجون ستيوارت ميل في « عن الحرية » عام ١٨٥٩ م .

قال روسو : إن الحرية ليست فاكهة تنمو في كل طقس ، ومن ثم فهي ليست في متناول الجميع ، في حين يتساءل فولتير : ما سبب

اختلاف مفهوم الحرية

واختلفت معالجة الأدباء لمفهوم الحرية باختلاف الزمان والمكان . ذلك أن مفهوم متعدد الأبعاد ومعقد ومتشعب في شايها القضايا الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والحضارية . فمثلاً في القرن التاسع عشر ، كانت المشكلة الأوروبية الكبرى الحاسمة — مشكلة اغتراب الفرد عن المجتمع ، وعزلة الإنسان الحديث ووحشته — تتخذ في نظر الروس طابع مشكلة الحرية . ولم يحدث في أي مكان أن عاش المفكرون هذه المشكلة على نحو أعمق وأشد تأصلاً مما عاشها الروس ، كما أن أحداً لم يضطرب بها مثلهم ، ولم يشعر أحد بالجزع إزاء المسؤولية التي تنطوي عليها محاولة حلها بقدر ما شعر تولستوي ودستوفسكي . ذلك لأن بطل « ذكريات من العالم الأدنى » ، وكذلك راسكولينكوف وكيريلوف وايفان كارامازوف ، كل هؤلاء يصارعون هذه المشكلة ، وكلهم يكافحون ضد خطر السقوط في غياهب الحرية غير المقيّدة ، والاختيار الفردي ، والأناثية .

ولم يكن **دستوفسكي** يهدف من رفضه للحرية الفردية غير المقيّدة ، ونقده لأوروبا العقلانية والمادية ، وتمجيده للتضامن والحب الإنساني ، إلا إلى الخيلولة دون تطور لا بد أن يؤدي حتماً إلى نزعة **فلووير** التقدمية بكل ما نعمله في طياتها من شطحات الحرية الفردية المنطلقة بلا ضوابط . فقد كانت الرواية الغربية في بحثها عن الحرية المطلقة تنتهي بوصف الفرد المغترّب عن المجتمع ، الذي ينهار تحت وطأة عزله ، أما الرواية الروسية فتصور ، من البداية إلى النهاية ، الصراع ضد الشياطين التي تحض الفرد على التمرد على العالم والمجتمع الذي يكونه إخوته في الإنسانية . فحب الآخرين يأتي قبل حب الذات ، وحرية الجماعة قبل حرية الفرد .

وهذا الاتجاه جعل الرواية الروسية أشد تحيزاً لغايات محددة من الرواية في أوروبا الغربية . ويرجع **أرنولد هاووزر** هذه الخاصية في كتابه « الفن والمجتمع عبر التاريخ » إلى احتلال المشكلات الاجتماعية مركز الصدارة الفكرية والفنية مدة أطول ، ودون منافس ، إلى حد يزيد عما كان حادثاً في الأدب الغربي . فقد كان الارتباط بالمسائل السياسية والاجتماعية الجارية أوثق منذ البداية ، في حالة الأدب الروسي منه في أعمال الأدباء الفرنسيين والإنجليز في الفترة نفسها . ففي روسيا لم يترك الحكم المطلق وانعدام الحرية للطاقت الذهنية أية فرصة لممارسة نشاطها إلا من خلال الأدب ، وأدت الرقابة إلى حصر النقد الاجتماعي في المجالات الأدبية ، التي كانت المتنفس الوحيد لهذا النقد على حد قول **د . س . ميرسكي** في كتابه « تاريخ الأدب الروسي » .

وعلى الرغم من أن التضاد بين **دستوفسكي** و**تولستوي** من أعمق ما يكون ، فإن هناك وحدة أساسية بينهما في موقفهما من مشكلة الفردية والحرية ، فكلاهما يرى أن تمرد الفرد من المجتمع وعزله ووحشته ، هو أكبر الشرور الممكنة ، وكلاهما يرغب في تجنب تلك الفوضى التي تهدد باكتساح الفرد المغترّب عن المجتمع . وعند

ندرة الحرية إلى هذا الحد ؟ . . . ذلك لأنها أثبتت جوهرية عرفتها الإنسانية . أما ميل فيحدد مفهومه للحرية الوحيدة الجذيرة بهذا الاسم بأنها تسعى إلى ما فيه الخير لنا بطريقتنا الخاصة ، ما دمنا لا نحاول حرمان الآخرين من حرياتهم أو نعرقل جهودهم في سبيل الظفر بها .

وحق الأدباء والنقاد الذين لا يجمع بينهم اتجاه فكري وفني واحد ، نجد أن مفهومهم للحرية يكاد يتطابق . يقول الشاعر الأميركي **ويتمان** في « أوروبا » عام ١٨٥٥ م : « إن كل قبر يضم رفات شخص استشهد في سبيل الحرية يتحول إلى جذر لها ، إذ فيه بذرة تحملها الرياح إلى مكان قصي ، وتعيد زرعها ، وتغذيها الأمطار والثلوج » .

في حين يقول **برنارد شو** في « أمثال للثوريين » ١٩٠٣ م : « إن الحرية معناها المسؤولية ، وهذا السبب يخشاها معظم الناس » .

وفي عام ١٩٤٠ م ، قال الناقد الإيطالي **بنديتو كروتشي** في « جذور الحرية » : « إنه حين تموت الحرية عند الآخرين يحين الوقت الذي ينبغي لنا فيه أن نستأنف نسج قماشها دون تفكير » .

أما **سومرست موم** في كتابه « شخصي جداً » عام ١٩٤١ م ، فيوضح أنه إذا اعتزت أمة بشيء أكثر من اعتزازها بالحرية ، فإنها تفقد حريتها . ومما يثير السخرية أنها إذا حرصت على الراحة والمال أكثر من حرصها على الحرية فإنها ستفقدتها أيضاً .

الحرية مذهب فكري

ولقد تحولت الحرية إلى مذهب فكري عرف بالليبرالية ، فهناك السياسة الليبرالية والأدب الليبرالي . . . إلخ . وهذا المذهب يركز على أهمية حرية الفرد ورفاهيته ، وإمكان التقدم الاجتماعي من خلال تحديد التنظيم الاجتماعي أو تغييره . وقد نشأ مذهب الحرية وتطور إبان القرنين الثامن والتاسع عشر ، كحركة واهية نمو الحرية الفردية في مجالات عديدة من الحياة : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، ودينية ، وفكرية ، وفنية . ودعمت الدعوة لتطوير الديمقراطية ، وتعميم الحقوق الانتخابية ، وتأکید حرية التعبير ، والقضاء على العبودية ، وتوسيع نطاق الحريات المدنية .

ومن أهم خصائص هذا المذهب معارضته لسيطرة الحكومة أو الطبقة العليا على الفرد ، وتدعيمه للمنافسة الحرة في الميدان الاقتصادي ، ورفضه معظم صور التدخل الحكومي في الأنشطة الاقتصادية . ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، بدأ الليبراليون يعتقدون بأن تحرير الفرد من الضبط الأوتوقراطي ليس كافياً في حد ذاته ، ولذلك على الحكومة ، بوصفها هيئة الممثلة للمجتمع ، أن تتخذ خطوات إيجابية لضمان حرية كل فرد في المجتمع ورفاهيته . ولذلك ساندت الليبرالية في القرن العشرين نمو عدد من التنظيمات الحكومية ، كالقوانين المتصلة بالأجور ، وساعات العمل ، والطعام ، والخقوق ، والحريات المدنية . . . إلخ .

دستيفوسكي بوجه خاص ، يدور كل شيء حول قضية الحرية ، وليست رواياته الكبرى إلا تحليلاً وتفسيرات هذه الفكرة .

الحرية عند الرومانسيين

ومن المعروف أن القضية ذاتها ليست بالجديدة ، فقد كانت تشغل الرومانسية دائماً . ومنذ عام ١٨٣٠ م ، أصبحت لها مكانة رئيسية في الفكر السياسي والفلسفي ، على أن الحرية كانت تعني ، في نظر الرومانسية ، انتصار الفرد على التقاليد ، ولم تكن الشخصية في نظرها تعد حرة خلاقة إلا إذا كان لديها من القوة المعنوية والشجاعة ما يمكنها من تجاهل التحيزات الأخلاقية والجمالية السائدة في عصرها .

وقد صاغ ستاندارل المشكلة على أنها مشكلة العبقرية ، وخاصة نابليون ، الذي كان النجاح في نظره مسألة فرض صارم لإرادته ، وشخصيته العظيمة ، وطبيعته المندفعة . وكان يبدو في نظره أن تعسف العبقرية وما يستلزمه ذلك من ضحايا ، هو الثمن الذي يتعين على العالم أن يدفعه مقابل ميلاد أبطاله الروحيين .

ويمثل راسكولينكوف عند دستيفوسكي المرحلة التالية في هذا التطور . فهو يرمز للعبقرية الفردية التي تطمح إلى الحرية الشبيهة بالخيال . فلم تعد الشخصية تتطلب ضحايا لها في سبيل فكرة عليا ، بل مجرد إثبات قدرتها على السلوك الحر المستقل . وأصبحت القضية التي تطرح نفسها بشدة هي : هل الحرية الفردية قيمة في ذاتها ؟ والواقع أن دستيفوسكي لم يحسم هذه القضية كما يبدو لأول وهلة .

قضية الحرية في الأدب العالمي



★ تولستوي ★



★ دوستوفسكي ★

صحيح أن النزعة الفردية تؤدي قطعاً إلى الفوضى والاضطراب ، ولكن إلى أين يؤدي القهر والنظام ؟ في قصة « المفتش الأكبر » يعرض دستيفوسكي القضية في إطارها الأشمل والأعمق ، ويمكن أن يعد الحل الذي توصل إليه دستيفوسكي تلخيصاً شاملاً لمفهومه عن الحرية . فالقضاء على الحرية يؤدي إلى ظهور نظم جامدة ، وإلى إحلال المظهر محل الجوهر ، والدولة محل الفرد ، وتأكيدات الشعارات المرفوعة محل عدم استقرار البحث والتساؤل .

الحرية .. والفرد .. والمجتمع

ومن الواضح أن أهمية قضية الحرية عند تولستوي لا تساوي على الإطلاق أهميتها عند دستيفوسكي . ولكنها في حالته بدورها مفتاح لفهم شخصياته من الناحية التكنولوجية والأخلاقية . وهو يعرض شخصية ليفين ، بصفة خاصة ، على أنها تجسيد حي لهذه القضية . ويدل عنف الصراعات الدائرة داخل ليفين على مدى جدية صراع تولستوي نفسه مع فكرة اغتراب الفرد المتروك لمصيره الخاص المستقل . لقد كان دستيفوسكي على حق ، لأن « أنا كارينينا » ليست رواية ساذجة بريئة على الإطلاق . إنها رواية حافلة بالشكوك ، ووخز الضمير ، والخاوف . والفكرة الأساسية التي تربط بين قصة « أنا كارينينا » وبين قصة « ليفين » هي قضية انفصال الفرد عن المجتمع ، وخطر الحرية عندما تتحول إلى حياة بلا وطن .

ولقد كان نفس المصير الذي راحت أنا كارينينا ضحية له نتيجة لممارستها الحرية الفردية من خلال ارتكابها الزنى ، يهدد ليفين نتيجة لنزعة الفردية ، ولنظرة إلى الحياة على نحو متحرر من التقاليد ، ومشكلاته وشكوكه الغربية . وكلاهما مهدد بخطر الطرد من مجتمع الناس المحترمين الأسوياء ، وكل ما في الأمر أن « أنا » تتحرر طواعية من قيود المجتمع منذ البداية ، على حين أن ليفين يفعل كل ما في وسعه كي لا يفقد الصلة بينه وبين المجتمع . إنه يخاف الحرية بعيداً عن قيود المجتمع ، فهو يتحمل عذاب زواجه ، ويدير شؤون ضيعته ، ويرضخ لكل تقاليد البيئة وتحيزاتنا ، شأنه شأن جيرانه ، أي أنه بالاختصار على استعداد لعمل أي شيء مجرد ألا يصبح خارجاً عن القانون ، مقتلاً من جذوره ، شاذاً ، غريباً على حد قول ليو شيستوف في كتابه « دستيفوسكي ونيتشه » .

غير أن العداء للفردية عند دستيفوسكي وتولستوي يكشف عن الفارق الكبير بين طريقتيها في التفكير . فاعتراضات دستيفوسكي ذات طابع أقرب إلى الصوفية والخيال . وهو يفسر مبدأ الفردية بأنه هروب من روح العالم ، ومن الأصل الأول ، الذي يتخذ شكلاً تاريخياً عيبياً يمكن التعرف عليه في عامة الناس ، والأمة ، والجماعة الإنسانية . أما تولستوي فيرفض الفردية بناء على أسباب عقلية خالصة ، مرتكزة على فكرة السعادة . فمن المستحيل أن يؤدي انعزال الفرد عن

المجتمع إلى جلب السعادة أو الرضا له . فالحرية الفردية لا تتفق مع السعادة الإنسانية ، والإنسان لا يستطيع أن يجد راحة وإرضاء إلا في إنكار الذات ، والتفاني في سبيل الآخرين .

أما أندريه مالرو فلا يرى تناقضاً بين حرية الفرد وقيود المجموع ، بل على النقيض من هذا فإنه يؤمن إيماناً عميقاً بأن الحرية الفردية والكيان الاجتماعي وجهان لعملة واحدة هي : الوجود الإنساني المتكامل . فلا يستطيع أحدهما الاستغناء عن الآخر .

وبرغم صعوبة القضية من ناحية التطبيق ، فقد خاضها مالرو بكل قواه الفنية والعملية ، وآمن أن دور الفن العظيم يتمثل في بحثه عن هذا التناغم بين الكيان الفردي والبناء الاجتماعي . وتاريخ الفن عند مالرو هو تاريخ تحرر الإنسان . فإذا كانت دائرة القدر والمصير التي حكم على الإنسان ألا يتخطى حدودها ، حتمية لا مفر منها ، فإنها لا تعني في وقت نفسه ألا يتسلح الإنسان بالوعي بحثاً عن حريته . وإذا لم تتحقق حريته كما يرضاها فيكتفي شرف المحاولة . وعلى الفن أن يساعد الإنسان في بحثه عن الحرية ، وخاصة أن الفن سلاح فعال في تعميق وعي الإنسان سواء بمصيره أو بحريته . وحياء مالرو نفسها كانت مواجهة للمصير بحثاً عن الحرية .

والقضية الأولى عند مالرو ليست سوى الدفاع عن حرية الإنسان وشرفه . وأي أدب راق لا بد أن يحمل هذه المهمة على عاتقه وإلا كان موقفه ضد الإنسان ، وبالتالي فإن مصيره إلى الاندثار . وشخصيات مالرو تستمد شرفها وكرامتها من جهادها لمحاربة الكبت والإرهاب والظلم في حياة الإنسان والمجتمع . وكل روايات مالرو — دون استثناء — عبارة عن تنوعات مختلفة على هذه الثغمة الأساسية . إن بطل رواية « الأمل » مثلاً ، لا يجارب كفائد سرب دفاعاً عن شعارات عالماً المعاصر ، ولكنه يجارب لينقذ شرف الإنسان وحرية . والمعنى الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يحصل عليه حياته هو في كفاحه العنيد والمستمر من أجل هذه القيمة الإنسانية العظيمة . فالوجود الإنساني بلا كفاح من أجل الحرية لا معنى له ولا قيمة . وبالتالي فلا شرف له . ولذلك يبدو الكفاح في روايات مالرو ضرورة أخلاقية لا مفر منها .

الحرية بين الثبات والتجريد

ويضيق بنا المجال لتتبع قضية الحرية عند مختلف أدباء العالم ، ولكن رأي جان بول سارتر الذي ضمته في كتابه « ما الأدب ؟ » يمكن أن يضع لمسة ختامية هذه القضية الخطيرة المتشعبة . فالأدب — عند سارتر — لا يتوجه إلى قارئ عالمي بقدر ما يخاطب قارئاً في وطن خاص في موقف محدد . ولذلك فالحديث عن الحرية في معناها التجريدي لا يجدي ، لأنها لا تكتسب معناها الحق إلا في موقف معين . فهي في معناها الإنساني مقيدة ، بها يتخلى الإنسان عما يضر بحرية الآخرين .

والأديب نفسه يدرك أنه يتحدث عن حريات متعثرة ، وحتى حريته هو ليست خالصة تماماً ، وتخضع لنسبة ظروفه السياسية والاجتماعية .

ولو نظرنا إلى الحرية نفسها من زاوية الثبات والتجريد المطلق لبدت غصناً جافاً ، إذ هي كالبحر في حركة لا تزال تبدأ أبداً . إنها الحركة الدائبة التي يتخلص بها الإنسان مما يعوقه فيتحرر . وهي — في جميع أشكالها — لا تمنح ، بل على الإنسان أن ينتصر على شهواته وجنسه وطبقته وأمته ، فينتصر بذلك على الآخرين . ويتوقف الأمر في هذه الحالة على طبيعة العقبة التي يحاول اقتحامها ، وعلى المشابة في سبيل النصر . فهذه هي الصورة التي تتخذها الحرية لنفسها في كل الأحوال .

ومشكلة الأديب أنه عندما يتحدث عن الحرية ، سيجد نفسه مدافعاً عن الحرية الخالدة التي رفع شعارها كل من أراد السطوة ابتداء من نازية هتلر وشيوعية ستالين وانتهاء بالديمقراطيات الرأسمالية . فإذا كان مبدأ الحرية في ذاته يسلم به حتى أعدى أعدائها ، فإنه يصبح من الضروري ، بالنسبة للأديب ، أن يلقي الأضواء في أعماله على كل من الأصدقاء الحقيقيين والأعداء الحقيقيين للحرية من خلال تحديد المواقف المادية الملموسة .

والحرية التي يدعون إليها الأديب ليست شعوراً مجرداً خالصاً بحرية الإنسان . فالحرية ، إذا راعينا الدقة في التعبير ، لا وجود لها ، بل توجد فقط في موقف تاريخي خاص . فكل عمل أدبي دعوة إلى تحرير معين على أساس التنازل عن أمور خاصة للإنسان ، إذ في كل إنسان جنوح خفي إلى نظم وعادات وأشكال من الجور والصراع ، وإلى العقل والجنون في شؤون يومه ، وإلى حقائق واضحة أو جهالات ، وإلى آمال ومخاوف ، وإلى تقاليد وقيم مورثة ، وإلى عالم بأكمله يشترك فيه الأديب والقارئ .

الحرية .. والمسؤولية

وهذا العالم المعروف كل المعرفة هو الذي ينفث فيه المؤلف الحياة ويستمد منه حريته ، وعلى أساسه ينجز القارئ تحرره الخاص به . ففي هذا العالم يتجلى ما يجب أن يتخلى عنه الإنسان ، ويتضح الموقف الذي يتحتم عليه أن يتخذه . ثم المسؤولية التي تترتب على هذا الموقف . فالحرية بدون مسؤولية فوضى وإحلال ، والمسؤولية دون حرية كبت واستعباد . ومن هنا كانت المعادلة الصعبة التي حاول معظم أدباء العالم بلورتها في أعمالهم الشعرية والمسرحية والروائية .



جاءت عن طريق نظرة إلى الجانب الآخر ، إلى الحجر الذي سوف يبقى في هذا الصندوق .

تقدمت الفتاة الجميلة إلى صندوق العجوز الغني وفيه الحجران الأسودان ، ومدت يدها وسحبت أحد الحجارة ولم تظهره ، وطلبت إلى الوسيط أن ينظر إلى الحجر المتبقي . نظر الوسيط ليراه أسود وليستنتج أنها قد سحبت الحجر الذي يفترض أنه أبيض ، وليحكم بتحرير الفتاة وأبيها .

بهذا النوع من التفكير ، أوقعت الفتاة الذكية العجوز الغني في حفرة الغش والخداع التي أراد بها أن يضمن تحقيق ما يريد .

هذه القصة تعطي المثل وتظهر الفرق بين التفكير العمودي المتسلسل في قضية ما وبين التفكير عن طريق النظر إلى القضية من جوانب أو زوايا مختلفة أو ما يمكن أن يسمى بالتفكير الشمولي الإبداعي المتعدد الجوانب .

والتفكير المتسلسل العمودي هو التفكير الأكثر استخداماً ، حيث تبني على أساسه قواعد التعليم ، وقوانين العمل ، ونظم الحياة . فالمدرسة تقوم ببناء الطفل خطوة خطوة إلى أن يصبح شاباً متعلماً . فهي تقدم إليه الحرف ، ثم الكلمة ، ثم الجملة ، ثم الموضوع ، وتنتقل به من الأحاد إلى العشرات إلى المئات والألوف ، وتعلمه الجمع قبل الضرب والطرح قبل القسمة . والمؤسسة تقوم بوضع قواعد عمل لنفسها . نحدد أهدافها أولاً ، ثم ندرس سبل تحقيق الأهداف ونختار منها سبيلاً ، ثم تبني خطوات متسلسلة وفق السبل المختار ، ثم توفر الأدوات اللازمة للعمل ، وتوزع المهام على العاملين ، ليسلك عملها بعد ذلك خطوات متسلسلة عمودياً ، وتكرر مراراً حسب ما هو مطلوب .

ولعله من المجاز القول إن للتفكير العمودي خاصيتين :

★ الأولى أنه بمائل بناءً يعتمد كل حجر فيه على ما قد بني قبله .

بين الحجر العمودي والإبداعي

بقلم: د. سعد الحاج بكري

تأخذ منها كل التفكير) لمعت في ذهنها فكرة ، تبقي على الحجرين الأسودين في الصندوق ، وتنفذ ما اتفق عليه الرجال الثلاثة ، وفي نفس الوقت تتحرر وأبوها من العجوز الغني .

فكرة لم تأت عن طريق تفكير عمودي متسلسل لمراحل واحتمالات القضية كما هي معطاة ، وإنما جاءت عن طريق استيعاب شامل للقضية من جوانب مختلفة .

فكرة لم تأت عن طريق الاهتمام بالحجر الذي سوف تقوم بسحبه من الصندوق ، وإنما

قال الدائن للمدين : أريد أموالاً أو ابنتك ... احتار المدين في أمره ، فهو لا يستطيع أن يقول نعم للاختيار الأول ، فلا حيلة لديه في إعادة الأموال . وهو لا يريد أن يقول نعم للاختيار الثاني ، فلا قناعة عنده في تزويج ابنته الجميلة من هذا الغني العجوز . وممن الرفض وهو الاختيار الثالث هو قضاء بقية العمر في زنزانة السجن .

إذن لا بد من البحث عن حل آخر . احتكم الفقير إلى رجل ثالث ، واتفق الثلاثة على أن يحضر الدائن العجوز صندوقاً يحوي على حجرين ، أحدهما أبيض والآخر أسود ، على أن تمد الفتاة يدها إلى الصندوق فتسحب أحد الحجرين . فإن التقطت الأسود ، قبلت زواج العجوز ، وإن التقطت الأبيض ، حررت نفسها وأبائها .

وفي يوم تنفيذ الاتفاق ، حضرت الفتاة مع أبيها مهمومة مغمومة ، شاردة الفكر ، زائغة العينين . وبينما هي في هذه الحالة ، لمحت عن بعد بعينها الحادتين الجميلتين ، الرجل العجوز وهو يضع حجرين أسودين في الصندوق ، كي يضمن كسب الغنيمة الثمينة . احتارت الفتاة المسكينة في أمرها .. ماذا تفعل ؟

* هل تستسلم إلى ما يبدو أنه قدرها فتقدم على سحب حجر لا بد أن يكون أسود ، وتقبل زواج هذا العجوز الغادر من أجل إنقاذ والدها ؟
* هل ترفض ما اتفق عليه الرجال الثلاثة وتحطم حياة والدها التيس ؟

* هل تفضح غش العجوز وتثير معه عداً لا تحله وساطة وهو في موقع الأقوى ؟

تلك هي الاختيارات التي قادها إليها تفكيرها العمودي المتسلسل . وفجأة (وقضية مصيرها الذي سوف يتقرر بعد لحظات

★ **الثانية** أنه عملية روتينية يمكن تكرارها من أجل حالات ومسائل متشابهة . هاتان الخاصتان تجعلان من الحاسب الآلي أو ما يسمى بالعقل الإلكتروني مفكراً عمودياً من الطراز الممتاز .

فالحاسب الآلي مبني أساساً على تنفيذ خطوات متسلسلة تعتمد كل خطوة فيها على ما قبلها ، وهذا تطبيق للخاصية الأولى . ثم إنه قادر على تكرار تنفيذ مجموعة خطوات حسابية معينة بسرعة فائقة ، وهذا تطبيق للخاصية الثانية . لكن إطلاق وصف عقل مفكر على الحاسب الآلي هو عملياً تجاوز ، فالحاسب الآلي يعمل فقط على تكرار فكر إنسان وضع التعليمات والخطوات لحالة عامة ، هي مثلاً : تحديد المرتب الصافي لموظف في شركة ما ، ليقوم الحاسب بسرعه الفائقة بتكرار هذه الخطوات من أجل جميع موظفي تلك الشركة .

إذا كان التفكير العمودي هو تفكير التعليم والتطوير ، والتنظيم والتخطيط ، فإن التفكير الشمولي المتعدد الجوانب هو التفكير الذي يولد الأفكار الجديدة . فحيث وقف التفكير العمودي عاجزاً عن حل مشكلة الفتاة الجميلة ، جاء التفكير الشمولي الإبداعي ليقدم حلاً رائعاً . وحيث اعتمد علم الميكانيك على قوانين نيوتن لمئات السنين ، جاء أينشتاين ، ويدون إجراء أي تجارب ، أو جمع أي معلومات جديدة ، لينظر إلى المعلومات التي جمعها غيره ، والتجارب التي أجراها الآخرون ، نظرة شمولية جديدة مكنته من وضع نظرية النسبية التي غيرت أساس ذلك العلم وأعادت صياغته من جديد .

والتفكير العمودي يقيد العقل باحتمالات محدودة ، فلقد أتاح التفكير العمودي للفتاة ثلاثة اختيارات أمام مشكلتها ، ولم يكن أي من هذه الاختيارات مرضياً ، فقفزت بفكرها خارج الإطار المحدود لتنظر إلى الحجر المتبقى بدل الحجر المسحوب .

وفي التاريخ العربي أمثلة كثيرة للتفكير الشمولي الإبداعي الذي لا يقيد نفسه بخطوات وتسلسلات . ولعل منها ما اقترحه الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه الوحي على زعماء قريش حيناً دب الخلاف بينهم حول وضع الحجر المقدس في مكانه . فقد قادهم التفكير العمودي المتسلسل إلى أن أحدهم سوف يضع الحجر ، وهذا إما أن يكون مديناً بالانتماء إلى هذه الأسرة أو تلك العشرة ، ليأتي محمد عليه الصلاة والسلام ويقول لهم : **ضعوا الحجر على ثوب ، وليشارك كل منكم في حمل الثوب ونقل الحجر** . فإذا كان التفكير العمودي هو تطوير وتعميق حفرة أو بئر ، فإن التفكير الإبداعي هو اختيار مكان آخر لحفرة جديدة .

وقد تختلف الفكرة الجديدة في سرعة توليدها وفي أهميتها ، فهي تعتمد على عاملين أساسيين . الأول هو دراسة واستيعاب الموضوع بكل احتمالاته عن طريق التفكير العمودي المتسلسل . والثاني هو انتظار لحظة تنفّز فيها فكرة جديدة إلى الوجود .

ولعله يبدو أن انتظار تلك اللحظة يعتمد على الصدق ، لكن الحقيقة هي أن البحث المتعمد عن أفكار جديدة في موضوع ما بعد استيعابه يقرب حدوث تلك الصدق . فلقد بحثت تلك الفتاة أمام تحدي المعجوز عن فكرة جديدة تحت ضغط حالة من اليأس لتجد أملاً يشرق أمامها وأمام والدها الفقير .

قصة الفتاة كانت قضية ذات أهمية محدودة ، أعطت تأثيراً محدوداً لم يتجاوز أشخاصاً ثلاثة . أما نظرية أينشتاين في النسبية ، فقد كانت فكرة أثرت على العالم أجمع حاضراً ومستقبلاً . فإذا كانت الفتاة قد استوعبت قضيتها في دقائق ، فقد ظل أينشتاين سنين حياته يدرس علم الميكانيك قبل أن يستوعبه تماماً ، ليعطي بعد ذلك من فكره الإبداعي ما يغير الفهم الشمولي لهذا العلم .

ومع ذلك تبقى الفكرة الجديدة ولو اختلفت

أهميتها نوعاً من الإبداع . ولقد قال نابليون إن الأفكار التي كان يحاول أن يقدمها لزوجته للتخلص من كليها ، كانت بالنسبة إليه أكثر صعوبة في إيجادها من الأفكار التي كان يهزم بها أعداءه ، ربما لأنه استوعب مهنة الجندي أكثر من المرأة .

لعل ما تقدم قد أفاد في إلقاء الضوء على الاستنتاجات التالية :

* **إن التفكير المتسلسل العمودي هو التفكير الذي يتناسب مع النظرة العقلية المنتظمة لأمر الحياة** . فهو لذلك الأساس في الدراسة والتعليم والاستيعاب والتنظيم ، وهو الأكثر رواجاً في الحياة اليومية .

* **إن التفكير العمودي يحدد نفسه ضمن إطار المعطيات والاحتمالات المتسلسلة للقضايا التي يواجهها** ، وبالتالي فقد لا يستطيع أن يقدم الجمل الأمثل لكل قضايا الحياة .

* **إن التفكير الشمولي الإبداعي المتعدد الجوانب يبدأ حيث يقف التفكير العمودي المتسلسل ليلقي الضوء على القضايا التي يواجهها من جوانب مختلفة** ، وذلك من أجل إيجاد أفكار جديدة ذات فائدة أكبر .

* **إن الأفكار الجديدة تولد عادة عن طريق الصدق** ، لكن البحث المتعمد عنها بعد استيعاب المسائل المطروحة ، يقرب حدوث تلك الصدق ولو أنه لا يلغي دورها .

* **إننا في حياتنا اليومية يجب أن نعتمد على التفكير العمودي المتسلسل لفهم القضايا المطروحة** ، على أن لا نقيد أنفسنا دائماً ضمن إطاره ، فلقد نستطيع بالتفكير الشمولي الإبداعي إيجاد أفكار جديدة ذات تأثير أفضل وفاعلية أكبر .

لئن كان التفكير العمودي هو الأساس في حياتنا اليومية المنتظمة ، فإن التفكير الإبداعي هو سبيل تطوير حياتنا وتجديدها .

عرفت الدولة الإسلامية منذ فجر الإسلام رقابة شبيهة بتلك التي يمارسها مجلس الدولة الفرنسي أو المفوض البرلماني السويدي على أعمال الحكام والولاة بل والخلفاء ، هذه الرقابة التي عرفت باسم «ولاية المظالم» والتي كانت نواة للقضاء الإداري في الإسلام .
ولقد كانت ولاية المظالم هي قضاء كامل فعال يبرز في أثره واختصاصاته وأبعاده الكثير من النظم القضائية في عالم اليوم .

ديوان المظالم أو القضاء الإداري في الإسلام

بقلم: عامر الخطيب

أصل ولاية المظالم

ومن تتبع الأصول التاريخية لولاية المظالم ، سوف يجد أنها تعود إلى (حلف الفضول) الذي أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة المحمدية ، وأن أصل هذه الولاية الشرعي يتصل بمقتضيات الشريعة الإسلامية وأوامرها المفروضة على الأمة الإسلامية حسبما بصرح بذلك القرآن الكريم ، وتجري عليه السنة النبوية في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تحرم الظلم وتعد مرتكبه بالعذاب الأليم . وإن رفع الظلم ونصرة المظلوم هو من صميم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما واجبان على كل فرد من المسلمين ومن جماع الدين . وهذا الواجب المقرر شرعاً ليس مطلوباً في مواجهة الأفراد فقط ، بل حتى وإن كان من الوالي أو الخليفة نفسه الذي اختير اختياراً شرعياً ، فالواجب المقرر هو رفع الظلم أو تقويم المنكر أننى كان مصدره .



مكتبة
٨٩١٤

مجلة الفيصل العدد (٦٠)

ومنى كان رفع الظلم ونصرة المظلوم أمراً مقررراً ومجمعاً عليه ، كان لا بد أن ترفع كل ظلامة تقع على من يخضع لسلطان الدولة الإسلامية . ولو ترك الأمر على غاربه ، وتركت المنازعة الإدارية وشأنها ، وأخلي بين الفرد والحاكم كل يتدافع ويتصارع لنفذت شريعة الغاب ، وكان البقاء للأقوى ، ولتغلب الحاكم دائماً ، أياً كانت بواطنه . إذ تتركز بين يديه القوة المادية ، يديرها ويصرفها كما يشاء . وقد أدركت الدول بعد تجارب طويلة ، أن ذلك ليس من صالح الجماعة في شيء ، وأن القانون **مبدأه الأساسي هو العدالة** بين ومحكومين — فنشأت فكرة وجود قاض عادل تعود إليه المنازعة الإدارية ، يقارن بين المصالح المتنافرة محاولاً التوفيق بينها . . قاض يلجأ إليه الفرد الذي تعوزه القوة في مواجهة السلطة الحاكمة ، فبردها القاضي إلى جادة الصواب ، يهدر ما صدر منها مخالفاً للقانون ، ويجبر ما نجم عن خطئها من ضرر . على أن يكون في كل ذلك حذراً متبصراً واسع الأفق عميق النظر ، ذكي التفكير ، لا يغيب عن بصره أن الأمة يجب أن تعيش ، وأن على الفرد أن يتحمل القدر المقول في سبيل الجماعة التي هو جزء من بنيتها ، وخلية من خلاياها . فهذا القاضي الذي ينظر في هذه المنازعة الإدارية ، هو ما اصطلاح على تسميته **بالقاضي الإداري** (Juge Administratif) وقضاؤه هو **القضاء الإداري** (Jurisprudence Administrative) .

ابن الخطاب يؤكد هذا المعنى : فهو يعلن أن صلاحيات الوالي ليست مطلقة ، إذ عليه أن يستعملها لما فيه الخير العام ، أي أنها محدودة حسب التعبير القانوني الحديث بقيد عدم الانحراف بالسلطة ، وفي ذلك يقول : «إني لم أستعملكم على أمة محمد ، على أشعارهم ولا على أبشارهم ، إنما استعملتكم عليهم لتقيموا الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل . وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم . ولا تجلدوا العرب فتذلوا ، ولا تجمهروها فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها . جردوا القرآن ، واحكموا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم» .

وهو يطلب بعد ذلك من الناس ، أن يرفعوا إليه ما خرج من أعمال الولاية ، عن القواعد الشرعية السليمة حتى يجازي الأثم بما ارتكبه .
خطب مرة فقال : «أيها الناس إني والله ما أرسل عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنني أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه» . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية ، فأدب بعض رعيته ، أنك لتقصنه منه ؟ قال : «أي ، والذي نفس عمر بيده ، إني لأقصنه منه ، وكيف لا أقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجمهروهم فتفتنوهم ، ولا تمنوهم حقوقهم فتكفرون ، ولا تنزلون الغياض فتضيعوهم» .

وذهب عمر إلى أبعد من ذلك ، فكان يستدعي الولاية في مواسم الحج ، ليفضح الجائر منهم على رؤوس الأشهاد ، أو يبعث من يتحرى عنهم . وكان ثقته في ذلك محمد بن مسلمة ، ويحقق بنفسه كل شكوى ترفع إليه ، مهما كانت مرتبة الوالي ، كسعد بن أبي وقاص فاتح القادسية والمدائن ، وعمار بن ياسر عندما شكاه قوم من أهل الكوفة ، بأنه ليس بأمير ، ولا يحتمل ما هو فيه ، إذ أمره أن يقدم إليه مع وفد من أهل الكوفة ، وسأل الوفد عما يشكون من عمار ، فقال قائلهم : إنه غير كاف ولا عالم بالسياسة ، وقال آخر : إنه لا يدري علام استعمل ، فاختره عمر ، فلما لم يحسن الإجابة في بعضه عزله^(٥) .

وأهل حمص عندما شكوا عاملهم سعيد بن عامر ، وسألوا عمر عزله ، لأنه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار ، ولا يجيب أحداً ليل ، وله في الشهر يوم لا يخرج فيه ، حقق عمر في الأمر بنفسه . فلما أيقن أن عامله يعجن كل يوم خبزه ، ويجلس حتى يختمر ، فيخبزه ، ثم يخرج للناس ، وأنه يجعل الليل كله للعبادة ، ويشغل مرة في الشهر بغسل ثيابه ، بعث إليه بألف دينار يستعين بها ، فوزعها سعيد على جيش من جيوش المسلمين^(٦) .

ولما ظهر نظام البريد وُكل إلى صاحب البريد التحري عن الولاية^(٧) ، فكان بذلك صاحب الأخبار الرسمي . ويرى آدم ميتز

(ADAM-MEZ) أن العرب قد نقلوا ذلك عن البيزنطيين ، إذ كان لصاحب البريد في عهد قسطنطين الأكبر أعوان يسمون (Veredarci) أي نقلة الأخبار الذين يركبون الخيل ، يمدونه بالأخبار ، وجاء في عهد بولاية بريد ، ما يوجب على صاحب البريد «أن يعرف حال عمال الخراج والضياح ، وما يجري عليه أمرهم ويتبع في ذلك تتبعاً شافياً . ويستشفه استشفافاً بليغاً ، وينبهه على حقه وصدقه . وما يجري في أمور الرعية فيما يعاملون به ، من الإنصاف والجور والرفق والعسف ، فيكتب به مشروحاً . . وأن يعرف ما عليه الحكام في حكمهم وسيرهم وسائر مذهبهم وطرائقهم . . . وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أنصاف الأخبار كتباً بأعيانها يفرد لأخبار القضاة وعمال المعادن والأحداث والخراج والضياح وأرزاق الأولياء ونحو ذلك ، كتباً ليجري كل كتاب في موضعه» .

من أين لك هذا؟

ونجد اليوم أن الدول الحديثة المتقدمة تعتبر أن من مكاسب نهضتها إصدار قوانين من أين لك هذا التي يصادر بموجبها الكسب غير المشروع أي نتاج استغلال الوظيفة العامة ، وهو ما أخذت به بعض الأقطار العربية عن الغرب (كما هو عهدنا بالتشريع) ولم نذكر يوماً أن الإسلام قد عرف هذا النظام منذ أيامه الأولى ، وأنه طبقه تطبيقاً كاملاً ، تقصر دونه النصوص الحالية . فقد كان عمر يصادر لصالح بيت المال كل ما يطرأ على ذمة الولاية أثناء ولايتهم من مال . ويمنع عليهم العودة إلى أوطانهم ليلاً ، حتى يعرف الناس والأرصدا ماذا يحملون . وقد صادر أبا هريرة عامله على البحرين لأنه اجتمعت له عشرون ألفاً ، وعندما ادعى أن خيله تناسلت ، وسهامه تلاحقت وأنه أثجر ، قال له عمر : انظر رأس مالك ورزقك فخذ ، واجعل الآخر في بيت المال . وصادر عمرو بن العاص عامله على مصر وقاسمه ماله ، لأنه فشت له فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن له حين ولي مصر^(٨) .

وعندما عاد أبو سفيان من زيارة ابنه معاوية والي الشام وحضر مجلس عمر للسلام عليه فقال له : (أجزنا يا أبا سفيان) فقال : ما أصبنا شيئاً فنجزيك ، وكان أبو سفيان يحمل خاقاً في أصبعه ، فد عمر يده إلى الخاتم وأخذه منه واستدعى أحد أعوانه وأمره بأن يذهب إلى هند زوجة أبي سفيان ، ويقول لها باسم زوجها : انظري الخريجين اللذين جئت بهما فابعثيهما . فعاد بخريجين فيها عشرة آلاف درهم ، فأمر عمر بها أن تصادر وتطرح في بيت مال المسلمين^(٩) .

وإذا كان الإسلام لم يعرف بعد ذلك من الخلفاء من بلغ هذا القدر من الخس المرهف للعدل فليس المسؤول عن ذلك النظام الإسلامي ، ولكن المسؤول الأول هو المسلم الذي يطبقه إذ عادت الدنيا تتغلب على القلوب كلما بعد العهد بالنبوة ، حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأعاد إلى الأذهان سيرة السلف ، فكان إذا جلس مجلس الإدارة أمر فآلتي لرجلين وسادة قبائله ، ويقول لها : إنه مجلس شره وفتنة ، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إليّ فإذا رأيتهما مني شيئاً لا يوافق الحق ، فخوفاني وذكراني

الأخير يدخل في تكوين مجلس المظالم . . ولا عن الجهة الإدارية ، إذ كان يدخل في تشكيله الحماة والأعوان ، ويتعقد بحضور الخليفة أو من ينبيه في ذلك .

ديوان المظالم

(٣) وقد كان يتدخل في أعمال الإدارة العامة - خلافاً لمبدأ استقلال الإدارة تجاه القاضي - فهو عندما ينظر الشكوى من الولاة ، يتصفح سيرتهم ، ويستكشف أحوالهم ، ليقويم إن أنصفوا ، ويكفهم إن عسفوا ، ويستبدل بهم إن لم ينصفوا ، وإذ ينظر في جور العمال فيما يجبونه من الأموال ، يرجع إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها وينظر فيما استزادوه فإن رفعوه إلى بيت المال ، أمر برده ، وإن أخذوه لأنفسهم ، استرجعه لأربابه . وإذ ينظر في شكوى المستزقة ، يرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل ، فيجريمهم عليه ، وينظر فيما نقصوه أو منعه من قبل ، فإن أخذوا أموالهم ، استرجعه منهم ، وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال^(١٥) .

(٤) كما أن اختصاص قاضي المظالم ، لم يكن يتوقف في الكثير من الأحيان على إقامة الدعوى ، بل كان في وسعه أن يبحث بنفسه عن المخالفة . كما هو الحال بالنسبة إلى تعدي الولاة على الرعية ورد الغصب السلطانية .

(٥) أخيراً فإن قاضي المظالم ، كان يقوم أحياناً ، بما يعد الآن من أعمال الإدارة أو مما لا يعتبر على الأقل عملاً قضائياً . فهو يقوم بما يعجز عنه النظار من الحسبة في المصالح العامة ، ومراعاة العبادات الظاهرة ، كالجمع والأعياد والحج والجهاد ، وتنفيذ الأحكام التي يعجز القضاء عن تنفيذها ، لقوة يد المحكوم عليه أو علو قدره وعظم خطره ، وذلك باعتباره أقوى يداً وأنفذ أمراً^(١٦) .

ونرى أن مرد ذلك يعود لاختلاف الإحساس التاريخي لكل من نظام المظالم من ناحية والمحكمة الإدارية من الناحية الأخرى . فالمحكمة الإدارية وجدت لتكون هيئة قضائية تحمي مبدأ الشرعية بطريقة سلبية تقتصر على إلغاء ما هو مخالف له . فهي لا تمس استقلال الإدارة ، حتى لضمان تنفيذ ما تصدره من قرارات . وهو مبدأ مسلم به في كل بلد أخذ بنظام القضاء الإداري ، خشية أن يتحول القاضي إلى حاكم وأن تفقد الإدارة قدرتها على العمل ، وعلى تقدير مناسبات تصرفاتها . وإذا كان المشرع الفرنسي قد ضمنه قانوناً خاصاً ، فإرد ذلك إلى الظروف التي صاحبت نشأة المحاكم الإدارية في فرنسا . وقضاؤنا لم يتوان عن إعمال هذا المبدأ في كل الأحوال دون أن يقرره أي نص خاص . أما نظام المظالم فقد وجد أيضاً لحماية مبدأ الشرعية ، ولكن مع تزويد ناظر المظالم بما يلزمه لذلك من الوسائل والأدوات . فصاحب المظالم يقرر المخالفة ويردها بنفسه ، حتى ولو لم يلجأ إليه ذو مصلحة في ذلك . لأن كل مخالفة للقاعدة العامة ، تضر بالجماعة ذاتها ، بحيث يكون لصاحب المظالم الذي يمثلها ، أن يرفعها ، حتى يعيد إلى النظام القانوني هدوءه واستقراره^(١٧) .

كما أن دار المظالم لم تكن شبيهة بمحكمة استئنافية ، ذلك أن المحكمة الاستئنافية لا تنظر دعوى لأول مرة ودورها عندما يطعن أمامها في أحكام

أما الهيئة الثانية التي تنظر في المنازعات الإدارية فتتمثل بـ **ديوان المظالم** ، فقد عرف العرب قبل الإسلام ما يسمى بالنظر في المظالم ، وهو الالتجاء إلى القوة والهيبة لرد المظالم وحماية المظلوم . ويقول الماوردي^(١١) : « نظر المظالم ، هو قوة المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة » . ذلك أن قريشاً في الجاهلية حين كثر فيها الزعماء ، وانتشرت فيهم الرياسة ، اجتمع بطونها في دار عبد الله بن جدعان ، وتحالفوا على رد المظالم ، وأن لا يظلم أحد إلا منعه وأخذوا للمظلوم حقه ، وهو ما يسمى بحلف الفضول ، الذي حضره الرسول ، وقال عنه بعد ذلك : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ، ما لو دعيت إليه لأجبت ، وما أحب أن لي به حمر النعم »^(١٢) .

وعند بدء الدعوة لم يكن الناس في حاجة إلى من يرد عنهم المظالم ، ثم ظهرت الحاجة إليها ، فجلس للمظالم عمر والإمام علي رضي الله عنها . ثم أنشأ الأمويون داراً أسماها « دار المظالم » ، وجلس لها عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز .

ولما جاءت الدولة العباسية ، أفرد خلفاؤها بهواً من أبهاء قصورهم ، كانوا يجلسون فيه للمظالم . وقد جلس لها منهم : المهدي ، فالهادي ، فالرشيد ، فالأمون ، وأخيراً المهتدي بالله محمد ابن الواثق .

ويحدث أن بكل الخليفة النظر في المظالم إلى قاضيه ، كما فعل عمر لأبي إدريس الخولاني ، والمأمون ليحيى بن أكثم ، والمعتمد لأحمد بن أبي داود . وكان بعض الخلفاء يقسم المظالم إلى فروع ، بعضها للنظر في مظالم الجند ، وبعضها لمظالم العمال ، وبعضها لغير ذلك^(١٣) . وهكذا وبعد أن كانت المظالم فكرة أولية ، أصبحت داراً ، ودخلت في تركيب الجهاز الإداري للدولة ، وكان مجلسها لا ينتظم إلا بحضور خمس طوائف لا يستغنى عنهم : الحماة والأعوان ، والقضاة والحكام ، والفقهاء ، والكتاب والشهود^(١٤) .

غير أن مجلس المظالم كان يختلف عن المحكمة الإدارية الحديثة من عدة نواح :

(١) أن قاضي المظالم لم يكن متخصصاً في نظر المنازعات الإدارية فهو إلى جانب نظره لتعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة ، وجور العمال فيما يجبون من الأموال والشكاوى من كتاب الدواوين والمستزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم ، كان ينظر أيضاً رد المال المغصوب ، ويشمل ما استحوذ عليه ولاية الجور ، وهي الغصب السلطانية وما استحوذ عليه غيرهم من ذوي الأيدي العاملة .

(٢) وهو لم يكن مستقلاً تماماً عن القاضي العادي ، ما دام هذا

الدرجة الابتدائية لا يتجاوز إعادة النظر في الحكم ، فهو على أية حال دور قضائي بحت .

أما دار المظالم فكانت أقرب إلى محكمة إدارية عليا ، أو إلى مجلس إداري أعلى ، يشرف على تطبيق مبدأ الشرعية ، مجلس يجمع بين قوة الإدارة وعدالة القاضي وحكمة الفقيه . يتعاونون جميعاً على رفع الظلم أياً كان مصدره . سواء أنتج عن جور عمال الإدارة العامة ، أو قضائياً ، أم عن تحدي ذي الجاه والسلطان للقانون ، أو لأحكام القضاة . وهو يشرف على تطبيق مبدأ الشرعية في الميدان الإداري العام ، وفي ميدان المعاملات الخاصة ، وكذلك في ميدان العبادات عندما يعجز المحتسب عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مجلس له تشكيله الخاص الذي يتميز بجلوس بعض رجال الإدارة العاملة فيه دون أن ينزع ذلك من صفته القضائية^(١٨) .

وهذا التشكيل الخاص لديوان المظالم هو الذي سوغ تحويله صلاحيات خاصة ، تخرج عن وظيفة القاضي كما نعرفها نحن .

وهكذا نجد بأنه كان للفرد إلى جانب قاضيه العادي ، قاضي إداري قد يكون الخليفة أو مجلس المظالم ، يرفع إلى أيهما انتهاك الشرعية وأن القضاء الإداري كان ركناً أساسياً في النظام الإسلامي ولذلك فإن مشروع دستور الدولة الإسلامية ، الذي كان قد وضعه (حزب التحرير) بالقدس ، نص صراحة في الجزء المخصص للقضاء ، على أن :

« يعين لدفع النزاع الواقع بين الناس والدولة أو أحد موظفيها والفصل في معنى نص من نصوص التشريع وفي شرعية مواد الدستور ودستورية القوانين وشرعيتها ، قضاة من الرجال المسلمين العدول من أهل الفقه والاجتهاد يسمون قضاة المظالم . (مادة « ٣٠ » د . تقي الدين

النهائي ، نظام الإسلام ص ٧٨) .

لقد كان هنالك شبه بين القاضي الإداري المعاصر والقاضي الإداري في الإسلام ، فكل منهما يقوم بدور إنشائي في خلق القاعدة القانونية عند إعواز النص ويطبقها على الواقعة العارضة ، حسباً تقتضيه المصلحة .

وقد يكون من العسير الآن إحياء نظام القضاء الإداري بالصورة التي عرفت الدولة الإسلامية من قبل ، نظراً لما سوف يصطدم مع بعض المسلمات عندنا في الجهازين الإداري والقضائي . كما يصدم بتعقيد الدولة الحالية وكثرة تدخلها في مختلف فروع النشاط الخاص ، مما أدى بالتعبئة إلى زيادة فرص الخطأ وكثرة أسباب الشكوى ، فيعين لمواجهة تنظيم جهاز متشعب للقضاء الإداري يتخصص داخلياً فوق تخصصه العام . كما يصدم بالتدهور الخلقي الذي لا سبيل إلى نكرانه وتجاهله بحيث يلزم تحضير الدعوى وتحقيقتها بأناة وروية ما كان القاضي قديماً في غنى عنها . إضافة لما نراه من الحذر المتبادل بين الإدارة ورجال القضاء .

لقد أدى نظام القضاء الإداري - كما عرفت الدولة الإسلامية - فائده المرجوة ، وحقق سبب وجوده بحسب ظروفه وبيئته وإذا كانت الصلة قد انقطعت بينه وبين نظمنا فإن ما أداه للمعدالة من خدمات مثل واضح على تشبع الدولة الإسلامية ومنذ البداية بروح الإنصاف ، بما في ذلك القضاء الإداري ، الذي تعتبره الدول المعاصرة ، آخر مراحل التطور ، والعلامة المميزة لدولة القانون .

الهوامش

- (١٠) الإدارة الإسلامية في عز العرب ، محمد كرد علي ، ص ٣٨ ، ١٠٧ .
- (١١) الأحكام السلطانية ، ص ٧٣ .
- (١٢) المصدر السابق .
- (١٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الأول ، ص ٢٥١ .
- (١٤) الدكتور عبد الفتاح حسن : القضاء الإداري في الإسلام .
- (١٥) المصدر السابق .
- (١٦) الأحكام السلطانية ، ص ٧٣ وما بعدها .
- (١٧) الدكتور عبد الفتاح حسن : القضاء الإداري في الإسلام .
- (١٨) المصدر السابق .

- (١) الماوردي ، والأحكام السلطانية ، ص ١٥ .
- (٢) من مقال للدكتور عبد الفتاح حسن ، القضاء الإداري في الإسلام .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) الشيخ محمد الحصري ، تاريخ الأمم الإسلامية ، الجزء الثاني ، ص ١٣ .
- (٦) محمد كرد علي ، الإدارة الإسلامية في عز العرب ، ص ٣٣ .
- (٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ص ١٢٨ .
- (٨) الإدارة الإسلامية في عز العرب ، محمد كرد علي ، ص ٣٨ ، ١٠٧ .
- (٩) محمود الباجي : مثل عليا من قضاء الإسلام ص ٤٦ .

إن الصراع بين الأمة العربية والحركة الصهيونية ، صراع
قاس ومريع ومديد ، وما ذلك إلا لأن هذه الحركة العنصرية
النازية ترمي إلى استعمار رقعة من الوطن العربي تمتد من
القرات إلى النيل استعماراً استيطانياً على حساب الشعب
العربي ووجوده القومي في أرضه ووطنه ، وهذا الاستعمار
أشبه بـسرطان خبيث فتاك نشب في جزء من قلب الوطن
العربي - فلسطين المحتلة - ويحاول أن يمتد ويتوسع على
حساب الأجزاء الأخرى من الوطن العربي ، وعلى حساب
الأمة العربية ككل .

مدينة وتاريخ



الناصرة

رقة

السمكة
زهرة

الجولان

بقلم :
في جليل محمد شقير
تصوير :
مروان مسلمانج



★ القنيطرة والفرق
شاسع بين بيص
الثلج وحقد الصهابة

★ مآذن وأبنية كانت ملهاة للمدعمية الصهيونية ★



وإذا كان الصراع بين الأمة العربية والصهيونية قد بدأ منذ بدأت شرادم شذاذ الآفاق تتوافد على ربوع فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فإنه قد تبلور وتجمسد في أربع حروب خاضتها الأمة العربية ضد العدو الصهيوني العنصري عبر أعوام : ١٩٤٨ م - ١٩٥٦ م - ١٩٦٧ م - ١٩٧٣ م .

وفي السادس والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٧٤ م ، وبعد سبع سنوات عجاف رفع العلم العربي السوري في سماء مدينة القنيطرة الخورة . ولعل كل زائر للقنيطرة سي شاهد ما صنعه الإسرائيليون في القنيطرة الشهيدة من دمار وحشي . . لأن هذا من طبعهم وخصالهم . . إنهم أبعد الناس عن الحضارة . . إن من يدخل المساجد والكنائس ويتغوط بها ثم يمسح قذراته بورق المصاحف والأنجيل ، من المحال أن تكون له أية صلة بالأديان السأوية وبالنواحي الحضارية والإنسانية .

لمحة جغرافية

تمثل محافظة القنيطرة [الجولان] الجزء الجنوبي الغربي من القطر العربي السوري ، وهي من الناحية الطبيعية امتداد لسفوح جبل الشيخ [حرمون] الذي يعتبر جزء من كتلة جبال لبنان والذي تنبثق من أعماقه مياه نهر الأردن التي تتحدّر جنوباً لتصب في بحيرة طبريا . وتشكل أراضي الجولان هضبة يتراوح ارتفاعها بين (٢٠٠ م) و (٩٠٠ م) فوق سطح البحر ، وهي منطقة اندفاعات بركانية تمت في

الحقب الرابع ، كما تتناثر المخاريط البركانية على سطح الهضبة إما على شكل تلال متفرقة أو على شكل سلسلة جبلية ، ويتمتع الجولان بمناخ متوسطي حيث إنه لا يبعد عن المتوسط أكثر من (٤٥ كم) . وتهطل الأمطار في فصل الشتاء وهي تتجاوز (١٠٠٠ مم) سنوياً في القنيطرة وتصنف تربة الجولان حسب لونها إلى تربة كستناوية وتربة بنية داكنة ومنطقة الجولان غنية باحتياط المياه الجوفية شبه الشابة ، وتنحصر الشبكة المائية السطحية في ثلاثة مجاري للأنهار رئيسية هي : (نهر اليرموك) ، و (نهر الأردن) ، و (وادي الرقاد) .



أهمية موقع القنيطرة

- طريق دمشق - فلسطين [القنيطرة - جسر بنات يعقوب - فلسطين] .
- طريق دمشق - الأردن [القنيطرة - الشيخ مسكين - درعا - عمان] .

لغة تاريخية

استوطنت موجات العرب الذين انطلقوا من شبه الجزيرة العربية

- تتمتع مدينة القنيطرة التي لا تبعد عن دمشق أكثر من (٦٧ كم) بموقع جغرافي وتاريخي ممتاز ، فهي تقع على مفترق طرق عامة :
- طريق دمشق - لبنان [القنيطرة - بانياس - مرجعيون - صيدا - بيروت] .
- طريق دمشق - فلسطين [القنيطرة - فيق - الحمة - سمخ] .

بالجولان وصار يدعى في العهد الروماني جولانيتد ، ومع ظهور الأنباط امتد نفوذهم إلى الجولان ، ولقد ورد اسم الجولان في أشعار ما قبل الإسلام مثل شعر النابغة الذبياني في قوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه
وحوران منه موحش متضائل

وقول حسان بن ثابت :

قد عفا جاسم إلى بيت راس
ماجواني فحارث الجولان

★ دمار وانقاض في كل مكان ★

مناطق الهلال الخصيب في بلاد الرافدين وسورية ، ولم ينقطع وجود البدو من أصل عربي في بادية الشام منذ فجر التاريخ . . . أما الموجات التي استقرت في سورية وفلسطين منذ الألف الثالث قبل الميلاد فهي موجات الأموريين في الداخل والكنعانيين على الساحل .

ولقد دلت الأبحاث الحديثة في الجولان على وجود ممالك آرامية استقرت فوق الكيانات الأمورية والكنعانية السابقة ، وذلك منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ، وعندما سقطت مملكة دمشق الآرامية بيد الآشوريين ٧٣٢ ق . م ، أضحت الجولان من ممتلكات الإمبراطورية الآشورية ثم الكلدانية .

وفي العصر الهلنستي الذي تلا الفتح المقدوني اتسع العمران



الصليبية عن الجولان .. وبعد تحرير المنطقة من الصليبيين على يد الأيوبيين إثر معركة حطين ١١٨٧ م ، تمتعت الجولان وغيرها بنوع من الاستقرار والازدهار ... وأخيراً دخلت الجولان تحت الحكم العثماني بعد انحسار حكم المماليك عن سورية .. ولقد ساهمت الجولان بدورها البطولي ضد الاحتلال العثماني - وخاصة خلال قيام الثورة العربية الكبرى ١٩١٦ م - وبعده الاستعمار الفرنسي حتى تم الجلاء عام ١٩٤٦ م .

أحياء القنيطرة

يعتقد بأن اسم القنيطرة جاء من كثرة القناطر التي كانت تستخدم في بناء بيوتها القديمة . وتتألف القنيطرة من تسعة أحياء هي : حي العروبة ، الحي الشمالي ، حي النهضة ، حي التقدم ، حي الجلاء ، حي الاستقلال ، حي الشهداء ، حي التضامن ، حي الجمهورية . وكذلك أنشئت بها المساجد والكنائس ، كما أقيمت فيها المدارس المتعددة ومختلف المراحل التعليمية ، والمشايف ، والنوادي ، ودور السينما ، والمعارض السنوية ، وغدت القنيطرة مركزاً للتفاعل الاقتصادي والتجاري لسكان الجولان .

حي الجمهورية كمثال لأحياء القنيطرة

يبلغ عدد المساكن الموجودة فيه ١٨٩٠ مسكناً ، ويبلغ عدد سكانه ١١٥٠٠ نسمة ، ويوجد في هذا الحي مبنى دار الحكومة ، والجامع الكبير ، ومدرسة إناث القنيطرة ، والأسواق التجارية الرئيسية ، وكنيسة البروتستانت ، وروضة الأطفال الإنجليزية ، وقد دمرت كافة المساكن

★ كل شيء دمره الصهاينة ★

وفي الفترة البيزنطية سكنت قبائل لحم العربية الجولان وخالط هذه القبائل قبائل : جهينة ، وذبيان ، وجماعات من القين وكلب والرباب . وكان تجار قريش يرتادون الجولان للتجارة .

وفي القرن السابع ومع قيام الفتوحات العربية الإسلامية تحولت الجولان إلى مسرح للعمليات العسكرية التي سبقت ورافقت معركة اليرموك حيث سحقت السيطرة البيزنطية ، وتم تحرير بلاد الشام التي قسمت بعد ذلك إلى خمسة أقسام أطلق على كل منها اسم (جند) وكانت الجولان إحدى مناطق جند دمشق ... وهكذا ارتبطت الجولان في الإسلام بتاريخ دمشق ... حيث مثلت منطقة الجولان خط الدفاع الأول عن دمشق خلال فترة الحروب الصليبية .. ولم تنقطع الحملات





★ النصب التذكاري في مقبرة الشهداء لم يسلم من حقد الصهاينة ★

والخلات التجارية بما فيها مبنى دار الحكومة الأثري والجامع والمدرسة ، والكنيسة وروضة الأطفال بعد أن نهب العدو الإسرائيلي كافة محتوياتها وبقيت مئذنة الجامع متصدعة ، ويحتوي هذا الحي كذلك على ٥٠٠ محل تجاري نهب جميع محتوياتها ودمرت بكاملها .

سكان القنيطرة

عاش سكان القنيطرة قبل عام ١٩٦٧ م ، في ١٦٤ مركزاً بشرياً و ١٤٠ مزرعة . وتشير الإحصاءات لعام ١٩٧٠ م ، أن عدد سكان محافظة القنيطرة يزيد عن ١٣٧ ألف نسمة ، أما سكان مدينة القنيطرة فقد قُدر قبل عام ١٩٦٧ م ، بحوالي ٣٧ ألف نسمة .

أما الآن فإن سكان هذه المحافظة يزيد عن ٢٠٠ ألف نسمة منهم ١٤ ألف نسمة ما يزالوا في قراهم يناضلون ضد الاحتلال الصهيوني و ٤٠ ألف نسمة في الشريط الحدودي في القرى المحررة ، وما تبقى يعيشون في تجمعات النازحين خارج المحافظة ، ينتظرون بفارغ الصبر ساعة التحرير ، العودة لبلدنا ، ودمشق ، وعسكرا ، والحلاني ، عام النجى التالى .

● المنطقة الشمالية الغربية من الجولان : نجد المواطنين العرب الدروز ، ويعمل سكان هذه المنطقة بالزراعة وخاصة زراعة التفاح والكرام .

● المنطقة المتوسطة الغربية : حيث نجد عشيرة الفضل وآل فاعور .

● المنطقة الجنوبية : نجد عشائر الذبابات والحراشفة والحجايرة والفواعة والحوالد .

● المنطقة الجنوبية الشرقية : وتنتشر في هذه المنطقة عشيرة النعيم .

● المنطقة الداخلية : وتنتشر فوقها القرى الشركسية ويسكنها بعض الفئات الطورانية وعشائر البحاترة والويسية ، وأقليات من التركمان وغيرهم .

الحركة الثقافية

قبل عام ١٩٦٧ م ، كانت المحافظة أنشطة ثقافية متنوعة ، لكنها محدودة نسبياً بسبب حداثة قرار إحداث محافظة مركزها القنيطرة وذلك في عام ١٩٦٤ م ، وقد تميزت الأنشطة الثقافية خلال تلك الفترة بإقامة مختلف أنواع المعارض المرتبطة بالمناسبات الوطنية خصوصاً والحفلات المدرسية المتنوعة .

وبعد إنشاء المحافظة بدأت تزايد الأنشطة الثقافية وشهدت القنيطرة انفتاحاً ثقافياً هاماً تمثل في مواكبتها لكل ما يصدر من نشرات ودوريات وحوليات متنوعة ، وبعد حرب تشرين التحريرية تم إنشاء المركز الثقافي العربي بالقنيطرة ولقد زود بقاعات للمحاضرات والأفلام والكتب والمطالعة وغيرها .

الزراعة في القنيطرة

تعتبر محافظة القنيطرة من المناطق الخصبة في القطر العربي السوري التي تجود فيها المحاصيل ، ولقد أعطيت المحافظة الأهمية الأولى تقريباً من جانب الدولة لتحسين المستوى المعاشي للمواطنين وتطويره ، وعلى سبيل المثال فقد كان اعتماد مديرية الزراعة في عام ١٩٧٨ م ، للمشاريع الاستثمارية ٢٠٠ ألف ليرة ، وصل هذا الرقم لعام ١٩٨١ م ، إلى ١٤,٧٩١ مليون ليرة سورية لتطوير هذا القطاع بشقيه النباتي والحيواني . . . ومن أهم المشاريع والأعمال التي تقوم بها مديرية الزراعة بالمحافظة .

★ التشجير المثمر لمساحات كبيرة من الأراضي الزراعية .

★ عمليات التحريج الواسعة والمستمرة .

★ تطوير الغابات والثروة الحيوانية .

★ استصلاح الأراضي والاهتمام بالصحة الحيوانية .

★ الاهتمام بتربية النحل وعمليات التوجيه والإرشاد الزراعي .

الآثار . . والمعالم

سكن الإنسان القديم الجولان وتوالت المجموعات البشرية بالوصول إليها والإقامة فيها وتوالت معها آثارها ومبانيها . . وأبنا ضريت فأسك في الجولان فإنك ستعثر على آثار فنية ومادية ثمينة . . ومن الآثار البارزة :

● قلعة القروود : وتقع عند نهاية السفوح الجنوبية الغربية لجبل



★ الإسرائيليون أخذوا كل شيء ودمروا كل شيء. ★

التي لنهر اليرموك وتنخفض إلى ١٦٠ م عن سطح البحر ، وتعتبر من أشهر مناطق الاستشفاء بالمياه المعدنية الحارة . كما أنها مشي ومتنجم يرتاده الزوار من كل مكان ، ويعود تاريخها إلى العصر الكنعاني وعرفت خواصها الشفائية منذ أقدم العصور ويوجد فيها آثار لملاعب روماني قديم ، ومدرج يتسع لأكثر من ألفي شخص وقد زارها عدد من الرحالة العرب والمسلمين .

حرمون وتشرف على سهل الحولة . بناها العرب لرد حملات الصليبيين ، ومن أشهر من حارب في هذه المنطقة نور الدين زنكي ، وصلاح الدين الأيوبي ، ويوجد داخل القلعة مسجد وكنيسة وخزان ماء ، وهي تتألف من أربعة عشر برجاً على شكل مربعات ودوائر ، ويحيط بها خندق على شكل مثلث .

● الحمة : تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجولان وعلى الضفة



★ تدعي إسرائيل أنها تعمل للسلام !! ★

● **عين بولص :** مياهها باردة نسبياً وتصل حرارتها إلى ٢٢°م وهي ذات فعالية هضمية وتشابه مياه فيشي الشهيرة إذ لها نفس الخصائص .

● **العال :** وتقع على الطريق الواصلة بين القنيطرة والحمة ويوجد فيها حصن أنشئ أيام الصليبيين ويطلق عليه قلعة علعال .

● **فيق :** وهي أفقا القديمة ذكرها ياقوت الحموي في معجم بلدانه وتقع على الطريق الواصلة بين القنيطرة والحمة . دمرت إسرائيل فيها قلعة يعود تاريخها إلى عام ١١٠٥ - ١١٠٦ م . كما يوجد فيها دير بني فوق أحد المرتفعات المشرفة على بحيرة طبريا .

● **الرفيد :** وهي بلدة غنية باللباني القديمة التي يعود تاريخها إلى العهد الروماني والبيزنطي وقد مسحت الجرافات الإسرائيلية في عدوانها عام ١٩٦٧ م ، البلدة بما فيها المسجد والكنيسة .

ويتفجر في أرضها عدد من الينابيع المعدنية الحارة مثل **حمام الريح :** وتبلغ درجة حرارته ٣٥,٨°م وهو منشط ومهدئ للجملية العصبية ، و**حمام البلسم :** وتبلغ درجة حرارته ٤٠°م ويفيد في معالجة الأمراض الجلدية ، وهناك أيضاً **حمام المقل :** حرارته ٤٧°م لمعالجة داء الروماتزم وألم المفاصل وحصى الكلى والمرارة .

● **بانياس :** كلمة مشتقة من بان التي كانت تطلق على آهة الرعاة في العصر اليوناني . وهي تقع عند أقدام السفوح الجنوبية الغربية لجبل حرمون وتبعد ٢٠ كم عن القنيطرة . أطلق عليها في العصر الروماني اسم **قيصرية فيليب** ثم سميت **بنيرونياس** نسبة إلى **نيرون روما** . ولقد زارها السيد المسيح . اكتشف فيها عدد من المدافن الملكية والقطع الفنية ، والحلي الذهبية ، والمجوهرات إثر الحفريات التي قامت بها المديرية العامة للآثار ، وكان آخر المكتشفات الكثر الذي عثر عليه عام ١٩٦٧ م ، قبل حرب حزيران (يونيو) .

الأمم المتحدة تدين إسرائيل

نص الوثيقة :

الأمم المتحدة ،

الجمعية العامة ،

الدورة التاسعة والعشرون ،

القرار رقم : ٣٧٤٠ تاريخ ٢٩/١١/١٩٧٤ م .

بند ،

تقرير اللجنة الخاصة للتحقيق في ممارسات إسرائيل الماسة بحقوق

الإنسان في الأراضي المحتلة حول تدمير القنيطرة ،

رقم ٣٢٤٠ / ث تاريخ ٢٩/١١/١٩٧٤ م .

إن الجمعية العامة :

وقد نظرت تقرير اللجنة الخاصة المعنية بالتحقيق في الممارسات

الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان لسكان الأقاليم المحتلة ولا سيما الجزء

[خامساً] منه المتعلق بتدمير مدينة القنيطرة .

وإذ تشير إلى أن اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت

الحروب والمؤرخة في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ م ، تنص على حظر قيام

الدولة المحتلة بأي تدمير لأية أموال عقارية أو شخصية مملوكة فردياً أو

جزئياً لأشخاص عاديين أو للدولة أو هيئة عامة أخرى أو لمنظمة اجتماعية

أو تعاونية .

وإذ تلاحظ اقتناع اللجنة الخاصة الراسخ بأن القوات الإسرائيلية

والسلطات الإسرائيلية المحتلة كانت المسؤولة عن تدمير القنيطرة تدميراً

متممداً شاملاً وذلك خرقاً لل المادة (٥٣) وفي إطار المادة (٤٧) من اتفاقية

جنيف المؤرخة في ١٢ آب (أغسطس) ١٩٤٩ م .

وإذ تلاحظ كذلك رأي اللجنة الخاصة القائل إن خطورة الملابس

تبرر تعيين لجنة لدراسة الآثار القانونية لتدمير القنيطرة ولا سيما في إطار

المادتين (٥٣) و (١٤٧) من اتفاقية جنيف ومع اعتبار احكام المادة ٦

(ب) من الاتفاقية الأساسيّة عممة توزميرج انغسحركه آذلوبية آذلبني اؤثره

الجمعية العامة في قرارها ٩٥ (د/١) المؤرخ في ١١ كانون الأول

(ديسمبر) ١٩٤٦ م .

(١) تقرر صحة النتيجة التي خلصت إليها اللجنة الخاصة

المعنية بالتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق

الإنسان لسكان الأقاليم المحتلة والقائلة إن إسرائيل مسؤولة

عن تخريب مدينة القنيطرة وتدميرها .

(٢) وترى في قيام إسرائيل عن عمد بتخريب مدينة

القنيطرة وتدميرها خرقاً خطيراً لاتفاقية جنيف المتعلقة

بحماية المدنيين وقت الحروب المؤرخة في ١٢ آب (أغسطس) .

١٩٤٩ م ، وتدين إسرائيل على هذه الأعمال .

(٣) وتطلب إلى اللجنة الخاصة أن تقوم بالاستعانة بخبراء يعينون

عند اللزوم بالتشاور مع الأمين العام لمسح لما لحق بالقنيطرة من تدمير

وبتقدير لطبيعة الضرر المترتب على هذا التدمير ومداه وقيمه .

(٤) وتطلب إلى الأمين العام أن يضع تحت تصرف اللجنة الخاصة

كافة التسهيلات اللازمة لها في أدائها لمهمتها ، وأن تقدم للجمعية العامة

تقريراً عن ذلك في دورتها الثلاثين .

التصويت :

٨٩ صوتاً - بجانب القرار .

٤ أصوات ضد القرار وهي : (إسرائيل - بوليفيا - كندا -

نيكارغوا) .

٣٦ صوتاً - امتناع .



★ هذا البناء استكمل على يد البلدوزرات الإسرائيلية ★

المصادر والمراجع

(١) كتاب القنيطرة المدينة الشهيدة ، إخراج أنطوان كيني ، دمشق ١٩٧٥ م .

(٢) جريدة الثورة العدد ٥٦٠٩ ، دمشق ٢٧/٥/١٩٨١ م .

(٣) نشرة ثقافية عن الجولان ، إعداد : السيد فؤاد الحموي ، دمشق

١٩٨١ م .

(٤) كتاب إقليم الجولان ، الدكتور صفوح خير ، دمشق ١٩٧٦ م .

(٥) سورية الإقليمية ، أممية جامعية للدكتور عاذن عبد السلام ، دمشق

١٩٦٨ م .

(٦) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد الرابع ، دار صادر بيروت

١٩٧٧ م .

(٧) الحركة الصهيونية من ١٨٩٧ - ١٩١٧ م ، دمشق ١٩٧٦ م .

(٨) كتاب الجغرافية لنصف الثالث القاري الآسي ، دمشق

١٩٨٠ - ١٩٨١ م .

(٩) إحصاءات وزارة التربية في الفطر العربي السوري ١٩٨٠ - ١٩٨١ م .

(١٠) SYRIE, EDITIONS DELROISSE, XAVIER RICHER .

Paul Buhré

بول بوريه

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥ م.



محسن
MOHSEN

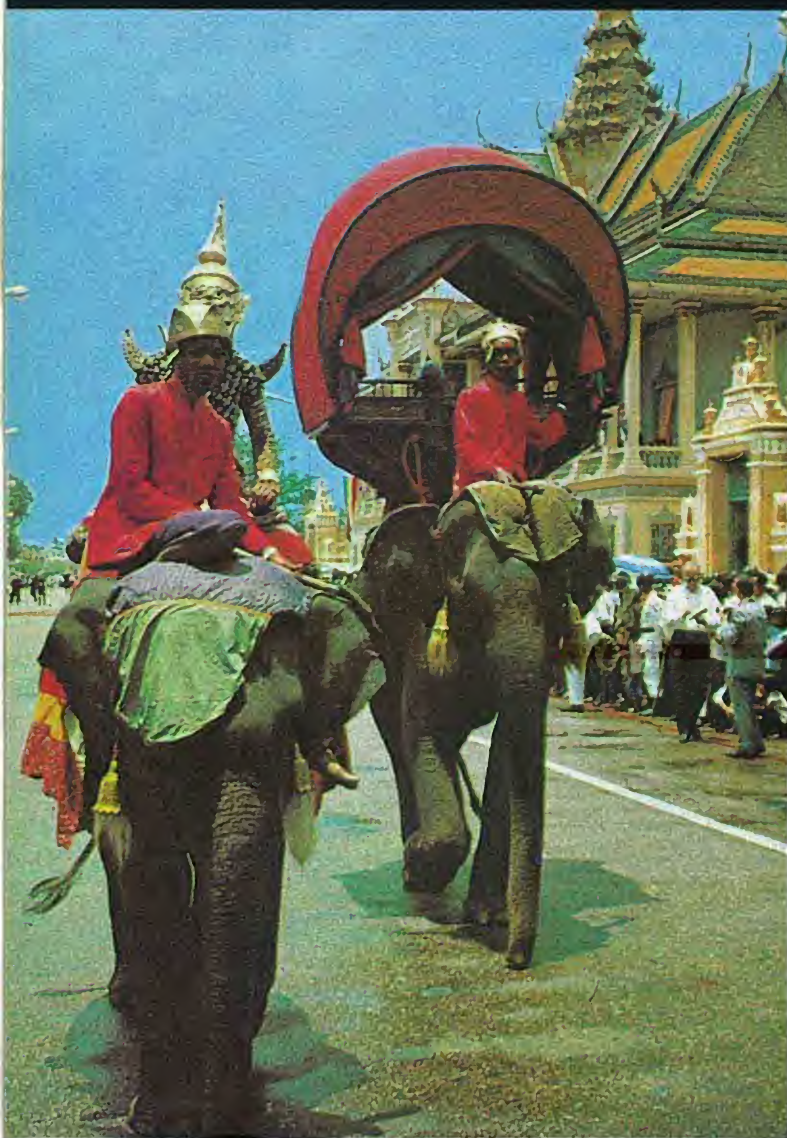
المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار وشارع الأشراف صوب : ٣٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية

الجبيل : شارع ٢٨ مطلق بنت

المدينة : شارع السنبيلية وشارع الملك عبدالعزيز





★ الفيلة رمز لكل احتفال يقام في كمبوديا ★



★ فرقة موسيقية تجوب الشوارع في (بنوم بنه) العاصمة ★

تقع كمبوديا (أو كمبودجيا) Cambodia في جنوب شرقي آسيا في الهند الصينية ؛ تحدها تايلند من الغرب والشمال الغربي ، ولاوس من الشمال الشرقي ، وفييتنام من الشرق والجنوب الشرقي ، وخليج تايلند من الجنوب الغربي . وهي تشغل سهلاً يرويه نهر (ميكونغ) ، وتحيط بها سلاسل من الجبال ، جوها استوائي رطب ، وتشتهر فيها بحيرة (تونل ساب) بمصائد الأسماك .. مساحتها : (١٨١,٠٣٥) كم^٢ ، ويبلغ عدد سكانها سبعة ملايين نسمة حسب تقديرات ١٩٧١م ، وتبلغ الكثافة السكانية (٣٥) شخصاً في الكيلومتر المربع . يعيش ٨٨٪ من السكان في الأرياف ، و ١٢٪ منهم في المدن .



كمبوديا



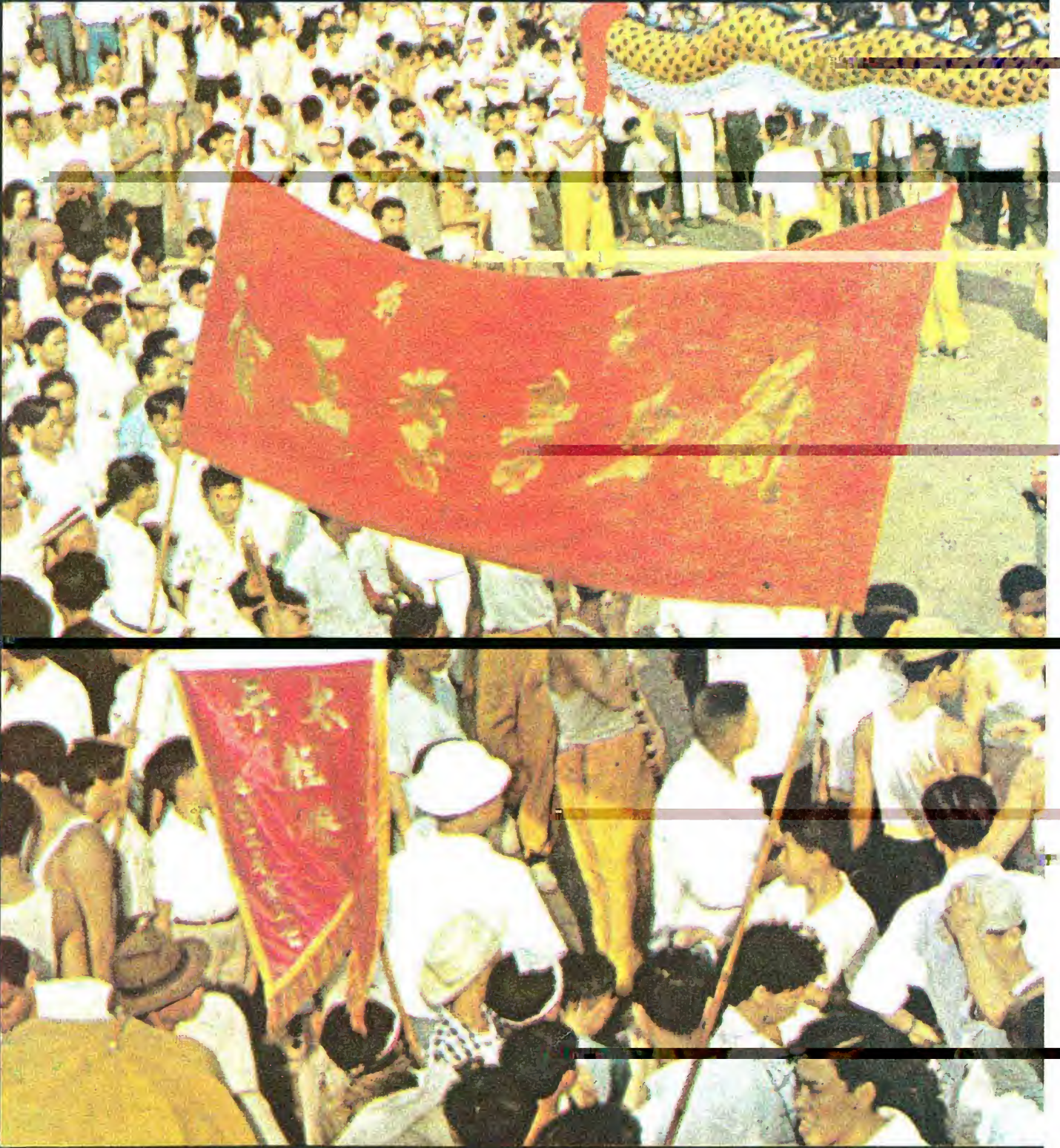


● تاريخ كمبوديا ●

مع أن كمبوديا لا تحتل اليوم إلا رقعة صغيرة من شبه جزيرة الهند الصينية ، فإنها كانت ما بين القرن الحادي عشر والثالث عشر

(التبغ) والجوت والمطاط . وتستورد المنتجات الصناعية من الدول الغربية والشرقية والدول الآسيوية كاليابان وهونغ كونغ . وأهم الواردات : الآلات والمعادن والأجهزة والسيارات .

الاسم الرسمي : جمهورية الخمير ، وعاصمتها (بنوم بنه) Phnom Pneh . الدين الرسمي : البوذية ، وأهم المنتجات الزراعية فيها الأرز والذرة والبطاطس والبقول والسمسم وقصب السكر والموز والقهوة والطباق



★ احتفال عيد القمر ★

جنيف سنة ١٩٥٤م، على انسحاب كافة القوات الأجنبية منها.. نزل (نوردوم سيهانوك) عن العرش بمحض إرادته وحولها إلى جمهورية وأصبح هو رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٥٥م. وفي شهر آذار (مارس) ١٩٧٠م،

(سيام) و (أنام). أصبحت كمبوديا محمية فرنسية سنة ١٨٦٣م، وحصلت على استقلالها سنة ١٩٥٣م، وقامت قوات فيتنام الديمقراطية بغزوها سنة ١٩٥٤م، وقد نصت اتفاقية

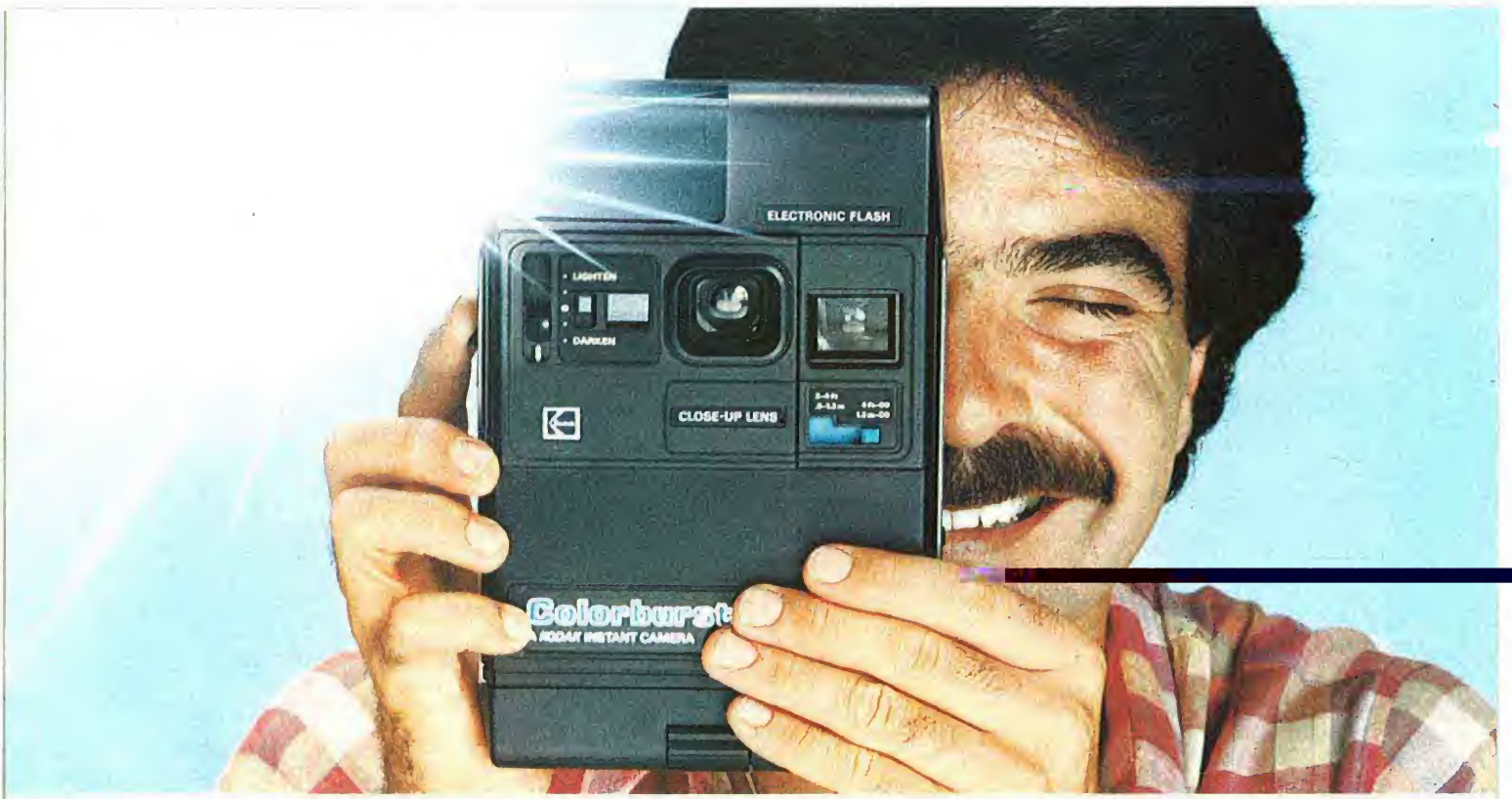
الميلادي مركزاً هاماً لإمبراطورية قوية في جنوب شرقي آسيا، وكانت تايلند ولاوس وفيتنام من المناطق الواقعة تحت سيطرتها. أما في القرن الخامس عشر وحتى القرن التاسع عشر، فقد كانت مطمعاً للدول المجاورة لها مثل دولة



★ عيد المياه وسباق القوارب ، وهو من المناسبات الشعبية التي يحتفل بها الكيرديون ★



★ فرقة موسيقية قروية في إحدى المناسبات ★



كاميرا فورية من كوداك

الوحيدة المجهزة بعدسة لتصوير اللقطات القريبة جدًا وفلاش الكتروني



تمتّع اليوم بالتصوير الفوري
مع كوداك ...
كوداك وحدها تقدم لك كاميرا
فورية مجهزة بفلاش الكتروني
مبيت وعدسة لتصوير اللقطات
القريبة جدًا. الآن إقترب من الموضوع،
إلتقط الصورة، واحصل عليها فوراً
واضحة بالألوان طبيعياً من كوداك.

كاميرا كوداك الجديدة للتصوير الفوري

كوداك ترضيك ... في كل ما تعطيك.

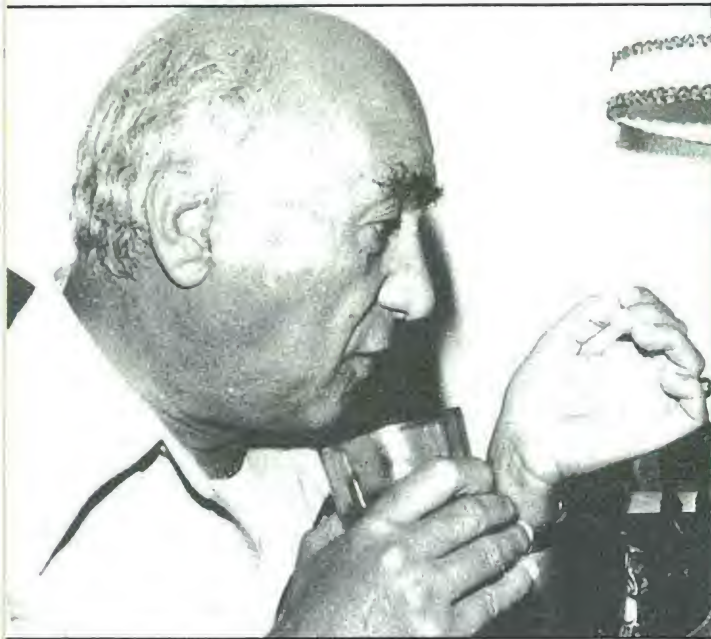




د. عبد الحميد يونس

أجرى الحديث :
مصطفى عبد الله

كليلة ودمنة ليست ذات أصل فارسي كما هو شائع حتى الآن



في ذلك الوقت كان قد اشترك مع مجموعة من أصدقائه هم :
إبراهيم زكي خورشيد ، ومحمد ثابت الفندي ، في ترجمة
(دائرة المعارف الإسلامية) ، التي ألفها المستشرقون باللغات
الانجليزية والفرنسية والألمانية .

وفي عام ١٩٢٥ م ، عمل رئيساً لتحرير مجلة (الراوي الجديدة) ،
وترجم كتاب (الزواج) للعالم الأنثروبولوجي (ادوارد مارك) ، كما
ترجم للشاعر الهندي (طاغور) .

أيضاً ترجم مع عثمان نويه ، ورمزي ياسين كتاب (فلسفة
الحجّال) ، وترجم بالاشتراك مع حافظ جلال كتاب (عالم الغد)
آخر ما كتب (هـ . ج . ويلز) .

وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عن كتابه (الأسس الفنية في
النقد الأدبي) .

في عام ١٩٣٦ م ، التحق من جديد بكلية الآداب بجامعة القاهرة
طالباً منتظماً ، وقد وجد أن زملاءه قد أصبحوا أساتذة عليه . ودرس وهو
كفيف ، حتى حصل على درجة (الليسانس) ، في عام ١٩٤٠ م ، من
قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ولم تمض ست سنوات ، حتى حصل على درجة الماجستير في
موضوع (سيرة الظاهر بيبرس) . وفي ذلك الوقت كان الدكتور طه
حسين ، قد طلب تعيينه مترجماً بمراقبة الثقافة التابعة لوزارة المعارف .
وبعد ذلك نقل من مراقبة الثقافة ليلتحق بهيئة التدريس بقسم اللغة
العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وبحث عن موضوع يحصل من خلاله على درجة الدكتوراه ، فاختار
موضوع (سيرة بني هلال ومغامرات أبو زيد الهلالي) ، وحصل
فيها على درجة الدكتوراه في الأدب في عام ١٩٥٠ م .



وصدر له حديثاً كتابه (دفاع عن الفولكلور) ، وهذا الأسبوع أصدر الدكتور رشاد رشدي رئيس أكاديمية الفنون قراراً بتعيينه رئيساً لمركز الفنون الشعبية ، فضلاً عن عضويته لمجلس أكاديمية الفنون المصرية ، وتدرسه للأدب الشعبي في المعهد العالي للفنون المسرحية بأقسامه المختلفة . له أيضاً في المكتبة العربية مؤلفات عناوينها :

- الهلالية .
- الحكاية الشعبية .
- خيال الظل .
- الظاهر ببيرس .

المأثورات الشعبية

●● في منزله بحي مصر الجديدة ، التقيت به ، وبدأت حواراً معه بسؤاله عن معنى مصطلح شائع مثل : (المأثورات الشعبية) الذي كثيراً ما نقرأه ونسمعه في الدراسات المتعلقة بالأدب الشعبي وبالفنون الشعبية .

● ورداً عن هذا السؤال يقول : «المأثورات الشعبية أو المأثور الشعبي» ، ترجمة لها قدر كبير من الاجتهاد لمصطلح (الفولكلور) . ويبدو أن عدداً كبيراً من اللغويين كانوا قد اتفقوا على هذا المصطلح ليكون دالاً على (الفولكلور) .

وإن كنا في الوقت نفسه نلاحظ أن المتعلمين والكتّاب يختلفون في ترجمة مصطلح (الفولكلور) .

بعضهم ترجمه بـ (التراث الشعبي) ، وليس (المأثورات الشعبية) أو (المأثور الشعبي) . وهناك طبعاً فرقاً بين الاثنين . لأن (المأثور الشعبي) يعني : «الذي لا يزال حياً ومؤثراً» . أما (التراث الشعبي) ، فيمكن أن يكون ظاهراً ويمكن أن يكون كامناً .

وهناك أيضاً الذين رأوا استخدام كلمة (الأدب الشعبي) وهذا في جيل ، أو في مرحلة كانت (الكلمة) هي الوسيلة الكبيرة في الإبداع الشعبي .

واسمح لي أن أستخدم هذا المصطلح . ولذلك ستجد أن المؤتمرات التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المنشقة عن جامعة الدولة العربية ، تستخدم مصطلح (المأثور الشعبي) للبحث

في عناصر الوحدة في العالم العربي . وأنا دائماً دقيق ومتردد في استخدام المصطلحات . فلقد استخدمت مصطلح (الأدب الشعبي) ، عندما كان تخصصي هو تدريس الأدب الشعبي بقسم الأدب العربي بالجامعة ، وهذا التخصص يتركز على (الكلمة) .

وبعد تلك المرحلة أصبحت متردداً ما بين استخدام مصطلح (المأثور) و(التراث) و(الفولكلور) .

وأنا لا أرى ما يمنع من استخدام مصطلح (الفولكلور) العالمي ، ليدل على ما يمكن أن يدل عليه ، على اختلاف الأجيال والمذاهب والأفكار .

الحكاية الشعبية

●● وماذا عن (الحكاية الشعبية) ؟

● الحقيقة أن (الحكاية الشعبية) ، موضوعها مثل كل الموضوعات الخاصة بالفولكلور . لا نستطيع إذا تحدثنا عن الحكاية الشعبية أن نقف عندها . لا بد أن نحاول قبل ذلك بخطوات . نحاول من عند نقطة البداية التي تبدأ من عندها عملية ظهور فكرة الحكايات الشعبية ، ذلك لأن الحكايات الشعبية مثل كثير من (الفولكلور) عريقة ، وحتى لو تغيرت قد تتغير فيها أجزاء . قد تتغير فيها بعض العلاقات تبعاً لتغير الوظائف ، لكن يظل فيها أثر من الانبثاق القديم العريق .

من أجل ذلك أنا دائماً أتحدث عن الأسطورة . ولكنني لا أتحدث عن الأسطورة كما يقول المعنى الدارج . وهو أن الأسطورة هي الفعل أو العمل الخيالي . ولكنني أتحدث عن الأسطورة كمرحلة في تاريخ الإنسان .

فقبل الحضارات القديمة ، وفي أثناء الحضارات القديمة أيضاً غلبت الأسطورة على الفكر الإنساني .

الأسطورة - في أبسط تعريفاتها - هي عبارة عن محاولة لتفسير الظواهر الإنسانية أو الاجتماعية أو حتى الظواهر الطبيعية .

وهذا التفسير ينبثق من اعتقاد الإنسان في تلك المراحل ، اعتقاد تذوب فيه الفواصل بين الوقائع والخيالات . وأيضاً بين المقدمات والنتائج ، ومن هنا سنجد أن الأسطورة لم تستخدم (الكلمة) بالمعنى



الفولكلور الأمريكيين ما تصور هو أنه الأصل الهندي (لكلية ودمنة)، وهو المعروف باسم (البنجاتترا) أو (الأسفار الخمسة).

الوسط الذهبي

●● على ذكر (لكلية ودمنة)، لك قول مأثور تقول فيه : «إن (لكلية ودمنة) تدعو إلى الوسط الذهبي في السلوك»، فهل تفسر لنا هذا القول يا دكتور؟

● صحيح أنني قلت هذه العبارة في كتاب من كتبتي، وتفسير ذلك هو أن هناك في (لكلية ودمنة) ملك (هو الملك دبشليم)، وهذا الملك مطلوب منه أن يكون عادلاً، ألا يكون أهوجاً، ولا أحمقاً ولا ظالماً، ولا جائراً، فهو محتاج للحكمة.

ولذلك يأتي إليه (بيدبا) الحكيم الفيلسوف، وعن طريق القصة التي تحتوي على رموز الحيوانات يحاول الفيلسوف أن يعمق مثل، ويعمق بالتالي الفلسفات المكنونة.

هذا هو ما أسميته أنا (الوسط الذهبي) وعدم الشطط لا يميناً، ولا يساراً، ولا أماماً ولا خلفاً، وإنما يصبح السلوك معتدلاً، ومتوازناً، ومن هنا كان هذا الوسط الذهبي.

وستلاحظ مثلين آخرين مماثلين (لكلية ودمنة)، وهما : (البنجاتترا) الذي كنا نتحدث عنه. لأن (البنجاتترا)، أيضاً تحكي عن ملك له ثلاثة من الأولاد. كان يتصور هو أنهم دون المستوى الخاص بالذكاء الملكي، فأحضر لهم أحد الحكماء ليعلمهم أيضاً عن طريق الصور الحسية، وطبعاً كان يتوسل بالحيوانات لتعليمهم ولتعميق ذكائهم، لكننا نلاحظ في (البنجاتترا) بالذات خلافاً. هذا الخلاف قائم على الواقعية التي يضيفها الملك، والتي هي الغايات التي تبرز الوسائل في بعض الأحيان وهو تبرير أخلاقي، كما رأيت.

أما المثل الثاني، فهو (شهرزاد)، فشهرزاد كانت تتوسل بالقصص إلى أن ينام الملك. لقد كانت وسيلتها هي أن تخدر الملك حتى تصل به في النهاية إلى الوسط الذهبي في السلوك، وهو نوع من الاعتدال شبه الهندسي في السلوك، وقد أسميته أنا (الوسط الذهبي)، وقد كانوا يسمونه في علم الاجتماع (السلوك المثالي المعتدل المتزن).

الذي نعرفه الآن، وإنما استخدمت (التشخيص)، واستخدمت (التمثيل)، واستخدمت (التجسيم).

وكذلك حاولت (الأساطير)، أن تتوسل إلى الأذهان بوسائل مرتبطة بحيوانات مرتبطة بكائنات خيالية مؤلفة من وحدات موجودة. لأنك تعرف أن الخيال لا يمكن أن يكون خيالا لا وجود له. لكن الخيال يستمد وحداته الأساسية من الواقع.

ونحن لو تصورنا حيواناً خرافياً مثل (التنين)، سنجد أن جميع وحدات جسمه، أو جميع أجزائه وأعضائه هي أجزاء حقيقية وواقعية. موجودة في الواقع. لكن ترتبها مع بعضها وتركيبها معاً هو الذي يعطي ذلك التأثير الغير طبيعي أو التأثير الخيالي أو الأسطوري.

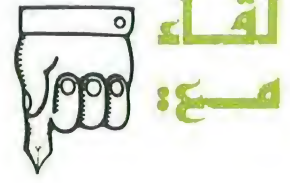
والأساطير ولدت كبيرة ثم انقسمت إلى أساطير صغيرة، وبعد ذلك بزمن ظهرت (الحكاية) و(الحكاية الشعبية)، وبدأ الإبداع العقلي يلعب دوره. ويغلب عنصر الإبداع على الحكاية الشعبية، ولكن تبطل وسائلها القديمة موجودة. ويظل خيالها المبالغ فيه موجود أيضاً. لكن تظل فيها العرافة وتظهر فيها سمة (التطويع الشعبي)، وتمثل دلالات مرتبطة بوجدان الجماعة، الذي يختلف تماماً عن وجدان الفرد، وكذلك عقلية الجماعة تختلف تماماً عن عقلية الفرد.

والحكاية الشعبية فيها حقائق غريبة.. من ذلك نذكر مثلاً (عالمية الحكاية الشعبية). فالحكايات الشعبية تتبادها الشعوب لسبب أو لآخر. وأحياناً تتأثر الظواهر الطبيعية والوظائف. ولذلك فإننا شخصياً استخدمت كلمة (ترجمة) عندما وجدت أن حكاية شعبية توسلت بالحيوانات، ووجدت أن حيواناً منها تغير بحيوان آخر في حكاية شعبية لدى شعب من الشعوب.

فالتمساح لا يوجد أصلاً في شمالي أوروبا، ولذلك فإنك تجدهم قد استبدلوه في حكاياتهم الشعبية بحيوان آخر له نفس الدلالات السلوكية في الخيال، لكنه معروف في بيئة السويد والنرويج، وشمالي أوروبا عن التمساح.

لذلك تجدني أسمى مثل هذه الحالة (ترجمة) حيوان في حكاية بحيوان آخر مماثل له إلى حد كبير.

وهناك وظائف كثيرة (للحكاية الشعبية)، مثل : الوظيفة التربوية. فـ (لكلية ودمنة) أصلاً حكاية شعبية سنسكريتية وليست فارسية. كما هو شائع. وأنا شخصياً ترجمت عن أحد أساتذة



السيرة .. والأدب الشعبي

●● أعرف أنك اخترت سيرة (الظاهر بيبرس) موضوعاً لرسالتك لنيل درجة الماجستير. ثم اخترت (السيرة الهلالية) موضوعاً نلت به درجة الدكتوراه في عام ١٩٥٠م، فهل صحيح أنك اتجهت للأدب الشعبي ولدراسة السير الشعبية تأثراً واعجاباً بوالدك الذي كان يحفظ هذه السير الشعبية ويردها عن ظهر قلب؟

● كان والدي يحفظ فقط الهيكل العظمي لأحداث السيرة. ولذلك فإنه كان غالباً ما يردني إذا أخطأت.

لكن ما حدث أنني لم أفكر في الأدب الشعبي في الدراسة الجامعية العليا لهذا السبب.

أنا كنت مرتبطاً بالشعب، وكنت أبحث عن ظاهرة شعبية لأدرسها، لكنني لم أفكر في الأدب الشعبي على وجه التحديد. فكرت في أدب الحرب، وأدب سنة ١٩١٩م، لكن وجدت أنه من العسير عليّ أن أتوصل لكل ما نشر وكتب عن هذه الفترة من قصائد وأغاني. ولذلك صرفت النظر عن هذا الموضوع لأفكر في موضوع آخر له علاقة قوية بالشعب، فأخذت الأدب الشعبي، ولم يكن من الممكن في تلك المرحلة الرائدة إلا أن أفكر في سيرة (الظاهر بيبرس)، لأنها كانت مدونة. وقد كان (الراوي) يأخذها من كتاب ويقرأها. ولذلك كان هذا الراوي يطلق عليه اسم (المحدثاتي) أو (المحدث)، ولم يكن اسمه (الشاعر) كما في (سيرة الهلالية).

وسيرة الظاهر بيبرس كان الناس يستمعون إليها عن طريق كتاب، وعن طريق حديث، وكان الشعر فيها نماذجاً قليلة جداً.

أما (الهلالية)، فكان يطلق على الراوي فيها اسم (الشاعر) نظراً لسيادة الشعر وغلبته في هذه السيرة. فقد كان الشعر فيها الأصل، وهو الأساس.

و(الهلالية) كانت ترتبط (بالنشيد) و(بالنغم)، وترتبط أيضاً (بالموسيقى) أيّاً كان نوع هذه الموسيقى.

وهذا هو ما جعلني أختار سيرة الظاهر بيبرس لأحصل من خلالها على درجة الماجستير.

وبعد ذلك أخذت سيرة (أبو زيد الهلالي). واستطعت أن آخذ (الهلالية) من مقاهي القاهرة القديمة، واستطعت أن أسمعها،

واستطعت من أن أسجل (نوتاتها الموسيقية) وأوازن بين ما حصلت عليه، وبين الكلام الذي قاله (ادوارد لين) عن أخلاق المصريين حتى أرى التطور وكيف تم ويتم.

هذا ما حدث. ولذلك أنا أعتبر نفسي مرحلة مهدت من خلالها الطريق لمن يأتي من بعدي ليدرس ميدانياً.

بين جيلين

●● هل صحيح أن جيلكم كان أكثر دأباً وعمقاً وثقافة وطول بال من جيلنا؟

● هذا صحيح، لسبب يرتبط لا بالفضيلة عندنا، ولكن بالظروف. فلقد كان عددنا قليل. والنوافذ عندنا كانت كلها مفتوحة، والكتب كلها كانت تصل إلى أيدينا، وكنا نقرأها، وكنا حديثي عهد بأحداث سنة ١٩١٩م، ودستور سنة ١٩٢٣م، وما تلى ذلك من أحداث، وأصبحت فكرة الأمة، وفكرة الشعب فكرتين كبيرتين.

ونحن كنا نهم لا بالالتزام بمفهومه الحديث. ولكن بمفهوم الالتزام.

●● أعرف أنك كتبت الشعر في بداية حياتك.. فلماذا لم تستمر في كتابته؟.. ولماذا لم تلمع كشاعر مثلاً لمعت كناقذ وباحث وأستاذ جامعي؟

● كتبت الشعر وأنا شاب صغير أبدأ حياتي كما يبدأ كل إنسان وعنده نزعة تلقائية إلى التعبير. وعندما كبرت، بعض الشيء، وعملت بالصحافة، بدأت أكتب القصة الكاريكاتورية. وهي لون جديد من الأدب عرف في تلك الفترة وكنت أكتبه في مجلة الجامعة.

لكنني عندما أتيت لي فرصة أن أدخل إلى نفسي وأقرأ شعري بشيء من العقلانية وجدته عبارة عن محاكاة وتقليد ومحاولة لأن أقول أبياتاً من الشعر في مناسبة كعيد ميلاد صديق لي، أو في الفصل الدراسي، ولذلك مزقت أبيات الشعر التي كتبتها.

ولكن، بقيت عندي نزعة تأملات شعرية، لكنها تأملات لم أجسدها بالكلمات.

ولعل ما أوجد هذه النزعة التأملية الشعرية عندي كثرة ما قرأت وأقرأ من الشعر على اختلاف أشكاله وألوانه وكوني صديقاً لمجموعة من الشعراء منهم الشاعر المجيد (حسن كامل الصيرفي) وهو شاعر مجيد، أعجبت كثيراً وتأثرت بما كان يكتب من شعر.

القلقة فحج الشعر العربي الحديث

بقلم: د. سعد عبيس

لعل ظاهرة قلق الشباب من أبرز الظواهر العالمية التي زحفت إلى مجتمعاتنا العربي المعاصر، وقد راعنا في السنوات الأخيرة، تلك الموجة الزاحفة على شطآن مجتمع الشباب، موجة تبدأ بالقلق الخصب المتفتح لمعرفة الواقع أحياناً لكنها تنتهي في بعض قطاعات الشباب إلى الرفض الشامل لكل قيم المجتمع العربي ومثلها وعقيدته، إلى الهدم والتدمير لبناء المجتمع الحضاري، إلى أن يولد مُنْخُ مشوّه: يقلّد ولا يُبدع... يصرخ ولا يتكلم... يرفض الواقع ولا يقدم البديل لهذا الواقع، يتمرد ولكنه لا يتحرر، يعيش أسيراً للغريزة، مُستغْبِداً للغريزة والضياع، رافضاً أي انطلاقة خارج هذين المُتَقَلِّين... بينما يظن أنه قد تحرر من قيوده، وحطم قضبان سجنه، وحقق الحرية المثلى لنفسه ولأمته...!

والعاطفية إلى الحياة؛ وتعود هذه الحقيقة بدورها طبعاً إلى فقدان الانسجام داخل كيان المجتمع^(١).

وقد يكون فقدان الانسجام في المجتمع، راجعاً إلى اهتزاز الأرضية الروحية التي تَجَنُّع وتوَحَّد أبناءه، ونقَرَب بين مُثُلهم وقيمهم؛ فشبابنا - أو بعضه - يعيش في حالة غياب عن تراثه وعقيدة آباءه - يعيش بلا جذور - أو بتعبير أدق: **يحاول اقتلاع الجذور**، بينما هو - شاء أم لم يشأ - مشدود بحكم البيئة والوراثة إلى هذه الجذور...! وقد يكون السبب راجعاً إلى **العقم العاطفي** الذي كان انعكاساً لعصر الآلة، والحضارة الآلية، التي هاجمها الشاعر الإنجليزي (ت. س. إليوت) في قصيدته: «الأرض الخراب» و«الرجال الجوف»^(٢).

وقد يكون السبب في موقف الرفض والقلق، راجعاً إلى بعض العوامل التي لا ترحّب بروح الفرد الإدراكية المحبّة للاستطلاع في ممارسة حقها في التفتّح والنقد والملاحظة، ومن هنا يهرب الفرد الواعي المثقف،

وربما كان هناك أكثر من عامل، وأكثر من سبب أدى إلى تلك الظاهرة الاجتماعية، فقد يكون السبب: إحساس هؤلاء الشباب بأنهم أبناء عالم محاصر بصحراء الصمت والرعب في عصر التجارب النووية، وأنهم يعيشون أيامهم أعصاباً قلقة، وقلوباً شاحبة مغترية، وأصابع تصنع الموت والكراهية للأطفال بدلا من الأزهار والأحسان، وتزرع القنابل والأكفان في الحقول، بدلا من الحب والسلام. إنهم يعيشون في عالم لم يعد يغني للمحبة والصفاء، بقدر ما يغني للكراهية والحقد والرعب والدمار.

قد يكون هذا الإطار العالمي أحد العوامل، وقد تكون مأساة ضياع الفرد في مجتمع اليوم، راجعة إلى ارتباط الفرد في مجتمع اليوم بمجموعة من العلاقات والارتباطات المعقدة الواسعة، التي لا يربطها انسجام عاطفي، أو تصوري، فهذا الفرد الضائع قد وقع «في قبضة مجموعة واسعة من الارتباطات والعلاقات في حين فقد أي انعكاس منسجم، مترابط لمغزى تلك العلاقات في النظرة التصورية

ويتمرد ، ويغترب ... !

ولعل الشاعر ، أو الفنان بصفة عامة ، أقرب نماذج البشر إلى مشكلة القلق ذلك لأنه في لحظة الإبداع الفني يعاني من حالة هي أقرب إلى التوهج العاطفي ، ويعاني من حالة توتر نفسي ، وقلق عنيف ، يجعله شبه منفصل عن العالم ... !!

فالشاعر لا يصور الواقع كما هو ، وإنما يصوره من جديد ، برؤية جديدة وصياغة فريدة ... يعاني فيها قلقاً أقرب إلى قلق الأم في لحظة المخاض ، ولحظة الميلاد ، وربما كان ذلك أحد العوامل التي تجعل بعض الشعراء يظهرون بمظهر السلوك اللاتوافقي مع المجتمع ، وتجعل بعض الناس ينظر إليهم نظرتهم إلى شيء فوضوي شاذ أو نظرتهم إلى إنسان مريض ومعقد ، وليس الشاعر وحده هو الذي يعاني من حالة القلق ، قد يكون لديه تضخم في المعاناة ، ولكننا جميعاً نعاني بدرجات مختلفة من هذه الظاهرة في حياتنا اليومية ؛ ولذلك يرى العالم النفسي (أوتو رانك) أن الإنسان يعاني القلق الأولي منذ بدء حياته ؛ ذلك لأنه يشعر في جميع مراحل نمو شخصيته بخبرات متتالية من الانفصال «وعملية الولادة» هي أول وأهم خبرة للانفصال تمر بالإنسان ، وتسبب له صدمة مؤلمة ، وتثير فيه قلقاً شديداً ، ويستمر هذا القلق مع الإنسان فيما بعد وتأخذ أجزاء منه في الانسياب طول الحياة ، ويفسر (رانك) جميع حالات القلق التالية ، على أساس قلق الولادة ، فهي عبارة عن تنفيس أو تفريغ لانفعال القلق الأولي ، والانفصال عن الأم هو الصدمة الأولى التي تثير القلق الأولي ويصبح كل انفصال فيما بعد - من أي نوع كان - مسبباً لظهور القلق ، فاللفظ يثير القلق ؛ لأنه يتضمن انفصالاً عن الأم ، والزواج يثير القلق ؛ لأنه يتضمن الانفصال عن حياة الوحدة . فالقلق - إذن - في رأي هذا العالم هو : الخوف الذي تتضمنه هذه الانفصالات المختلفة^(٣) .

ظهور القلق

ويظهر هذا القلق أيضاً عند احتمال حدوث أي نشاط ذاتي للفرد ، وعندما تريد إمكاناته أن تحدث ابتكارات جديدة ، أو تعمل على إيجاد تغيرات جديدة في شخصيته ، أو عندما يريد الفرد أن يكون علاقات جديدة مع الناس . ويظهر القلق في هذه الحالات ؛ لأن تحقيق هذه الإمكانيات يهدد الفرد بالانفصال عن علاقاته وأوضاعه السابقة ، ويلتقي مع (أوتو رانك)

★ البورت ★

★ روسو ★

★ إيليا أبو ماضي ★

★ نسيب عريضة ★



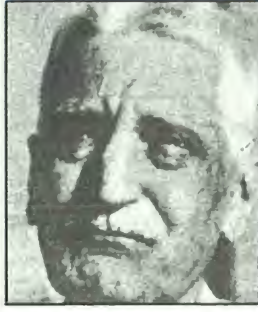
في ذلك الرأي ، عالم نفسي آخر ، هو (إريك فروم Erich Fromm) الذي يرى أن انثناء الإنسان إلى المجتمع والعالم يسبب له الأمان ، وأن استقلاله وتفردته واغترابه ، يسبب له القلق «فطالما كان الإنسان جزءاً من العالم ، وغير مدرك لإمكاناته ومسؤولياته . فهو ليس في حاجة لأن يخاف ، وعندما يصبح الفرد مستقلاً فإنه يقف بمفرده في مواجهة العالم المملوء بالمخاطر والقوى الخارقة ، ويشعر حينئذ بالعجز والقلق^(١)» .

وفي دراساتي هنا لأثر القلق في الشعر العربي الحديث ، سأكتفي بتناوله في «التيار الرومانتيكي الهارب من الحياة» . فالقلق في الاتجاه الرومانتيكي يمثل معلماً بارزاً من معالم الشخصية الرومانسية - كما يقول المرحوم الدكتور محمد غنيمي هلال - في كتابه عن : «الرومانتيكية» فالرومانتيكي : يمتاز بعدم الرضا بالحياة في عصره وبالقلق أمام العالم وأحداثه ، كما يمتاز بالحزن الغالب على نفسه في كل حال ، دون أن يجد له سبباً ، وهذا يعتصم الرومانتيكيون من الواقع ، بالانطواء على أنفسهم ، ونشيدان مثل أعلى لهم ، وهو : الجمال^(٢) ، والرومانتيكي أيضاً : غريب في عصره بشعوره وإحساسه ، لأنه يحس بالتفرد والعبقرية ، ولذا : فالألم والدموع علاج لنفوسهم المرفهة المتمردة ، إنه يحب الحياة الغامضة ، ويضيق ذرعاً بالأشياء الثابتة المستقرة ومن هنا فهو مغترب زمانياً ومكانياً^(٣) ، ويحار المرء في ذلك الاستسلام العجيب للأسى المبرح المائل في الأدب الرومانتيكي ، إنهم يحسون بنوع من اللذة المروعة ، أشبه بتلك اللذة الدامية التي يجدها المجروح إذا أثار جرحه المندمل^(٤) ... ! ها هوذا بطل رومانتيكي ، يصوره (شاتوبريان) يفتخر بآلامه ، ويرى أن سعادته في شقائه : «la joie d'être malheureux» .

يقول ذلك البطل : «كنت أجد نوعاً من اللذة الغامضة في حزني المروع المبرح ، ويترأى لي في حزني ، حركة غامضة مبهمة توحي بالسعادة ، ذلك لأن الألم ليس إلا لذة ... !^(٥)» . والرومانتيكي يريد أن يترك الحياة عمداً لو لم تربطه بها صلة ، يقول ذلك البطل أيضاً : «لقد كنت أريد أن أترك هذا العالم ، قبل إذن الواحد القهار ولكن كنت أدرك أن هذا جريمة عظيمة ومن العجيب أنني لم تعد لدي رغبة في الموت ، منذ أصبحت شقياً بانساً لقد غدت أحزاني الشغل الشاغل الذي يملأ لحظات حياتي^(٦)» .



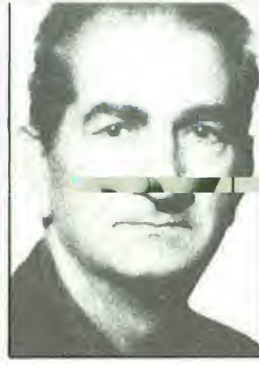
★ المازني ★



★ عباس المعاد ★



★ عبد الرحمن شكري ★



★ إلياس فنيل ★

فلن يثقل بعد اليوم بآمانيه على البشر فاعرني يا وادي صباي واحلامي ملجأ .. ولو ليوم واحد .. انتظر فيه الموت^(١٤) !

وقد ردد الرومانتيكيون جميعاً، صيحات «روسو» .. وتمنوا كما تمنى «روسو» لو عاشوا في العصر الذهبي في الحقول والغابات، — إذن — لظفروا بالسعادة التي لا سبيل إليها في مجتمعاتهم^(١٥) ..! والرومانتيكية، بتقديسها للعاطفة الفردية ومناداتها بالعزلة في أحضان الطبيعة ..، الرومانسية بهذه الاتجاهات تمثل اغتراباً روحياً في المجتمع، وهو اغتراب يتسم بالزعة الهروبية، الهروب من المجتمع إلى الحب والموت، أو الطبيعة والموت، أو المجتمع الشرقي أو الهروب من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي .. إلخ، تلك الألوان الهروبية الرومانسية ..! وإذا تلمسنا مرة أخرى انعكاسات القلق الرومانتيكي الهارب من الحياة في شعرنا العربي الحديث سنجد ماثلاً في معظم إنتاج شعراء المهجر بأمريكا :

نجد في تمرقه النفسي بين حنينهم إلى أوطانهم، وضياهم في مجتمع الصراع المادي، والوحشية الرهيبة، ولنقرأ مثلاً، قصيدة «المواكب» لجبران، وقصيدة «الشاعر في السماء» لإيليا أبي ماضي، ولنقرأ ديوان «محبوب الخوري الشرتوني» وديوان «خيالات» لرياض المعلوف، وديوان «القروي» للشاعر «رشيد الخوري» ولنقرأ ما يتم عن قلقهم الروحي الفلسفي في حديثهم عن اغتراب النفس الإنسانية في الحياة، متأثرين أحياناً بابن سينا في قصيدته عن اغتراب النفس الإنسانية، ومطلعها :

«هبطت إليك من المحل الأرفع»، ولنتخذ لذلك نموذجاً من ديوان أحدهم وهو (نسيب عريضة) في قصيدته (نار إرم)^(١٦) وهي إحدى قصائد ديوانه : «الأرواح الحائرة»، ولنسمع أصدقاء القلق الفلسفي ممثلة في ذلك الشك العنيف الذي عاناه (إيليا أبو ماضي) في قصيدة «الدمعة الخرساء» يقول ذلك الشاعر :

حانت على روحي الشكوك كأنها
وكانهن فريسة وصقور
ولقد لجأت إلى الرجاء فقطني
أنا الخيال فخالبت مذخور^(١٧)

وفي أدب الرومانتيكيين، نجد الموت سمة من سمات العبقرية التي تميز الشخصية الرومانسية، ولذلك فإن الحب في مسرحياتهم حُب مقدور تنتهي مأساته بالموت وكثيراً ما نجد في المسرحيات الرومانتيكية مشهداً يقتل فيه أحد الحبيبين نفسه لثلا يعيش بعد موت صاحبه، وكثيراً ما ترتدي الحبيبة درع المحارب، لتشارك حبيبها الأخطار، فيقتلها حبيبها خطأ ظاناً أنها عدوه، وقد يتقابل الابن مع أبيه في الصفوف الأولى، دون أن يعرف أحدهما الآخر، فيُصرخ الابن على يد أبيه^(١٨) ..!

ونمتي العاشق الرومانتيكي للموت، يُعتبر خاصة مهمة من خصائص الحب الرومانتيكي، ويتجلى هذا الشعور واضحاً في وصف الرومانتيكيين لشخصياتهم في قصصهم ومسرحياتهم — كما قلنا — «حيث يتمنون الموت في أسعد لحظات حياتهم^(١٩)»، لشعورهم بأن هذه السعادة لن تدوم ..

والشاعر الرومانتيكي يعزف أعذب أنغامه، عندما تتعاقب فكرة الموت، وفكرة الحب في نفسه^(٢٠) ..! إن الموت بالنسبة له .. يمثل لوناً من العبقرية الذاتية الفردية التي يتعشقها الرومانتيكيون .. والموت بالنسبة لهم أيضاً عالمٌ مثالي لا يعتوره النقص .. عالم مثالي يشع بسحر الغموض، وهم لظمتهم الدائم إلى المجهول يفضلون عالم المجهول على عالم الحقيقة، لأن عالم الحقيقة ناقص، وهم يتمنون الهروب من الزمان والمكان إلى أحضان الأبدية، وهذا التمني صورة من صور الهروب من الحاضر^(٢١)، ها هوذا الشاعر الفرنسي «لامرتين» (L'amartine) يتوجع في منى عزله التي اختارها لنفسه، صارخاً في قصيدته (العزلة L'isolement) : «تري .. لماذا أظل في أرض المنفى، وليس بيني وبين هذا العالم أي رابطة أو صلة^(٢٢)؟» ..

فالعالم في نظر الرومانتيكي هو : المنفى، والحياة منى، والمجتمع أيضاً : منى، ولذلك نرى الرومانتيكيين جميعاً يستمرنون العزلة في أحضان الطبيعة، لأنهم يحلمون بالبعد عن العالم المصطنع الذي صنعه الإنسان، والمجتمع الذي كُبل فيه نفسه بالأغلال .. ولذلك نرى (لامرتين) يهرب إلى أحضان الطبيعة، حين يستبد به اليأس من عالم البشر، ويتعب من كل شيء حتى من الأمل حيث يقول في قصيدته :

«الوادي le vallon :

تعب قلبي من كل شيء .. حتى من الأمل !

يا ليل .. أين النور .. إني تائه
مُر .. يَنْبَغُ .. أم ليس عندك نور

و «إلباس قنصل» لا يجد حتى في الضياء ، مُسْعِفاً لإزالة شكوكه ،
فيأمر نفسه أن تُطْفئ السراج ، وفي ذلك يقول :

يا نفس .. لن تجدي السبيل فاطفئي
هذا السراج .. فما الضياء بمسعف
ما زلت أبحث ممعناً في حيرتي
وأجد خلف الوهم جد تلهف
حتى رجعت إلى الشكوك مصدعاً
ورأيت أي مصدر السر الخفي^(١٨) !
والشاعر «نسيب عريضة» يخاطب نفسه قائلاً :
قم .. تتخذ للمنى جناحاً
يطير من عالم الحدود
عسى .. نرى في السماء درياً
نسير فيه ولا نعود^(١٩) !

وهم يعانون أيضاً قلق الإنسان المغترب عن مجتمع فاسد ظالم كل ما
فيه زيف ونفاق . يقول فوزي المعلوف في ملحمة الرائعة «شاعر في
طيارة» مصوراً اغترابه عن العالم :

هجر الأرض طالباً راحة الروح
بعيداً عن الوجود وظلمه
صد عنه طوعاً بملء رضاه
بعد أن جاءه مقوداً برغمه
هو منه .. وليس منه فما زال
غريباً ما بين أبناء أمه .. !

ثم يقول : ثائراً على المجتمع الفاسد :

أنا عبد الحياة والموت .. أمشي
مكرهاً من مهودها لقبوره
براع .. دم الضعيف له حبر
ونوح المظلوم وقع صريه .. !
عبد عصر من التمدن نلهو
ضلة عن لبابه بقشوره
عبد مالي .. أسعى إليه فأحظى
بعد طول العنا بوطاة نيره
عبد اسمي .. أذيب نفسي وجسمي
طمعاً في خلوده وظهوره
عبد حبي .. جعلت قلبي مأواه
فأضرمت أضلعي بسعيره

إن جسمي عبد لقلبي .. وعقلي
عبد لقلبي .. والقلب عبد شعوره
وشعوري عبد لحسي وحسي
هو عبد الجمال يحيا بنوره
كل ما بي تحت العبودية العمياء
فوق الوجود .. بين شروره
غير روحي .. فإنها حرة تمشي
بروض الخلود بين زهوره^(٢٠)

هذه بعض أصداء القلق الرومانسي في شعر المهجريين ، فإذا عدنا
من جولتنا مع شعراء المهجر الأميركي إلى عالمنا العربي ، فسنجد
أصداء ذلك القلق واضحة في شعر شاعرين من مدرسة الديوان ، ألا
وهما : عبد الرحمن شكري ، وإبراهيم المازني ، وقد تمثل قلقهما العنيف
الغامض في اتجاهين رئيسيين :

(أ) القلق المرتبط بحب الموت .

(ب) القلق المرتبط بالجنون .

وهذان الاتجاهان واضحا في كثير من قصائد «شكري» بل لعله
يعتبر شاعر الأدب العربي الأول في ارتباط شعره بالموت والجنون ، وقد
تجلى ميله لهذين الاتجاهين واضحاً في كتابه «الاعترافات» الذي يوضح
نفسيته الحائرة القلقة التي تشبه – كما يقول الدكتور محمد مندور –
نفسية (هاملت) وقد حطم (هاملت) نفسه بكثرة تأمله في نفسه ، مما
مُرّق إرادته ، وشلّها عن العمل الذي كرّس حياته له ، وهو : الانتقام
لأبيه^(٢١) ، وقد رسم «شكري» في هذه الاعترافات صورة لصديقه
(م. ق) فقال «كان رحمه الله يحب القراءة والتفكير ، وكانت تلوح في
عينيه علامات السأم والحزن والتفكير ، وقد تقلصت شفته السفلى تقلص
السخر ، ولكن كان يلوح على وجهه بالرغم من ذلك أنه كثير الحنان ،
رقيق القلب^(٢٢) .. ! ، وصديقه هذا يتناول في اعترافاته ، موضوعات
تدل على سأمه واضطراب أعصابه ، وشكّه وأحزانه ، وقلقه وحيرته
وخواطر الانتحار ، واليأس ، وصديقه هذا أشبه بالجنون يبكي في
ضحكه ، ويضحك في بكائه^(٢٣) .

ولعل هذه الروح القلقة الحائرة المتشائمة تنضح أكثر ، حين
نستعرض بعض أمثلة من شعره ، فقد ولع البكاء بناظره ، وأصبح شيئاً
طبيعياً لا يثير غرابة ، وليالي حبه ليال عمياء ، لا تبصر الفجر أبداً :

عمي الدجى عن مطلع الفجر
في ليلة كسيرة الدهر
ولع البكاء بناظري كما
ولع الندى بيدائع الزهر^(٢٤)

والموت معبده المقدس ، وحبيبته التي يهواها ، وفي ذلك يقول «شكري»
مناجياً الموت :

ايا معبداً .. قرباننا فيه عيشنا
نضحى به لذاتنا والأمانيا

تحت عبء ثقيل من الحزن ، فضاق بالحياة والأحياء وانزوى في ركنه الهادئ البعيد ، حتى لقي ربه ، فاستراح من شجنه الثائر ، ووجده المقيم^(٢٩) .
 ويعمل « العقاد » لهذه الروح القلقة الانعزالية عند « شكري » بالصددمات الكبيرة التي صُدِّمها في شعره ، وآرائه ، وحياته ، فقد كان يريد التبشير بمثل رفيعة في عوالم الفن والفكر والتربية ، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات ، ولم يكن له جلد على العراك والنزال ، ولم تكن له تلك الأعصاب التي تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة ، فاعتزل الصحب والناس ، وسكن إلى مأواه الأمين^(٣٠) .
 وحين تحاصره مثل هذه الأعاصير . . أعاصير الشك والحيرة والقلق فليس عجيباً أن يكثر من الحديث عن الجنون . . وماذا يضيره من الجنون ؟ إن الحياة نفسها مجنونة ، والدهر بحوله وبطشه مجنون :

لا ترع .. فالدهر مجنون
 كل حي فيه مقبون
 جن من حول ومقدرة
 وكذا ذو الحول مجنون^(٣١)

ويبدو أن طيف الجنون لم يحاصر عالمه الفردي فقط ، بل حاصر الطبيعة أيضاً من حوله ، فهو يتخيل الريح مجنونة :

يا ريح .. أي زفير فيك يُشزعني
 كما يروح زفير الفاتك الضَّاري
 يا ريح .. فيك جنون النفس يشزعني
 إذا سطوت بعصف منك إعصار^(٣٢)

وقد كان إكثاره من الحديث عن الجنون في شعره ، هو الدعامة التي استند إليها صديقه « المازني » في اتهامه بالجنون ، فالمازني يرى أن ذهن « شكري » كان يتجه دائماً إلى التفكير في الجنون ، وأنه حتى في طعامه ، كان يتوخى ما يظن ويقال له : إنه يكفل له اتقاء هذه النكبة ، كالسمك والبيض والمخ ، ويعمل « المازني » ذلك الاتهام ، بأن « شكري » كان مصاباً بهذيان الخواس ، وهو مريض يجعل صاحبه يتوهم مثلاً أنه يسمع أصواتاً ، أو يرى أشباحاً تختلف وضوحاً واستبهاً حسب درجة الحالة ، وهو اضطراب محلي في المخ إذا اتسعت رقعة أحدث الجنون^(٣٣) .

الجنون المزدوج

ومن العجيب أن « المازني » الذي اتهم « شكري » بالجنون بمحنة إكثاره من الحديث عن الجنون في شعره ، هو نفسه أيضاً يكثر من الحديث عن الجنون ويتعلق بأشباح الجن والشياطين ، فهو يتوسل إلى حبيبته لتنقذه بخنانها من الجنون الذي يقترب منه :

دمي في عروقي ليس يهدأ فأعجني
 فإني من خطب الجنون قريب
 وإلا فصب السم في الكأس واسقني
 فإن حياة اليأس ليس تطيب^(٣٤)



★ د. د. محمد مندر ★

أحبك حب الصب وجه عشيقه

لينقع ثغر منك صديان ظاميا^(٣٥)

ويبدو أن طول معاناته لفكرة الموت دفعته إلى معاشة عميقة لأخيلة الموت وصوره ، وهي أخيلة عجيبة وغريبة ، لا يبدعها إلا إنسان حاصرتها هموم الموت وأشباحه رداً طويلاً من الزمن ، ها هوذا يقدم لنا تحيله لصوت الموق في المقابر :

الا إنَّ للأموات صوتاً كأنه
 خرير المياه الجارية على الصُّلْد
 ونحكي حفيف الغصن في لين وقعه
 وظرواً كأصداء الطبول على بُعد
 ويُقول أحياناً كأعوال ناكل
 زَمَنُها صُرُوفُ الدهر في الولد الفرد
 يثُ أنين الريح عند خفوتها
 ونغوي نغواء الذئب في المهمة القفر
 ويصرخ أحياناً فيحكي صراخه
 صراخ العباب الغمر في جُح البحر
 يثُ أنين الليل .. إنَّ هذا الوري
 وطوراً له صوت كحشرجة الصدر^(٣٦)

وهو لطول معاناته لفكرة الموت وأخيلته ، يرى أنه أصبح خبيراً بالموت والموق :

تسانلني عن الموت .. وإني

ربيب الموت في هذا الأنام^(٣٧)

★ ★ ★

وكما ارتبط القلق عنده بأعاصير الموت وأشباحه ، فقد ارتبط أيضاً بالشك الذهني العنيف ، وارتبط أيضاً بالجنون ، وربما كان ذلك راجعاً إلى ذهنيته الجبارة المتوقدة « فقد كان ذهنه الجبار سر مأساته ، إذ أتعب نفسه في التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد في دنيا مليئة بالغرائب والفجاءات ، وقد رُزق من رهاقة إحساسه ، وشبوب عاطفته ، ما عُمق أغوار المأساة في فؤاده الملتاع ، ويعقله المتوقد ، وإحساسه الرقيق ، ناء

وخياله يسبح في عزلته الهروبية في أودية الجن والشياطين ، ولنتأمل تلك الصورة التي يتخيل فيها أن الجن رَغَتْ عنه الشعر في الفيافي ، إذ يقول مخاطباً حبيبه ، في قصيدة «الشاعر المحتضر» :

وقل لجبال عاريات غوفة

تخال مواميهن للجن واديا

الا اطلق لي صوته والأغانيا

وغذي بذكراها الشجون النواميا

الم تع عنه جنة عبقرية

فقد كان يغشى مثلهن الفيافيا

وكيف تؤدي ما وعاه سماعها

وما تحسن الجنان إلا التعاويا^(٣٥)

ويتخيل نفسه في عزلته ، وحيداً مع الرياح العاصفة ، وظلام الليل والجن :

وللصدي حولنا حال مروعة

كأنما تسكن الغيران جنان^(٣٦) !..

ونحب أن نشير هنا ، إلى أن ذلك القلق المرتبط بالموت يتراءى أيضاً في شعر «الشابي» و«م.ع.ع. الممشري» و«صالح شرنوبلي» والدكتور عزيز فهمي و خليل شيبوب وغيرهم ... !

وهناك اتجاه ثالث يكلل الاتجاهين السابقين ، ألا وهو القلق الرومانسي المرتبط بالحزن الغامض الميال دائماً إلى البكاء والشكوى ، وذلك واضح في شعر «أحمد رامي» ، ويبدو أنه في هذا الاتجاه متأثر بقراءاته الرومانسية^(٣٧) ، ولذلك نرى مفهوم الشعر عنده متأثراً بذلك العامل ، فهو يتعشق البكاء ، ويلتذ الألم ، والشعر عنده عزاء للقلب وهدهدة للأحزان ، والشعر عنده مرتبط بالعذاب والألم^(٣٨) :

وفي الشعر تأساء وفيه رفاهة

وفيه لقلب ياقظ نشوات

أنيم به حزني كما تبعث الكرى
إلى عين طفل صارخ نغمات
لقد ألفت نفسي الشقاء وإن يكن
أيماً فن آلامه الحطرات
وليس يجيد الشعر إلا معذب
تضرم في أحناؤه الحرقات^(٣٩)

وهو كالهروبين يلتذ الألم ، ويمجده ، ويستمرئ في الأحزان ويعانقها .. بل وينادىها :

وإذا خلوت إلى الأسى نادمته

بشكايتي وحسرت عن أسقامي

فوجدت في الشكوى لنفسي راحة

من حزنها وأزلت طول سأمي^(٤٠)

وهو غلص لأحزانه ، لا يريد مفارقتها لإلفه لها :

وأميل للإخلاص حتى للأسى

وأعاف رغد العيش غير لزام^(٤١)

وفلسف حبه للألم والحزن ، فيرى الحزن مؤدباً له ومهذباً :

هات املشي كأس الشقاء فإنني

أستمرئ الأحزان يا أيامي

الحزن أدبني وهذب خاطري

وأنالني أفق الخيال السامي

واخذت أذني بالنواح فأصبحت

تستعذب الأنات في الأنعام^(٤٢) !..

ولأنه عاشق للبكاء ، فهو يحب من يبكيه :

أنت يا بوم .. إن بكيت على الناس فبكي على فؤادي الحزين

رجمي كل محزن من أغانيك .. فإن أهوى الذي يبيكي^(٤٣) !..

★ ★ ★

وأخيراً .. فلعل أجمل ما يصور تعشق الرومانسيين الهروبين للقلق الغامض العنيف ، تلك القصيدة لمحمود حسن إسماعيل ، وهي بعنوان «القلق» ؛ وفيها يقول :

على ذراع الريح

لي تخدع مريح

وزورق جريح

شراعه حرق

وسبحه غرق

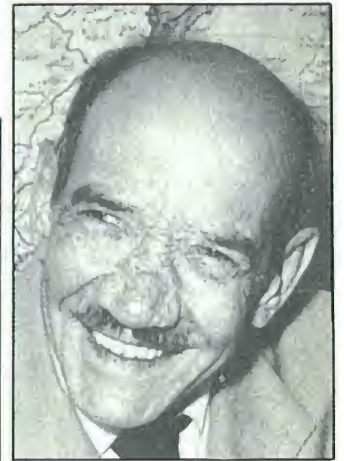
طول المدى يصيح

لشاطئ القلق

قلق .. قلق .. قلق ... !!!

★

★ محمود حسن إسماعيل ★



★ أحمد رامي ★

في قدح الغروب
قرارتي تجوب
ناراً على الدروب
وضجعة الفسق
لصحوتي طرق
وغفوتي هبوب
ونشوتي قلق
قلق .. قلق .. قلق .

لكنني ملاح
تنعشه الرياح
وزفرة الجراح
وحيرة الأرق
وحسرة الشفق
وفزعة الجناح
ورعشة القلب
قلق .. قلق .. قلق ... !!!

الهوامش

- (١) الفردية قديماً وحديثاً، تأليف جون ديوي John Dewey — ترجمة خيرى حماد، ص ٧٨.
- (٢) انظر دراسة لقصيدة «الأرض الخراب The maste land»، وقصيدة «الرجال الجوف The Hollow men» في كتاب «اليوت»، ص ٩٢ — ص ١٣٤، وص ١٥٠ — ص ١٥٦، للدكتور فائق متى.
- (٣) انظر: «القلق» تأليف سيجموند فرويد، ترجمة الدكتور محمد عثمان نجاتي، ص ٣٣، ٣٤.
- (٤) انظر: «الرومانتيكية» — للدكتور محمد غنيمي هلال، ص ٣٦.
- (٥) انظر: المرجع السابق، ص ٣٧ — ٤٨.
- (٦) انظر: «تيارات أدبية بين الشرق والغرب» للدكتور إبراهيم سلامة، ص ٣٠٢.
- (٧) (Chateaubriand: René, P. 17 L'arousse 1966).
- (٨) المرجع السابق، ص ٧٢.
- (٩) انظر: الرومانتيكية، ص ٣١ وما بعدها.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١١) انظر: الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، ص ٦٦.
- (١٢) انظر: الرومانتيكية، ص ٥١ — ص ٥٧.
- (١٣) Michel Berveiller: L'œuvre de L'amartine, P. 18 (Hachette) Paris - 1952.
- (١٤) الرومانطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، ص ٥٨، عيسى يوسف بلاطة، ص ٥٨.
- (١٥) Michel Berveiller: L'œuvre de L'amartine, P. 19 (Hachette) Paris - 1952.
- (١٦) الرومانتيكية، ص ٢٨.
- (١٧) ديوان «الأرواح الخائفة»، ص ١٨٦.
- (١٨) ديوان «الخمائل»، ص ١٦.
- (١٩) مجلة المقتطف، المجلد ٨٧، ص ١٨٧.
- (٢٠) مناهل الأدب العربي، ج ٣٠، ص ٨٧.
- (٢١) انظر القصيدة في مجلة المقتطف بعنوان «على بساط الريح» عدد ديسمبر

(كانون الأول) ١٩٢٩ م. وانظر نقداً لها في العدد نفسه بقلم الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وانظر: الشعر العربي في المهجر، للأستاذ محمد عبد الغني حسن، ص ٢٦٤ وما بعدها.

- (٢٢) الشعر المصري بعد شوقي — الحلقة الأولى، ص ١٠١.
- (٢٣) المرجع السابق، ص ٩٦.
- (٢٤) كتاب «الاعتراف»، ص ٢١.
- (٢٥) ديوان عبد الرحمن شكري، ص ٣٥ من قصيدة «الحب والليل».
- (٢٦) المرجع نفسه، ج ٧، ص ٥٤٧، من قصيدة «الموت».
- (٢٧) المرجع نفسه، ص ١٥١، من قصيدة بعنوان «صوت الموق».
- (٢٨) المرجع نفسه، ص ١٥٣، والبيت مطلع قصيدة بعنوان: «الموت والتخيل»، والخطاب فيه موجه للشاعر عباس محمود العقاد.
- (٢٩) ديوان عبد الرحمن شكري، ص ١٦، من مقلعة للديوان بعنوان «عبد الرحمن شكري رائد الشعر الحديث، وأحد أساطين الأدب العربي» للأستاذ محمد رجب البيومي.
- (٣٠) انظر: مقالا للعقاد بجريدة الأخبار بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٥٨ م.
- (٣١) كتاب «الاعتراف»، ص ٢١ إلى ص ٢٣، لعبد الرحمن شكري.
- (٣٢) ديوان عبد الرحمن شكري، ص ٢٦٤، من قصيدة «جنون الحياة».
- (٣٣) المرجع السابق، ص ٤٠١، من قصيدة: «إلى الريح».
- (٣٤) الديوان — للعقاد والملازني، انظر: مقال «صم الألاعيب» للملازني من ص ٥٨ إلى ص ٦٣.
- (٣٥) ديوان الملازني، ص ١٣٠، من قصيدة: «والا».
- (٣٦) المرجع السابق، ص ١٦٤.
- (٣٧) ديوان الملازني، ص ١٠٣.
- (٣٨) انظر: ناجي، حياته وشعره، لصالح جودت، ص ١٤٦.
- (٣٩) انظر: الغزل في الشعر العربي الحديث، ص ٥٧٢ (الطبعة الأولى) دكتور سعد دعبس.
- (٤٠) ديوان رامي، ص ٢٢، من قصيدة: «شعر النوع».
- (٤١) المرجع السابق، ص ١٤، من قصيدة: «نعمة الألم».
- (٤٢) المرجع السابق، القصيدة نفسها.
- (٤٣) المرجع نفسه، القصيدة نفسها.

الكلمات العربية

●● من الحقائق الهامة التي تبرز أمامنا باستمرار في هذا العالم المترامي الأطراف أن اللغة هي الوسيلة العصرية المتعارف عليها للتفاهم بين البشر، ولذا فإنها تتعرض لمختلف أنواع التأثيرات الخارجية على مر الأزمنة والعصور. ومن أنواع هذه التأثيرات الخارجية هو ظهور الكلمات الأجنبية في لغة من اللغات.

ولا ريب بل ربما من المؤكد أن من الأسباب الرئيسية لظهور الكلمات الأجنبية في لغة من اللغات، هو اتصال واختلاط شعبين أو أكثر من الشعوب بأسلوب أو بآخر. ومن أجل كل هذا قرر علماء اللغة أن العنصر الأجنبي - وبالتحديد الكلمات الأجنبية - موجود بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة ومتباينة في أية لغة من لغات العالم تقريباً، وذلك لأنه لا يمكن لأية لغة مهما بلغت، أن تعيش بمعزل عن الاتصال بغيرها من اللغات، أو أن تعيش بمنأى عن مختلف التأثيرات الخارجية.

ونضيف إلى ذلك أنه ليست هناك لغة حية نظيفة مائة في المائة، أي لغة خالية خلواً تماماً من الكلمات الأجنبية. وقد أصبح الآن من المعروف أن كل لغة متطورة أو كل لغة تريد أن

ترتدي ثياب العصرية لا بد وأن تستعير من أخواتها اللغات الأخرى حسب احتياجاتها ومتطلباتها، أي حسب احتياجات ومتطلبات عصرها الذي تحيا فيه. وكما يحدث بالنسبة لانتقال الناس من مكان إلى مكان فإن الكلمات هي الأخرى تنتقل إلى كل مكان، أو بعبارة أصح من لغة إلى أخرى. ولا شك أن هناك العديد من العوامل والعناصر التي تحدد مدى ودرجة تعرض لغة من اللغات إلى تأثير اللغات الأخرى عليها، ومن هذه العوامل، على سبيل المثال لا الحصر، تجاور الشعوب واختلاف ثقافتها، وتعرضها للاحتلال سواء أكان عسكرياً أم ثقافياً أم اقتصادياً.

ولقد كانت الشعوب اليوغسلافية على اتصال مستمر ودائم بكثير من الشعوب العربية عبر السنين، وذلك بسبب الوضع الجغرافي للأراضي اليوغسلافية، والدور التاريخي الذي قامت به في منطقة البلقان. ولذا فإن الشعوب اليوغسلافية لم تستطع الإفلات من التأثيرات العربية التي وصلت إلى أماكن عديدة ومترامية، وتظهر هذه التأثيرات بجملاء في الكلمات والمصطلحات والتركيبات اللغوية العربية الموجودة في اللغة الصربوكرواتية.

ومن الثابت أن هناك عوامل عدة هي التي شكلت الظروف، وخلقت الإمكانيات اللازمة لتسلسل وتغلغل الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية. ورغم أن الكلمات الشرقية^(١)

قد أخذت تتغلغل بأعداد كبيرة في اللغات البلقانية، وخاصة اللغات السلافية البلقانية مع ظهور الأتراك العثمانيين في هذه المناطق، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر وجود تأثيرات لاحقة على هذه اللغات البلقانية من جانب الشعوب العربية. ومن بين هذه التأثيرات تأثير الآفار، وهو شعب منغولي كانت له دولة عظيمة في آسيا الصغرى وشرق آسيا ابتداء من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن السادس. وفي القرن السادس انتقل جزء من هذا الشعب المنغولي إلى أوروبا ونزح إلى نهر الدانوب، وثبتوا سلطانهم على المنطقة الواقعة بين بحر أزوف (شمال البحر الأسود) وحتى شلسكا (وهي المنطقة الواقعة بين بولندا وتشيكوسلوفاكيا الحالية)، وذلك بعد أن أخضعوا كثيراً من قبائل الهون والبلغار والسلاف. ولا شك أن ظهور الآفار في وادي بانون، واتصالهم بسكان منطقة البلقان وخاصة السلاف الجنوبيين، أدى إلى ظهور بعض التأثيرات التركيبية التشاوية والعربية على اللغات البلقانية.

دخول الكلمات العربية إلى اللغات السلافية

ولقد كان الباحثون في هذا المجال، يقررون إلى عهد قريب، أن الحكم التركي للشعوب اليوغسلافية، الذي استمر خمسة قرون، هو المسؤول أولاً وأخيراً عن ظهور الكلمات الأجنبية

في اللغة الصربوكروانية^(١)

بقلم:

د. جمال الدين سيد محمد

اتصال العرب باليوغسلافين

واعتقد أن هذا الأمر يحتاج إلى وقفة متأنية نشرح فيها كيف تمت هذه الاتصالات والعلاقات بين الشعوب العربية وبين الشعوب اليوغسلافية التي لم تكن معروفة في ذلك الحين بهذا الاسم، وإنما كان يطلق عليها اسم السلاف الجنوبيون. وكان هؤلاء السلاف الجنوبيون موجودين في الإمبراطورية البيزنطية، أو بعبارة أصح نزح هؤلاء السلاف إلى شبه جزيرة البلقان ابتداء من القرن السادس الميلادي. وقد رأى الإمبراطور البيزنطي أن يجند هؤلاء السلاف في جيشه حتى يسد العجز الموجود نتيجة لعدم وجود العدد الكافي من الجنود البيزنطيين. وتحول السلاف الجنوبيون إلى قوات تحارب مع البيزنطيين وترد هجمات العرب المتكررة.

والأهم من ذلك أن السلاف الجنوبيين لم يحاربوا فقط مع البيزنطيين وضد العرب بل حاربوا أيضاً مع العرب وضد البيزنطيين. وتذكر كتب التاريخ أنه في عام ٦٦٥ م، وفي عهد القيصر البيزنطي قسطنطين الثاني

الشرقية وخاصة الكلمات العربية في اللغات السلافية، وفي اللغات البلقانية بوجه عام. وباتصال الأتراك بهذه الشعوب البلقانية أخذ تأثيرهم على هذه الشعوب يشتد، وقد ترك هذا التأثير آثاراً جلية متبينة في هذه المناطق وفي لغاتها وثقافتها، وكان علماء اللغة يدرجون الكلمات العربية الموجودة باللغة الصربوكروانية تحت اسم الكلمات التركية. ومن المفهوم أن سبب هذا الخطأ هو غياب ونقص الأبحاث المتخصصة التي تدرس بشكل خاص موضوع الكلمات العربية في اللغة الصربوكروانية، وتأثير العرب على شعوب البلقان.

إلا أنني خلال بحثي في هذا المضمار برهنت على أنه كانت هناك على مر القرون وقبل احتلال الأتراك لهذه المناطق، اتصالات عديدة تمت بين الشعوب العربية وبين الشعوب اليوغسلافية. وما لا شك فيه أن هذه الاتصالات والعلاقات قد تركت آثارها على اللغة أيضاً. وقد أثبت خلال بحثي بالدليل القاطع، أن هذه الاتصالات بين العرب وبين الشعوب البلقانية، ومن بينها الشعوب اليوغسلافية، بدأت منذ عهد الخلفاء الراشدين. ولا شك أن هذه الحقائق الجديدة المدعمة بالأدلة التاريخية تدحض النظريات السابقة.

(٦٤١ - ٦٦٨ م) انتقلت وحدة عسكرية بيزنطية قوامها خمسة آلاف جندي من السلاف الجنوبيين إلى صف القائد العربي عبد الرحمن واستوطنت سورية^(٢).

وتحكي كتب التاريخ كذلك أنه قد جرت معارك دموية على الحدود بين الإمبراطورية البيزنطية وبين الدولة الإسلامية في عهد الأمويين والعباسيين. وقد استمرت هذه المعارك والحروب ثمانية قرون، اشترك فيها السلاف الجنوبيون مع المسلمين ومع البيزنطيين. وحتى بداية القرن العاشر الميلادي تقريباً، كانت تتكرر كل عام تقريباً الهجمات من الجانبين ويتم أسر الجنود وتبادلهم. ومن المؤكد أن كل هذا يؤدي إلى حدوث اتصالات مباشرة بين العرب وبين السلاف الجنوبيين، وإلى تبادل الاتجاهات الروحية والأفكار وأسباب الحضارة والثقافة. ولا يخفى على أحد تأثير كل هذا على اللغة.

ونضيف إلى ذلك الهجمات العربية على بحر الأدرياتيك التي استمرت هي الأخرى قرنين كاملين على فترات متقطعة، ثم الدور الذي قام به التجار الفاطميون في نشر الثقافة والحضارة وكذلك اللغة العربية. ولا ننسى كذلك اشتراك السلاف الجنوبيين في الحروب

الصليبية .

ثم بعد كل هذا أتى الأتراك إلى الأراضي اليوغسلافية ، وجلبوا معهم نظاماً اجتماعياً وإدارياً جديداً ، وحملوا معهم كذلك عناصر الحضارة والثقافة العربية والإسلامية . ولقد كانت الإمبراطورية التركية بحق تقوم بدور الوسيط والناشر لعناصر الثقافة العربية بين السلاف في منطقة البلقان كلها . وقد قام بنقل هذه العناصر كل شخص تقريباً ابتداء من الجندي والتاجر ، وعن طريق رجل الدين والحجاج ، وكذلك عن طريق الولاة والحكام ورجال القلم بوجه عام .

وخلال حكم الأتراك هذه البلاد ظهر العديد من الأفكار والتصورات والمؤسسات والمصالح ، فدخلت بأسمائها دون تغيير في اللغة الصربوكرواتية . ويمكننا الآن أن نؤكد بما لا يدع مجالا للشك ، أن الأتراك ثبتوا عناصر الحضارة والثقافة العربية والإسلامية التي كانت موجودة قبل غزوهم للأراضي اليوغسلافية وأضافوا عليها الكثير . وكان التأثير عميقاً لدرجة أن كثيراً من العناصر الشرقية ما زالت موجودة حتى الآن وبعد مرور فترة طويلة من الزمن على انتهاء وجود الأتراك في الأراضي اليوغسلافية^(٤) .

سبل انتشار الكلمات العربية

ومن المؤكد الآن أنه كانت هناك ثلاث سبل تعد هي السبل الرئيسية التي تم عن طريقها نشر وانتشار هذه الكلمات الشرقية واتساع استخدامها لدى جماهير الشعب الصربي والنكرواتي^(٥) ، وعلى الأخص لدى سكان البوسنا واهرسك حتى يومنا هذا . وكان السبيل الأول هم أهل البلاد من المسلمين الذين يجيدون اللغة الصربوكرواتية والذين تعلموا في القسطنطينية ، وبعد عودتهم من دراساتهم لم يكن بإمكانهم التخلص من تأثير اللغتين العربية والتركية عليهم . وابتدعوا في أعينهم ونشاطاتهم ، في مختلف المجالات الثقافية والدينية ، نوعاً من اللغة الوسط بين اللغتين العربية والتركية وبين لغتهم الأصلية

الصربوكرواتية ، بحيث إنهم كانوا يستخدمون بالنسبة لكثير من المعاني الكلمات العربية والتركية والفارسية بعد تطويعها لروح وتطور اللغة الصربوكرواتية .

ورغم أن اللغة التركية من حيث أصلها وتركيبها تختلف اختلافاً عظيماً عن اللغة العربية ، إلا أن اللغة التركية قد أخذت من اللغة العربية الكثير من الكلمات والتعبيرات وأضافت عليها البوادي واللواحق التركية أو حورت وغبرت في معانيها وفي نطقها . وانتقلت هذه الكلمات بتغييراتها وأشكالها الجديدة إلى اللغة الصربوكرواتية ، واستخدمها اليوغسلاف كما هي ، أو ربما أضافوا عليها أيضاً البوادي واللواحق الخاصة باللغة الصربوكرواتية أو استخدموا بجانبها الأفعال المساعدة مثل يكون ويصنع ويفعل ... إلخ . ولا شك أنهم كانوا مضطرين إلى ذلك لجهلهم النسبي بلغتهم الأصلية . فهم بجانب تعلمهم للغات العربية والتركية والفارسية في القسطنطينية ، لم يكن بإمكانهم أن يدرسوا في نفس الوقت أيضاً لغتهم الأصلية . ومن هنا أتى عجزهم وعدم قدرتهم على إيجاد كلمات من لغتهم الأصلية تناسب وتعبر عن كثير من الأفكار والتعبيرات التي تعلموها باللغات المذكورة .

وقد ظهر نشاط هؤلاء اليوغسلاف الذين تعلموا في القسطنطينية ، في المدارس الدينية ، وفي الكتاتيب وفي المواعظ والدروس الدينية المختلفة . وكان التلاميذ اليوغسلاف بهذه المدارس وكذلك المسلمون اليوغسلاف - الذين كانوا غالباً ما يستمعون إلى دروس الوعظ - هم همزة الوصل ، وكانت عن طريقهم تغلغل الكلمات العربية وغيرها من الكلمات الأجنبية وسط طبقات الشعب العريضة ، وتطبعت هذه الكلمات بطابع الكلمات الصربوكرواتية .

ولا بد أن ننوه في هذا المضمار أن اللغة العربية كانت هي الناقل الرئيسي ووسيلة التعبير الأساسية عن الثقافة الإسلامية بوجه عام . ولذا فإن تأثيرها على اللغة الصربوكرواتية انتشر واتسع في كل مكان تقريباً ، وحتى خارج نطاق الدين .

ولا ينبغي أن ننسى أن اللغة العربية هي

لغة الإسلام ، وهي بالتالي لغة كل من اعتنق الإسلام ، وبذلك أصبحت اللغة العربية إلى حد ما في متناول جميع المسلمين بغض النظر عن قومياتهم وعن ثقافتهم . ومن المرجح أن عدداً من الكلمات العربية الموجودة في اللغة الصربوكرواتية ، وخاصة تلك الكلمات التي تتعلق أساساً بالحياة الدينية للمسلمين ، وبالدين الإسلامي وشعائره وأسماء المسلمين وألقابهم ، دخلت إلى اللغة الصربوكرواتية مباشرة من اللغة العربية .

وفيما يتعلق بالعامل الثاني فمن الحقائق العامة المعروفة أن الشعر والنثر والتراث الشعبي باللغة الصربوكرواتية تتوفر فيه بغزارة الكلمات العربية خاصة والكلمات الشرقية بوجه عام . ولم يكن جامعو التراث الشعبي وكذلك أولئك الذين كانوا يشتهرون بأنهم شعراء يقرضون شعراً مماثلاً للشعر الشعبي ، يدافعون عن تطهير الشعر والتراث الشعبي من هذه الكلمات المستعارة واستبدالها ، لإحساسهم أنها ليست بالفريبة عليهم . ونظراً لشدة تعود عامة الشعب على هذه الكلمات وسط الشعر الشعبي الذي كان اليوغسلاف دائماً ما يتغنون به ، فقد أصبحت هذه الكلمات كالملمح والبهارات للطعام ، أي إنه لا غنى ولا بديل عنها مطلقاً .

ومن الطبيعي أن مثل هذا الشعر الشعبي قد أثر أيما تأثير في اللغة اليومية لعامة الشعب . وما لا ريب فيه أن بعض اللغات الأوروبية هي السبيل الثالث الذي دخلت عن طريقه بعض الكلمات العربية إلى اللغة الصربوكرواتية . ومن هذه اللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والإسبانية وغيرها . ومن المعروف أن هذه اللغات الأوروبية قبلت خلال القرون الوسطى عدداً من الكلمات العربية التي تم نقلها عن طريق مختلف العلوم ، مثل علوم الفلك والرياضة والكيمياء والطب وغيرها^(٦) . والكلمات التي وردت عن طريق هذه اللغات قليلة ومحدودة الاستخدام ولها مميزات خاصة^(٧) . وقد كثرت الدراسات المتخصصة في هذا المجال الذي يبرز فضل اللغة العربية والعرب على لغات العالم^(٨) .

اللغات . . والقوميات

وهناك قضية تستحق المناقشة ، فمن المعروف أن التعصب أو التحمس للغة القومية يدفعان ويحثان أهلها إلى تطهير لغتهم من الكلمات الأجنبية . وتتوقف قوة هذا التطهير وشدته على ما إذا كان الأمر يتعلق بمحاربة تأثيرات أجنبية مفروضة بالقوة ومحاربة تأثيرات تهدد اللغة القومية أم أن الأمر لا يتعدى كونه تأثيراً سلبياً طبعياً للغة أجنبية على اللغة القومية .

وفي هذا المضمار لا بد أن نبرز حقيقة هامة وهي أن موقف رجال اللغة وعلماؤها حيال الكلمات العربية والتركية أكثر تساهلاً وتسامحاً من موقفهم حيال الكلمات المستعارة الأخرى المأخوذة من اللغات غير السلافية ، وذلك خلال عملية تطهير اللغة الصربوكرواتية من الكلمات الغربية المستعارة . وعلماء اللغة الصربوكرواتية ورجالها أمثال فوك وباجيتش وماريتش ، كانوا أنفسهم يستخدمون الكلمات العربية والتركية في أبحاثهم ومؤلفاتهم ، ومن الطبيعي أن موقفهم حيال مثل هذه الكلمات كان يختلف اختلافاً بيناً عن موقفهم حيال الكلمات الأجنبية عامة والكلمات الألمانية خاصة . والسبب الأساسي لذلك يرجع إلى أن اللغة الصربوكرواتية كانت تتطور وتنمو بحرية تحت الإدارة التركية . هذا علاوة على أن الأتراك خلال سيطرتهم على الأراضي اليوغسلافية لم يكتثروا كثيراً بعادات اليوغسلاف ولا بلغاتهم ، ولم يتم فرض الكلمات التركية أو العربية بالقوة أو بتدبير معين . ووجود هذه الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية لم يثر أي إحساس بالمهانة أو الضيق لدى جماهير الشعوب اليوغسلافية بحيث أنها كانت تتساهل وتتسامح مع الألفاظ العربية والتركية التي يوجد لها بديل مناسب في اللغة الصربوكرواتية ، ويستمر هذا التساهل حتى في اللغة الأدبية الفصحى ، وفي لغة الأدب المنشور .

ومن الغريب أن الباحثين كانوا إلى عهد قريب في يوغسلافيا يدرجون

الكلمات العربية باستمرار ضمن الكلمات التركية ، ويتناسون أن اللغة العربية هي الأصل . ويرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى نقص الأبحاث والدراسات العلمية الجادة التي تهتم بالكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية . ولكن لا بد أن ننوه هنا على الفور أنه بدأت في يوغسلافيا في السنوات الأخيرة فحسب ، تظهر محاولات علمية جادة من جانب مجموعة من الشباب المتحمس للعلم وللحقيقة رغبة منهم في إلقاء أضواء الحقيقة على هذا الموضوع .

وأهم الأبحاث الجادة التي قامت بدراسة الكلمات التركية بما فيها الكلمات العربية هو قاموس المستشرق اليوغسلافي عبد الله شكالييتش وعنوانه « الألفاظ التركية في اللهجات الشعبية والأدب الشعبي لمنطقة البوسنا والهرسك » . وكما نرى من عنوان هذا القاموس فإنه لم يركز إلا على الأدب الشعبي بينما هناك العديد من المصادر الأخرى التي تفيض أيضاً بالألفاظ العربية . والأمل معقود على أن يقوم المؤلف باستكمال هذا النقص .

وحسب ما ذكره مؤلف هذا القاموس فهو يحتوي على (٦٥٠٠) كلمة منها حوالي (٣٨٠٠) كلمة من أصل عربي ، ومن هذا يتبين لنا أن أكثر من نصف الكلمات الأجنبية كلمات عربية الأصل . وعلاوة على هذا فقد قام المؤلف بمجهود مشكور في تنقيح قاموسه وإضافة بعض الألفاظ الأخرى التي اكتشفها ، وهذا بالطبع يزيد من قيمة وأهمية هذا القاموس . وخلال بحثي في رسالة الدكتوراه^(٩) عثرت على حوالي (١٢٩) كلمة عربية غير موجودة بقاموس شكالييتش المذكور أو في أية كتب أو أبحاث تتعلق بهذا الموضوع . وقد أوردت كذلك أمثلة على كيفية استخدام الكتاب والأدباء اليوغسلاف لهذه الكلمات . وهذا العدد وإن كان قليلاً في حد ذاته إلا أنه يفتح الباب أمام الباحثين اليوغسلاف لتعميق الأبحاث والاستزادة من الدراسات في هذا المجال .

نماذج من العربية

ولا شك أن بعض النماذج والأمثلة للكلمات العربية الموجودة في اللغة الصربوكرواتية سيعطي القارئ الفاضل صورة أحسن :

aba	مأخوذة من كلمة عباءة ولكنها هنا في يوغسلافيا تطلق على نوع من القماش الخلي أو على الجبنة المصنوعة من هذا القماش .
adalet	عدالة
adet	عادة
adžaip	عجيب
adžam	غير عربي ، فارسي
adžala	عجلة ، سرعة
afiyun	أفيون
berićat	بركة
bid'at	بدعة
bilahi	بالله
bilhajr	بالخير
bismila	بسم الله
bulbul	بلبل
ćafir	كافر
ćafurija	كافور
ćatip	كاتب
ćefini	كفن
ćemal	الكمال
ćenifa	(الكنيف) دورة المياه ، المراحيض
ćereviz	كرفص
ćeten	كتان
ćbab	كباب
ćevš	كشفت
ćibur	كبر ، قبح
ćitab	كتاب
ćufari	كفار
ćufur	كفر
ćup	كوب
ćurs	مأخوذة من كلمة كرسي وتعني مثير الروعظ في الجامع
daima	دائماً
daira	دائرة

وبعد أيها القارئ العربي الفاضل بحق لك بعد قراءة هذا البحث أن تفخر بأن بصيات أجدادك العرب وبصيات لغتك العربية ما زالت مطبوعة وموجودة حتى الآن في لغات عالمية كثيرة ومنها اللغة الصربوكرواتية .

المراجع والمصادر

- (١) جيورجي أوترو جورسكي ، «بينظمة والسلاف» ، المجلد الرابع ، بلغراد ١٩٧٠ م .
- (٢) إيفان بوجيتش وآخرون ، «تاريخ يوغسلافيا» ، بلغراد ١٩٧٢ م .
- (٣) د . السيد الباز العربي ، «الدولة البيزنطية» ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- (٤) الكسندروفيتش فاسيليف ، «تاريخ الإمبراطورية البيزنطية» ، المجلد الأول ، ميدسون ١٩٧٠ م .
- (٥) توفيق موفيتش ، «عن الكلمات العربية في اللغة الصربوكرواتية» ، مجلة الفيلولوجيا الشرقية XI-X لعام ١٩٦٠ - ١٩٦١ م ، سرايفو ١٩٦١ م ، ص ٥ - ٢٩ .

الهوامش

- (١) اللغة الصربوكرواتية هي اللغة السائدة في يوغسلافيا .
- (٢) المقصود بالكلمات الشرقية في اللغة الصربوكرواتية أنها الكلمات العربية والتركية والفارسية .
- (٣) قسطنطين يرينشيك ، «تاريخ الصرب» ، المجلد الأول ، بلغراد ١٩٢٢ م ، ص ٧٦ .
- (٤) ميلينكو فيليوفيتش ، «العناصر الشرقية في الثقافة الشعبية للسلاف الجنوبيين» ، مجلة الفيلولوجيا الشرقية XVI-XVII لعام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م ، سرايفو ١٩٧٠ م ، ص ١٠٢ .
- (٥) تتألف الشعوب اليوغسلافية من الشعب الصربي والشعب الكرواتي وشعب البوسنة والهرسك وشعب مقدونيا وشعب سلوفينيا وشعب الجبل الأسود ، وذلك علاوة على بعض الأقليات القومية الأخرى .
- (٦) انظر معجم ويسر الدولي الثالث الجديد .
- (٧) يوجد بمعجم «المورد» ملحق خاص عن الانفاظ العربية المستعارة في اللغة الإنجليزية . انظر «المورد» قاموس إنكليزي - عربي ، تأليف : منير البعلبكي ، بيروت ١٩٨٠ م ، الطبعة الرابعة عشر .
- (٨) من هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر : د . عبد الوهاب عزام ، «الانفاظ العربية في اللغات الإسلامية غير العربية» ، مجلة مجمع اللغات العربية ، الجزء التاسع ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٨٥ - ٨٦ . وأحدث هذه الدراسات ما نشرته مجلة «الفصل» في العدد (٥٠) لسنة ١٩٨١ م ، ص ١٨ - ٢٤ .
- (٩) وعنوانها «شخصية العربي في النثر باللغة الصربوكرواتية» . بلغراد ١٩٧٩ م .

erbeir	مأخوذة من كلمة أربعين وتعني حالياً
	الفترة الأولى من الشتاء وهي تستمر ٤٠ يوماً ابتداء من ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) وحتى ٣١ يناير (كانون الثاني)
erzak	أرزاق
eser	أثر
esmer	أحمر
esvap	من كلمة أثواب وتعني الملابس والثياب
esrar	أسرار
estagfirula	استغفر الله
ešja	أشياء
ešraf	أشراف
evkaf	أوقاف
evlad	أولاد
evsat	أوسط . متوسط
faiz	فائظ
fajda	فايدة
fakir	فقير
falake	الفلق . سوط الضرب
fani	فاني
farz	فرض
fasik	فاسق
fazla	فضلة
felah	فلاح
fen	فن . نوع
ferik	فريق . قائد الفرقة
fesad	فساد
feth	فتح
fid'ja	فدية
fikh	فقه
fil	فيل
fitilj	فتيل
frka	فرقة
gaflet	غفلة
gajret	غيرة
garet	غارة
gasul	غسل ويقصد به غسل الميت
habib	حبيب
hedis	حديث شريف

dal	حرف الدال
dara	مأخوذة من كلمة طرح وتعني ورق التغليف
dava	دعوة
def	الدف
dahšet	دهشة . بدهشة
dekika	دقيقة
delil	دليل . مرشد
deraža	درجة
ders	درس
dikat	دقة . عناية
din	دين
divit	دواية . محبرة
džabija	جاي الضرائب
džhil	جاهل
džaiz	جائز
džedval	جدول
džafa	من كلمة جفاء وتعني المشاجرة والخلاف
džahalet	جهالة
džemat	جماعة
dženaza	جنازة
džerah	جراح
džerida	جريدة . صحيفة
džerima	غرامة
dževab	جواب
dževiz	جور
džihad	جهاد
džilde	مأخوذة من كلمة جلد وتعني السندان الذي يسند عليه صانع الأحذية والنعال عند الإصلاح
džilt	غلاف . جلدة
džins	جنس
džube	جبة
džuma	صلاة الجمعة
džunup	الجنب . غير الطاهر
ehalija	أهالي
ehli-kitab	أهل الكتاب
emer	أمر
emir	أمير
emri-ilahi	أمر الله

بين شاعرين

لامارتين ●● علي محمود طه

البحيرة

للشاعر الفرنسي الشهير الفونس ماري دي لامارتين ، الذي ولد عام ١٧٩٠ م ، وتوفي عام ١٨٦٩ م ، ونشر ديوانه الأول « خواطر شعرية » عام ١٨٢٠ م ، ويتضمن أربعاً وعشرين قصيدة أشهرها قصيدة « البحيرة » التي تحتوي تعبيراً صادقاً عن الشاعر التي كانت تستولي على الشاعر في أثناء تأمله وتأثره بالطبيعة ، وقد توصف قصيدة « البحيرة » بأنها قصيدة وصفية ، ومع ذلك فإن قارئ القصيدة لا يكاد يجد فيها أي وصف لتلك البحيرة ، ولكنها قد استحوطت إلى مجرد إطار لتجربة عاطفية عاناها الشاعر على ضفاف البحيرة مع حبيبته « أليز » التي قضى معها على ضفافها خمسة عشر يوماً سنة ١٨١٦ م ، ثم تواعدا على العودة إليها في العام التالي ، ولكن شاء القدر أن يعود لامارتين وحده ، أما « أليز » فكان الموت قد طواها بذات الرئة ، فكتب لامارتين هذه القصيدة الرائعة باسم « البحيرة » وما فيها من وصف للبحيرة عبر ملامح خاطفة ، أما بقية الشعر فعن ذكرياته مع « أليز » وتأملاته في الحياة والموت :



★ لامارتين ★

للشاعر العربي المعروف ، علي محمود طه الذي ولد في المنصورة بمصر عام ١٩٠٢ م ، وتوفي عام ١٩٤٩ م ، وتخرج في مدرسة الفنون التطبيقية ، واشتغل مهندساً في الحكومة ، وزاول الشعر ، وسافر إلى كثير من بلدان أوروبا ، واحتل مكانة ممتازة بين شعراء العقد الخامس عندما ظهر ديوانه الأول « الملاح الثاني » ١٩٤٥ م ، وفيه أثر واضح من الرومانسيين الفرنسيين وبخاصة لامارتين ، إضافة إلى القصائد التي تعبر عن فلسفة رومانسية ، كانت القصائد التي استوحاها من مشاهد صباه حول المنصورة وبحيرة المنزلة ، وتتابعت دواوينه بعد ديوانه الأول ، ومنها « ليالي الملاح الثاني » و « أغنية الرياح الأربع » وغيرهما .



★ علي محمود طه ★

وقد كان التغني بالجمال أوضح في شعر علي محمود طه ، من تصوير العواطف والذوق أغلب على الثقافة ، واستلهم « الغناء » « السبقية » فيما بينها أظهر من التعبير .
وهذه هي قصيدة « البحيرة » لشاعرنا العربي علي محمود طه ، التي يعارض بها قصيدة « البحيرة » للشاعر الفرنسي لامارتين :



قصيدة



قصيدة

البحيرة

أنظر هكذا منساقين أبداً إلى شواطئ جديدة
عمولين دائماً وسط الليل الأبدى بغير رجعة؟
أو ما نستطيع أن نلقى بمرساتنا يوماً
على شاطئ الزمن اللجني؟

أيتها البحيرة! لم يكد العام يتم دورته
ومع ذلك انظري
ها أنا وحدي جالساً فوق هذه الصخرة
التي رأيتهما تجلس عليها
وإلى جوار أمواجك العزيزة
التي كانت ستعود إلى رؤيتهما.



البحيرة

ليت شعري أهكذا نحن نمضي
في عباب إلى شواطئ غمض
ونغوص الزمان في جنح ليل
أبدى يضني النفوس ونمضي
وضفاف الحياة ترمقها العي
من فبعض يمر في إثر بعض
دون أن نملك الرجوع إلى ما
فات منها ولا الرسو بأرض؟!

حدثي القلب يا بحيرة مالي
لا أرى «أولفير» فوق ضفافك
أوشك العام أن يمر وهذا
موعد للقاء في مصطافك
صخرة العهد ويك هانذا عد
ت، فإذا لديك عن أضيافك؟
عدت وحدي أرعى الضفاف بعين
سفكت دمعها الليالي السوافك



كنت بالأمس تهديرين كما إذ
ت هديرأ يهز قلب السكون
وحفاف أمواجها يتداع
ين على هذه الصخور الجون
والنسيم العليل يحمل وهنا
زبد الموج للربى والحزون
ملقياً رغوها على قدميها
لين المس مستحب الأنين

هذه الكلمات :

أيها الزمن قف جريانك
وأنت أيتها الساعات السعيدة ، قفي انسيابك
واتركينا ننعم بالغدات العابرة
التي تتيحها أجمل أيامنا

كثير من منكوبي الحياة يضرعون إليك
فأسرعي ، أسرعي عنهم
واحلي مع أيامهم الآلام التي تنهشهم
وانسي السعداء

هكذا كنت تهديرين تحت هذه الصخور العميقة
وهكذا كنت تتكسرين على جوانبها الممزقة
وهكذا كانت الرياح تلقي بزبد أمواجك
فوق قدميها الجميلتين .
أو ما تذكرين كيف كنا نجذف صامتتين ذات مساء
وكنا لا نسمع عن بعد فوق الموج وتحت السموات
غير حفيف المجاذيف وهي تضرب في صمت
أمواجك الناعمة .

وفجأة ترددت في الشاطئ
أصداء نغمات تجهلها الأرض
فأنصت الموج وتساقطت من الصوت الحبيب

وعلى حين غرة رن صوت
لم يعود سماعه إنسي
هبط الشاطئ الطروب لنا يس
مع فيه للهاتف دوي
وإذا الليل ساهم سكن النو
ء إليه وأنصت الدجي
يلقي عن نبأة الصوت نجوى
كلمات ألق بهن نجبي

يا زماناً يمر كالطير مهلاً
طائر أنت؟ ويك قف طيرانك!
أهنا الساعات تجري وتعدو
نا عطاشاً فقف بنا جريانك!
ويك دعنا نمرح بأجل أيا
م ونلق من بعد خوف أمانك!
وإذا نحن لذة العيش ذقنا
ها ومرت بنا فدر دورانك!

بيد أن الشقاء قد غمر الأر
ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع إليك يرجيك
فأسرع! أسرع! إلى الضارعينا
وافترس شقيات أيامهم وامد
ض رحي تطحن الشقاء طحونا



أترى تذكرين ليلة كنا
منك فوق الأمواج بين الضفاف
وسرى زورق بنا يتهادى
تحت جناح الدجي وستر العفاف؟!
في سكون فليس نسمع فوق المو
ج إلا أغاني الجدادف
تتلاقى على الرى والحوافى
بأناشيد موجك العزاف؟؟

ولكنني أسألك عبثاً فضلاً من اللحظات
فالزمن يفلت ويهرب
وأقول لهذا الليل تمهل
والفجر سيبدد الليل

فلنحب إذن ، فلنحب!
فالإنسان لا مرفأ له ، والزمن ما له من شاطئ
إنه ينساب ، وننساب معه .
أيها الزمن الغيور
هل يجوز أن تنساب عنا لحظات النشوة
التي يسكب لنا فيها الحب والسعادة
جرعات طوالاً
بالسرعة نفسها التي تنساب بها أيام الشقاء؟

ثم ماذا؟ أوما نستطيع أن نستبقي الأثر؟
أهكذا تمر إلى الأبد؟ أهكذا يضع كل شيء
وهذا الزمن الذي منحها والذي محها
لن يردّها إلينا قط؟

أيها الأبد! أيها الماضي! أيها الأغوار الداكنة
ماذا تفعلين بما تبتلعين من أيام؟
تكلمي ، هل ستردين إلينا تلك النشوات العلوية
التي تسلبينها منا؟

أيها البحيرة ، أيها الصخور الصامّة

رحمة! فاذكر النفوس الحزاني
وانس يا دهر أنفس الناعمينا

عبثاً أنشد البقاء لعهد
يفلت اليوم من يدي ويفر
وسويعات غبطة ما أراها
ووشيكا ماتنقضي وقر
وانادي ياليلة الوصل قري
إن بعد السرى يطيب المقر
أسفاً للصبا وغر ليال
ليس يبق على صباهن فجر

فلنحب الغداة ولنحي حباً
ولنكن في الحياة بعضاً لبعض
ولنسارع فنقتفي إثر ساعا
ت فقد تؤذن النوى بالتقضي
إننا في الحياة في عرض بحر
ليس نلقى المرساة فيه بأرض
مابه مرفأ يبين ولكن
نحن نمضي في لجة وهو يمضي!

أهكذا أنت أيها الزمن الحـا
قد تغتال نشوة اللحظات؟

حيث يزجي لنا السعادة أموا
جأ من الحب زاهر اللجات؟
أكذا أنت ذاهب بليالي الصف
و عنا سريعة الخطوات؟
أكذا تنقضي حلاوة نعمـا
ها كما ينقضي شقاء الحياة؟

كيف حدث: أغالها منك صرف
في أييد الزمان حيث طواها؟
ويك قل لي أليس نملك يوماً
أن نراها؟ أما تبين خطاها؟
أتراها ولت جميعاً ولما تب
ق حتى آثارها ، أتراها؟
أو ذاك الدهر الذي افتن فـ
ي صوغ صباها هو الذي قد محها؟

أي أييد الزمان والعدم العا
تي غريقين في سكون وصمت



والكهوف والغابة الخالكة
انت التي يستبقيك الزمن أو يجدد شبابك
احتفظي من هذه الليلة . أيتها الطبيعة الجميلة
على الأقل بالذكرى .

★ ★ ★

وفي الريح التي تنز والغباب الذي يتنهد
وفي العطور الخفيفة المناسبة في أريج هوائك
وفي كل ما يسمع وما يرى وما يتنفس
ليتردد في كل هذا : أنها كانا حبيبين .

★ ★ ★

وفي لحظات هدونك أو صخبك
أيتها البحيرة الجميلة وفي شواطئك الباسمة
وفي صنوبرك الأسود وصخورك الموحشة
الحانية فوق أمواجك

★ ★ ★

وفي النسيم الذي يرتعش ويمر
وفي النغمات التي ترددها شطآنك

«نقلًا عن كتاب «فن الشعر» للدكتور محمد مندور» .

في مغانيك حالات تراءى
ضاحكات على سفوح هضابك
في مروج الصنوبر الحر تهفو
سابغات الألياف حول شعابك
في نتوء الصخور شرفة الأعنا
ق بيضا تطل فوق عبابك

★ ★ ★

وليكن في العباب يهدر أمو
اجأ على شاطئيك مثل الرعود
في انتحاب الرياح تعول في الود
يان إعوالم قلبي المفقود
في صدى الجدول الموقع أنا
ت حشاه بالجدول الجلمود
في شذاك السرى ينشق منه الـ
قلب ريا فردوسه المفقود؟

★ ★ ★

وليكن في النسيم ماهب سار
يه يحوب الشيطان نحوك جوبا
في جبين النجم اللجيني يلقي
فضة الضوء في مياهاك ذوبا
وليكن في شتيت ماتسمع الأ
ذن وفيما نراه عيناً وقلبا
ليكن هاتف من الصوت يتلو
«قد أحبا وأخلصا ما أحبا»

«البحيرة : من ديوان «الملاح التائه» للشاعر : علي محمود طه»

أي عميق اللجات : ماذا بأيا
م صبانا ماذا بهن صنعت؟
حدثيني أما تعيدين مامن
سكرات الغرام منا اختطففت؟
أوما تطلقينها من دياجي
ك! أم تبعينها بعد موت؟

★ ★ ★

انت يا هذه البحيرة ماذا
يكنم الموج فيك والشاطآن
أيها الغابة البظلية أرى
أنت يامن أبقى عليها الزمان
وهو يستطيع أن يجدك حسناً!
احفظي لا أصابك النسيان
قل حفظاً أن تذكرني ليلة
سرت وأنت الطبيعة الحسان

★ ★ ★

ليكن منك يا بحيرة مالج
بك الصمت أو جنون اصطخابك



مكافحة الأمية في الواقع العربي

لا يكتب ؛ كما ذكر الراغب الأصفهاني أن الأمي هو الذي لا يكتب
وذكره ابن خلدون في كتابه "المقدمة" والجهالة وقلة المعرفة ؛ ولقد وردت تعريفات
عديدة للأمية والامية في المؤتمرات التي عقدها الجهاز العربي نحو الأمية
وتعليم الكبار إلا أن أغلبها يجمع على أن الأمي هو الشخص الذي
لا يعرف القراءة والكتابة ، ولا يعي قضايا واقعه وعالمه المعاصر .

أما عن مفهوم مكافحة ؛ فلقد ورد في (تاج العروس) في الجزء
الثاني ، ص ٣١٢ ، أن المكافحة لغة مصادفة الوجه بالوجه ؛ يقال كفحه
كفاحاً وكافحه مكافحة وكفاحاً لقيه مواجهة ، ولقيه كفحاً ومكافحة ؛
والمكافحة في الحرب هي المضاربة تلقاء الوجوه وفي الصحاح كافحهم إذا
استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس أو غيره ؛ وعليه فإن مكافحة
الامية تعني مواجهة الجهل بالمعرفة والغفلة بالإحاطة .

حجم الأمية في واقعنا العربي

تشير الإحصاءات المحلية والعالمية إلى ثقل حجم الأمية في واقعنا العربي
حيث تصل إلى ٧٠٪ بين الكبار والصغار على السواء من الذكور ، وإلى
٩٠٪ بين الإناث ، بالإضافة إلى النسب العالمية من الإهدار ممثلًا في
الرسوب والتسرب والانقطاع ، والتحصيل المتدني فيما أوردته الدراسات التي
أعدها مكتب الإحصاء باليونسكو عن الفاقد في التعليم للمؤتمر الثاني
والتربوي العربي - ١٩٨٠ ، وفيما أوردته نتائج الحلقة
الدراسية التي أعدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في
الجزائر عام ١٩٧٢ م ؛ مما يستلزم بالضرورة السعي الجاد لمواجهتها
والحد منها في ضوء عدة اعتبارات رئيسية منها :

إن الدين الإسلامي دين علم ونور لا دين أمية وظلمة ، فأول
آية كريمة نزل بها الوحي فيها أمر للرسول الكريم بالقراءة ،
وتكرير لذلك الأمر وتنويه بشأن العلم والتعليم نلمسه في إسناد
التعليم إلى الله تعالى ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان
من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان
ما لم يعلم ﴾ ، وقوله تعالى لنبيه الكريم ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ ،
وقوله تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
قائمًا بالقسط ﴾ ، فبدأ تعالى بذاته ثم ثنى بالملائكة ثم بأهل العلم ؛
ولقد دعا الرسول الكريم إلى التعليم وأوجبه فقال : « علموا
أولادكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ؛ « طلب العلم فريضة
على كل مسلم ومسلمة » .

ولم يقف الإسلام عند الدعوة إلى نشر العلم والتعليم فحسب ؛ بل دعا إلى
الاستمرار في طلب العلم مدى الحياة ؛ من المهد إلى اللحد ، فقال الرسول
الكريم : « لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ؛ فإذا ظن أنه قد علم فقد
جهل » . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول الكريم فيما ورد في الفقيه
والمتفقه قوله : « تعلموا العلم ؛ فإن تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث
عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قرية » .

وعلى ضوء دعوة الإسلام في نشر العلم وتمجيده ؛ فإننا سنحاول في هذه
الدراسة إلقاء الضوء على مشكلة الأمية في واقعنا العربي ، وذلك من خلال
الإجابة على الأسئلة التالية :

★ ماذا نعني بالأمية .. وبمكافحتها ؟

★ ما حجم الأمية في واقعنا العربي ؟

★ ما أهم معوقات مكافحة الأمية والحد منها ؟

★ ما أساليب مواجهة هذه المشكلة والخلاص منها ؟

ووصولاً إلى مقصدنا في هذه الدراسة ؛ فسنحاول الإجابة على هذه
الأسئلة على النحو التالي :

مفهوم الأمية ومفهوم مكافحتها

يقول أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في (جامع البيان) في الجزء
الأول ، ص ٧٣ ، إنه قيل للأمي أمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه لأن
الكتابة كانت في الرجال دون النساء ، وقيل إن أمي نسبة إلى أم القرى فما ورد
في (الجامع لأحكام القرآن) في الجزء التاسع ، ص ٦٥٧٠ ، لأن أهلها كانوا
لا يكتبون آنذاك ؛ وفي اصطلاح فقهاء الشريعة الأمي خلاف القارئ أي من
لا يفهم معنى ما يقرأ . ويستدلون على ذلك بقوله تعالى ﴿ ومنهم أميون
لا يفهمون ﴾ ، أي لا يفهمون الحساب ، ورواه د يهمون
معناها .

ويقول أبو إسحاق إبراهيم بن السري المشهور بالزجاج في كتابه
(معاني القرآن) إن الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلة أمته أي

بقلم: د. لطفى بركات أحمد

لما زالت غالبية البلدان العربية تستعين بمعلم المرحلة الابتدائية في تعليم الأميين بعد الانتهاء من أوقات عملهم الرسمي ، وهؤلاء غير مؤهلين تربوياً ومهنياً لهذا النوع من التعليم ؛ مما يستلزم السعي إلى إنشاء أقسام بمعاهد وكليات إعداد المعلمين للوفاء بهذا الغرض .

أساليب مواجهة مشكلة الأمية

تتمثل أساليب مواجهة هذه المشكلة في وضع استراتيجية تربوية عربية شاملة تركز على المبادئ التالية :

- ١ - إن تجاوز تخلف الواقع العربي إلى التقدم ؛ مرهون بوجود كبار على مستوى ثقافي يواكب روح العصر ومتطلباته .
- ٢ - إن الصراع بيننا وبين إسرائيل لم يعد صراعاً عسكرياً بحتاً بقدر ما هو صراع حضاري ينبغي أن يؤدي فيه التعليم دوراً مؤثراً .
- ٣ - ضرورة منح الأولوية للكبير في التعليم على الصغير لتوفير الظروف الأسرية المناسبة للصغير نفسه ، لأن يتعلم ما دام أبواه متعلمين .
- ٤ - تحويل الوزارات المسؤولة حالياً عن التعليم إلى وزارات مسؤولة عن التربية بمفهومها الشمولي الحضاري ، حيث تمتد سلطاتها إلى مواقع العمل والمؤسسات ووسائل الاتصال الجماهيري .
- ٥ - تنمية فكر تربوي عربي موحد يكون على مستوى تحديات هذه المشكلة والتصدي لها وبلواعتها .
- ٦ - توحيد الجهود العربية لمواجهة هذه المشكلة في ضوء موانيق جامعة الدول العربية عام ١٩٤٤ م ، والمعاهدة الثقافية عام ١٩٤٥ م ، وميثاق الوحدة الثقافية العربية عام ١٩٦٤ م ، وإنشاء المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٠ م . والله الموفق .

بعض مراجع الدراسة

- (١) نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية : وثيقة مقدمة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، ١٩٧٢ م .
- (٢) الدكتور يحيى هندام وآخرون : تعليم الكبار ومحو الأمية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- (٣) تعليم الجماهير : الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ، القاهرة ، العدد (٩) ، ١٩٧٧ م .
- (٤) اليونسكو : المؤتمر الإقليمي لتخطيط وتنظيم برامج محو الأمية في البلاد العربية ، الإسكندرية ، ١٩٦٤ م ، التقرير النهائي سرس الليان ، ١٩٦٥ م .
- (٥) نظام تعليم الكبار ومحو الأمية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٣٩٢ هـ .

(أ) التغيرات التقنية المتلاحقة في عالمنا المعاصر .

(ب) الصلة العضوية بين العلم وتطبيقاته .

(ج) تغير مفهوم الإنتاج للعمل الإنساني .

(د) انفتاح الحواجز بين المجتمعات .

(هـ) ارتكاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية على التنمية البشرية .

معوقات مكافحة الأمية

يمكننا إيجاز أهم هذه المعوقات على النحو التالي :

١ - عدم الوعي الكافي بخطورة المشكلة :

برغم الجهود التي يبذلها الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار في مكافحة الأمية إلا أن هذه الجهود ما زالت بطيئة ، وعلى سبيل المثال فقد حدد مؤتمر الإسكندرية عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ م ، مدة خمسة عشر عاماً للقضاء على هذه المشكلة ومع ذلك فإن الانجاز لم يتجاوز ١٢٪ من المستهدف .

٢ - ضعف ميزانية التمويل :

لما زالت الميزانيات المخصصة لمواجهة هذه المشكلة ضئيلة قياساً إلى حجمها ؛ مما يتطلب مراجعة النظر في الميزانيات الحالية وزيادة اعتماداتها .

٣ - غياب الترابط بين مشروعات محو الأمية وخطط التنمية الوطنية :

لما زال هذا الترابط شبه منعدم في كثير من قطاعات واقعنا العربي ، مما يستلزم تقليب النظر وإعطاء الأولوية في المشروعات الاقتصادية في محو أمية العاملين بها لرفع كفاءتهم الإنتاجية .

٤ - النظر إلى مشكلة محو الأمية على أنها مشكلة تعليمية فقط :

وهذه النظرة خاطئة ، إذ إن مشكلة محو الأمية مشكلة وطنية قبل أن تكون تعليمية ؛ مما يستوجب إشراك كل الهيئات والقطاعات الحكومية والأهلية في مواجهتها والحد منها .

٥ - عدم استيعاب كل الملزمين :

حيث تشير الإحصاءات المحلية وإحصاءات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، إلى أن بعض بلدان الوطن العربي لا تستوعب كل الملزمين في المرحلة الابتدائية ، ومعنى هذا تزايد رصيد الأميين عاماً بعد عام .

٦ - عدم الجدوية في استقطاب الدارسين :

لما زالت الجهود التي تبذل في استقطاب الدارسين محدودة للغاية بالإضافة إلى تسرب غالبيتهم أثناء الدراسة أمام وطأة ظروف الحياة ، وهذا يتطلب من المعنيين عن مكافحة الأمية تخصيص حوافز مادية وأدبية للدارسين ، وتخطيط برامج مشوقة تحفزهم على الدراسة والانظام .

٧ - عدم وجود أقسام بمعاهد وكليات إعداد المعلمين لتأهيل معلم الأميين :

تلفزيون

أم



الكاتبة في
سطور

ماري وين : ولدت في تشيكوسلوفاكيا . تعيش حالياً في نيويورك . متزوجة من الملحن آلن ميللر . وهي أم لولدين . تعمل صحفية في نيويورك تايمز ، وقد نشرت عدة كتب مخصصة للعلاقات بين الآباء والأبناء ومقالات عديدة في الصحف والمجلات الأمريكية .

★ ماري وين ★



★ نحن في معرض الانتقال من
ثقافة القراء إلى ثقافة المشاهدين ★

مهما كانت نوعية البث التلفزيوني ، فإن الشاشة الصغيرة تأخذ بالباب أصحاب الرؤوس الصغيرة من أطفالنا الأعزاء ، لماذا؟ ما هو تأثير استخدام التلفاز بصورة مفرطة؟ ولكي نحاول ماري وين الإجابة على مثل هذه الأسئلة ، فقد قامت بالتحري والاستقصاء بين أطفال أميركيين تتراوح أعمارهم بين العامين والسنة أعوام ، وكذلك بين الآباء والأمهات وبين المهتمين بشؤون التربية ، لأن أطفال ما قبل سن الدراسة يقضون أمام هذا الجهاز أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعياً ، أي أكثر من ثلث أوقات صحوهم .

وجبات الطعام العائلية حتى ليكاد التلفاز يحتل وظيفة المربية .

●● الملاحظة الثالثة : في عام ١٩٧٩ م ، قام فريق من جامعة ميشيغان الأمريكية بعمل عدة دراسات على (٤٠٠٠) طفل أميركي لمعرفة تأثير التلفزيون عليهم وثبتت من الدراسات أن هؤلاء أكثر عرضة من سواهم لأمراض القلب وضغط الدم والأمراض النفسية ، بالإضافة إلى محاولة الكثير منهم فيما بين السادسة والعاشرة من أعمارهم إلقاء أنفسهم من النوافذ . وأثبتت الدراسات أيضاً أن نسبة ٧٠٪ من الأطفال اكتسبوا عادات سيئة من بينها التدخين والهروب من المدارس ومحاولة إلقاء أنفسهم أمام السيارات . وقال الفريق الأميركي الذي أعد الدراسات أن كثرة الجلوس أمام التلفزيون تؤدي إلى قلة الحركة وانعدام النشاط وارتفاع نسبة الكولسترول في الدم .

دور التلفزيون عند الآخرين

هذا ما تراه الباحثة الاجتماعية بالنسبة للولايات المتحدة . ولكن ماذا بالنسبة للفرنسيين مثلاً؟ . فقد وجد أن الأبناء الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ١٤ سنة ، يقضون أمام جهاز التلفاز وسطياً ما بين ١٤ إلى ٢٠ ساعة بالأسبوع بما في ذلك العطلة الأسبوعية أي أقل بكثير من الصغار الأميركيين ، وهذا وضع مريح نسبياً ، بيد أن علماء

●● الملاحظة الأولى : لا يجيد هؤلاء الأطفال النطق والكلام ،

فهم عاجزون عن القيام بحوار مع الذين يحيطون بهم مثلما لا يتبادلون معهم الأفكار ، وهذا على الأخص إذا كانت الأسرة فقيرة ، وإذا لم يكن لدى الأهل الوقت ولا الوسائل للاهتمام بأبنائهم كتوفير وسائل تسلية أخرى ، هذا مع معرفتنا بأن كل العائلات الأميركية تملك على الأقل جهازاً واحداً من التلفزيون .

●● الملاحظة الثانية : وإلى جانب مشاكل الكلام تقوم مشاكل

القراءة ، فكلما كُرس الأطفال وقتاً أطول لمشاهدة التلفاز قلّت قراءاتهم وازدادت مصاعبها ، ذلك أن برامج البث التلفزيوني التي تخلو من الترابط فيما بينها تنفي وتستبعد كل ضرب من ضروب الخيال والإبداع الذهني ، وتؤدي إلى نوع من «ثقافة فسيفسائية» ، مفتتة وسطحية على الصعيد العلمي . فالطفل الذي يقضي الساعات الطوال أمام الشاشة الصغيرة لا يجد الوقت الكافي لكي يلعب بمفرده ، كما تستفحل عدوانيته العادية بسبب مناظر أشكال المنازعات والشجار ، والخصامات التي يراها ، ولكن دون أن نرمي كل مسؤولية أمراض مجتمعتنا الحديث على عاتق التلفاز كالجسوس والعنف والخدراة ، نجد العاملة الاجتماعية ماري وين مؤلفة كتاب «تلفزيون أم مخدرات» ترى أن للتلفزيون مفعولاً سلبياً : « فبعد أن كان التلفزيون أداة تسلية تحت تصرف الأهل ، أخذ يتحول تدريجياً إلى كيان قاهر يهدد الحياة العائلية » فليس هناك من مناقشات أثناء تناول

القراءة ، فقد كان ينفذ إلى العالم الذي يسمع عنه عن طريق التخيل في البداية وذلك بواسطة القصص التي كان يسردها عليه الأبوان أو جدته ، أو التي كان يسمعا عندما يقرأها الآخرون في كتاب . ولكن كان من النادر جداً أن كانت هذه الخبرات « الأدبية » تمتص شطراً هاماً من ساعات يقظة الطفل ، وهذا حتى في حالة توفر قارئ أو قاصص متطوع ، لأن أكثرية الأطفال كانوا لا يقضون أكثر من ساعة أو اثنتين وهم في أوج انتباههم في عالم الآخرين الخيالي .

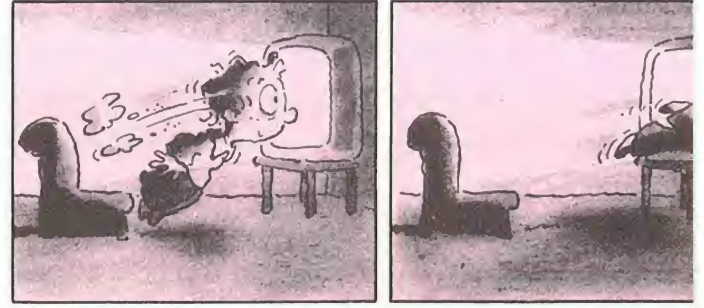
وعندما كان الطفل ينفذ في عصر ما قبل التلفزيون إلى هذه العوالم الخيالية ، كان هناك إلى جانبه دوماً شخصاً بالغاً يقوم بشرح وتفسير ما يسمع ولطمأنته عند اللزوم ، أي لم يكن الولد قبل تعلم القراءة يدخل دنيا الخيال بمفرده .

ولهذا السبب يكون مفعول التلفزيون بتركيز أشد قوة على الأطفال في سن ما قبل المدرسة ، وعلى أولئك الذين لم يتعلموا القراءة أكثر من مفعوله على أية فئة أخرى في عمر أكثر تقدماً . فبسبب التلفزيون استطاع صغار السن أن يدخلوا ويبقوا خلال شطر كبير من اليوم في عالم مأهول بأناس مصوّرين وبأشياء لا يمكن لمسها ، دون أن يكون هؤلاء الأطفال ، في كثير من الحالات ، بصحبة شخص بالغ يرشدهم ويهذئ من روعهم . أما الأطفال الذين هم في سن الدراسة فينتسبون إلى صنف آخر . فهؤلاء الذين سبق لهم معرفة القراءة ، لديهم بالتالي فرص أخرى لتحاشي الحقيقة ، لأن التلفزيون لا يكون أكثر من عالم خيالي آخر .

التلفاز والقراءة

ولكن بعد أن ظلت القراءة التي كانت تؤلف في الماضي ، الخبرة الخيالية الرئيسية لدى التلميذ أصبحت تحتل مكانة ثانوية في أيماننا هذه بفعل التلفزيون ، إذن علينا الموازنة بين الخبرة المكتسبة من التلفزيون وبين الخبرة المكتسبة من القراءة كي نحاول استشفاف ما إذا كانت هاتان الخبرتان متماثلتين وتحققان نفس الحاجات في حياة الولد .

فالذهن لا يعمل أكثر من « سماع » الكلمات في مسيرة القراءة ، ومن الأهمية بمكان أن نتذكر أن القراءة تستدعي أيضاً صوراً ذهنية ، لأن القارئ عندما يرى كلمة « كلب » وعندما يفهم معنى « كلب » فإن صورة تمثل كلباً تغز للذهن أيضاً . فالصورة الصحيحة « لصورة القراءة » هذه تكون مفهومة بصورة رديئة ، كما لا تتسجم مع العلاقة القائمة بينها وبين الصور المرئية التي تظهر للعيان مباشرة . غير أن الصور الذهنية تمنح قراءتنا الألوان ولولاها فلن ندرك أي معنى بل نقرأ كلمات فارغة إطلاقاً بحد ذاتها . ويمكن الاختلاف الكبير بين « صور القراءة » هذه وبين الصور التي نتلقاها من النظر إلى التلفزيون فيما يلي : فعندما نقرأ نقوم بذاتنا « بخلق » الصور الخاصة المستندة على خبرتنا الخاصة بالحياة وتعكس حاجتنا الفردية الخاصة ، هذا في حين يكون علينا قبول ما نتلقاه عند نظرنا إلى التلفزيون . فظهر القراءة هذا الذي يمكن أن نسميه « اختلاقاً » في المعنى الضيق للكلمة يكون حاضراً خلال كل خبرات القراءة مهما كان ما نقرأه .



* ونعتلت لغة الكلام *

حدرات

ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة

الاجتماع الفرنسيين يعكفون على دراسة هذه الظاهرة ، وهم يتساءلون عن تأثير التلفاز على الأولاد بل عن « الفائدة » التي يجنيها الأبناء منه . هذا وعلى الرغم من عدم ثبوت هذا الجهاز من الاتهام فإنه من غير الجائز نكران نفع هذه الوسيلة في الإعلام وفي تبادل المعلومات بين الشعوب ، أي لا يجوز إغلاق الجهاز بصورة تامة ، ولا أن نمنع الناس من اقتنائه . ولكن الأفضل هو أن يقوم البالغون بمساعدة الصغار على تحليل المعلومات التي تنقلها الصور المرئية ، وهذا ما يحول مثلاً دون أن يقذف الأطفال بأنفسهم متقمصين شخصية **السوبرمان** أو « ستيف » .

والكتاب الذي تقدمه الكاتبة ماري وين لا يشير بإصبع الاتهام إلى البرامج مثلما لا تقوم بدراسة نقدية لها ، لأن هذا الكتاب الذي يضعنا أحياناً أمام موقف غير مريح يستحق القراءة باهتمام ، كما أن الجواب الذي تقدمه هذه الباحثة الاجتماعية على كل الأسئلة التي تطرحها لا يكون أكثر من جواب شخصي ، ومع ذلك فهي تحثنا على الإشراف على هذه الآلة الحقيقية والملموسة وهي التلفاز كيلا تكون هي المهيمنة علينا ، وقد ظهرت ترجمة كتاب « **تلفزيون أم مخدرات** » بالفرنسية بقلم جان شامبير وجان بيفتو ضمن مجموعة « **علم التربية الإبداعي** » بدار فلوروس للنشر .

ضمور ملكة الخيال لدى الطفل

يقضي الأطفال الأمريكيون الذين تقل أعمارهم عن ستة أعوام أكثر من ثلاثين ساعة أسبوعياً أمام التلفزيون . ترى هل بقي لديهم شيء من الوقت للنقاش ؟ أو للقراءة ، أو لكي يصبحوا أطفالاً أذكاء ؟ في الواقع لم يكن لدى الطفل ، حتى ظهور التلفزيون ، فرصة رؤية تمثيل الواقع والحقيقة بصورة رمزية إلا بصورة محدودة للغاية كالأفلام السينمائية مثلاً أو التمثيليات المسرحية . ولما كان عاجزاً عن

وذلك بتأمل نسق كل من الخبرتين والمراقبة النسبية التي يمارسها شخص ما على هذا النسق ، ذلك أن النسق يستطيع أن يؤثر على الطرائق التي يم فيها تلقي هذه العناصر في كل خبرة . كما أن نسق كل تجربة قد يحدد إلى أي مدى تؤثر كل من التجريبتين ، أي القراءة ومشاهدة التلفاز على المظاهر الأخرى من حياتنا .

فمن الجلي أن نسق القراءة يتعلق بالقارئ كلفة . فهو يستطيع أن يقرأ ببطء أو بسرعة حسب قدرته على الفهم أو حسب رغبته . فإذا عجز عن فهم شيء ما فبمقدوره التوقف كي يكرر ما سبق أن قرأه ، أو أن يبحث عن التفسيرات والشرح قبل أن يستمر في قراءته . فقد يعتمد القارئ إلى الإصرار في نسق قراءته عندما تكون المادة سهلة ، أو قليلة الجاذبية ، أو يعتمد إلى التباطؤ في قراءته عندما تكون المادة عسيرة أو ممتعة . فإذا كان ما يقرأه مؤثراً ، فقد يضع الكتاب جانباً خلال عدة دقائق ويترك المجال رحباً لانفعالاته دون أن يخشى خسارة شيء ما .

أما الجالس أمام التلفاز فليس لديه إمكانية السيطرة على نسق مجرى الخبرة التي تقدم إليه فهو لا يشرف إلا على البداية وعلى النهاية ، أي عندما يحرك زر التشغيل في الجهاز أو زر « الإطفاء » . فهو لا يستطيع أن يخفف سرعة برنامج جذاب ، ولا أن يزيد سرعة برنامج ممل سقيم . كما لا يستطيع « تشغيل الجهاز للوراء » إذا لم يفهم كلمة سمعها أو عبارة مرت بسرعة . فالبرنامج يتقدم بصورة لا ترحم وما فات أو ما تعذر سماعه فقد ضاع على الناظر نهائياً .

ولا يستطيع مشاهد التلفزيون أن يبدل بسهولة المادة التي يتلقاها على شكل يمكنه من أن يشبع حاجاته العاطفية الخاصة في حين يصنع ما يشاء بالمادة التي يقرأها ، ولكن الصور التلفزيونية تجري بصورة مفروطة في سرعتها . ولهذا لا يتمكن من استخدام خياله الخاص كي يمنح الأشخاص أو الأحداث المعروضة على الشاشة التأويلات الشخصية التي تساعد في فهم أو في حل العلاقات والنزاعات في حياته الخاصة ، فهو واقع تحت سلطة خيال مخرجي البرنامج . فبالنسبة لتجربة التلفزيون تكون العيون والأذان تحت هيمنة الطابع الفوري للصور وللأصوات التي تخرج من التلفاز حسب وتيرة تجعل العيون والأذان تلتقطها تماماً قبل الانتقال إلى صور وأصوات أخرى . . كيلا يؤدي السهو إلى ضياع حلقة من السلسلة .

تأثير التلفزيون على العلاقات الإنسانية

إن الحرص على عدم ضياع حلقات تسلسل العرض التلفزيوني هو حاجة ناجمة عن اللاعودة في الانقياد والسرعة الطاغية في العرض التلفزيوني ، والتي لا تكتفي بتحديد إمكانات خيال الناظر إليه ، بل تؤدي أيضاً إلى جعل التلفزيون يحشر نفسه في القضايا الإنسانية أكثر بكثير من تأثير ممارسة القراءة . فإذا حدث ودخل شخص ما إلى الردهة التي ينظر فيها الطفل إلى الجهاز ، كان يكون صديقاً ، أو أحد الأبوين ، أو ولد ، أو شخص لم يره المشاهد منذ مدة طويلة ، فهو يستمر رغم ذلك في النظر

فالقارئ « يصطنع » صوره الخاصة كلها أوغل في قراءته ، أي كما لو كان يصطنع برنامجه الصغير الداخلي التلفزيوني . والنتيجة هي اكتساب خبرة تؤدي لإغناء الخيال ، وهذا ما لاحظه العالم برونو بيتلهام « يسيطر التلفزيون على الخيال ولكن لا يحرقه في حين أن الكتاب الجيد يستطيع أن يشحذ الذهن وأن يطلق له العنان في آن واحد » .

هذا ولا تفر صور التلفزيون من خلال تحول رمزي معقد ، ولا يكون على الذهن أن يقوم بفك رموز أو أن يركبها خلال مشاهدة التلفزيون . وربما كان في ذلك السبب الذي يجعل الصور المرئية ، التي يستقبلها المشاهد مباشرة من التلفزيون ، قوية وربما أكثر قوة من الصور التي تتراءى في الذهن خلال القراءة . ولكن هذه الصور تمنح في نهاية المطاف مقداراً أقل من القناعة . ويصف طفل في العاشرة من عمره الانطباعات التي تلقاها من تمثيلات تلفزيونية سبق له أن قرأها قبل مشاهدتها : « يعطي الأشخاص الذين يظهرون في التلفزيون انطباعاً أكثر قوة . وعندما نرى الشخص في التلفزيون فإنه يظهر لنا دوماً على الشكل نفسه الذي تصورناه في ذهننا ، حتى ولو كنا قد صنعنا له صورة مختلفة مسبقاً عندما قرأنا عنه في الكتاب ذاته » ، ولكن هذا الطفل يضيف إلى ذلك قوله : « أما فيما يتعلق بقراءة كتاب ما فإني أشعر بحرية أكبر ، إذ يمكن تصور كل شخصية تماماً حسب الأسلوب الذي أرغبه ، فاستطيع أن أمارس رقابة على الأمور عندما أقرأ كتاباً أكثر مما هو الحال عندما أراها في التلفزيون » .

الأطفال وعجز الخيال

ولعل الفرص النادرة التي يتمتع بها الأطفال من مشاهدة التلفزيون « خلق تلك الصورة الداخلية » هي التي تفسر لنا العجز الغريب الذي يعاني منه الكثير من أطفال اليوم في التواء مع الخبرات السالمة . وهذا ما يشير إليه الكثير من المعلمين الخادقين في أغلب الأحيان والذين يحاولون سد الفراغ بين الحقبة السابقة للتلفزيون وبين الفترة السمعية البصرية السائدة حالياً .

وقد صرحت إحدى معلمات الفصول التحضيرية بما يلي : « عندما أقرأ قصة على هؤلاء الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ستة أعوام دون أن أعرض عليهم صوراً ، فهم يتبرمون دائماً كأن يقول أحدهم « أنا لا أرى » وعندها يهبط انتباههم إلى الحضيض ، فيأخذون بالثرثرة وفي الانتقال من مكان لآخر ، وعندها أضطر لبذل جهود كبيرة لتنمية قدراتهم البصرية ، كأن أقول لهم ليس هناك شيء للرؤية سوى القصة التي تخرج من فمي ، وأن بمقدورهم صنع صور خاصة بهم عقلياً . وبعد قليل من المراس يتمكنون تدريجياً من التخيل بصورة أفضل . ولكن يترأى لي أنه لم تكن هناك حاجة إطلاقاً لدى الأطفال للتدرب على التخيل والتصور قبل عصر التلفزيون » .

بين التحكم في الذات وبين الانقياد

هذا ومن الممكن القيام بموازنة بين القراءة وبين التلفاز

إلى الشاشة وإلا ضاع عليه التسلسل . ويجب الترتيب في تبادل التحيات والانتظار لأن البرنامج المعروض لا يستطيع الانتظار أبداً . ولكن يستطيع الإنسان المستغرق في قراءته أن يضع الكتاب جانباً ، وربما كان ذلك مع بعض التضايق ، ولكن مع الإحساس بأن تلك الخسارة الطارئة ليست نهائية .

وتصف جدة هذا الوضع الذي يوافقها عليه عدد كبير من الأهل ، لأنه ليس فريداً من نوعه : « عندما أقوم أحياناً بزيارة حفيداتي اللواتي يتفرجن على التلفزيون في غرفتهن فإني أعرف أنهن يحبني كثيراً ، ولكنني أشعر بنوع من تضايق عندما ألقى عليهن التحية ، ويرددن عليّ دون أن يرفعن أبصارهن عن الشاشة قائلات : « انتظري دقيقة ... لأننا سنرى نهاية البرنامج » وهذا يؤدي لانزعاجي لأنني أعرف أن هذه الآلة الشيطانية ولصورها الصغيرة جاذبية تفوق ما ليّ عندهن من شوق ، وأعرف أنهن لا يستطعن المقاومة ولكن ذلك ... » .

هل تستطيع هاته البنات الصغيرات فعل شيء ؟ في واقع الأمر لا تتعلق قدرة الناظر إلى التلفاز على الانفصال عن الشاشة استجابة لمطالب العلاقات الإنسانية التي تفاجئه خلال البرامج ، أقول لا تتعلق كلياً بنسق البرامج هذه . ففي نهاية الأمر يستطيع الناظر أن يريد التصرف حسب الأولويات الإنسانية وأن يتحرر من تأثير الاستبداد الإلكتروني . فقد يستطيع أن يصرخ فجأة « تباً لهذا البرنامج » وأن يتوقف عن طيب خاطر عن النظر إلى الجهاز عندما يدخل شخص ما إلى الغرفة أو عندما يحتاج طفل إلى شيء ما .

نعم قد يستطيع ذلك ... ولكن سلطة التلفزيون المائلة لقوة التنويم المغناطيسي لا تسمح بصرف الانتباه عن البرنامج إلا بصعوبة وتمنح رغبة شديدة في عدم قطع التسلسل .

استسلام الطفل وهيمته التلفاز

يدخل الطفل الصغير الذي يشاهد التلفزيون في عالم مادة وعناصر لا تخضع لإشرافه والتي تتجاوز مداركه . فمع أن الصور التي تنبثق على الشاشة تمثل أشخاصاً وأشياء مألوفة لديه ، فهي تظهر على شكل سحري . ولا يقدر الطفل على إبداع صور مماثلة بنفسه ، كما لا يستطيع أن يدرك كيف تتكون هذه الأشكال الإلكترونية المرتخفة . فأمام جهاز التلفاز يشعر الطفل تماماً بعجزه وبجهله أكثر من إحساسه بهذا الشعور أمام كتاب يقرأه .

ففي حالة القراءة يكون الإحساس بالقدرة وبالكفاءة مدعوماً لدى الطفل بعامل آخر لا يتدخل أبداً في حالة النظر للتلفاز ، هذا العامل هو طبيعة الكتاب اللاميكانيكية حيث يسهل الوصول لما يقرأه بل ونقله أيضاً . فبإمكان الطفل أن يعتمد على كتاب لمتعة في حين قد يتعرض التلفاز للعطل في أكثر الفترات جاذبية . فالطفل يستطيع أن يحمل كتابه حينما توجه ، سواء إلى غرفته ، أو إلى الحديقة العامة ، أو عند ترده على حديقة ، أو إلى المدرسة كي يقرأه خلسة من تحت درجته . إذن يستطيع

أن يسيطر على استخدام الكتب وعلى مختلف المجالات مثلاً . أما التلفزيون فثبت في مكانه المحدد إذ لا يمكن نقله بسهولة . وفي كل الأحوال يعجز الطفل عن نقل الجهاز من غرفة لأخرى حسب نزواته . فليس على الطفل إلا أن يشاهد التلفزيون حيث وضعه ذووه ، بل عليه أيضاً أن يشاهد بعض البرامج في ساعات معينة ، وليس في مقدوره أبداً أن يبذل ما يعرضه عليه الجهاز ولا أن يغير الوقت الذي تعرض فيه الشاشة ما يرغب في مشاهدته .

الموازنة بين القراءة والتلفاز

بعد هذه المقارنة بين تجربي القراءة والتلفاز بدأنا نستشف بوضوح شعوراً مفاده أن القراءة هي « أفضل » من بعض النواحي من جلسات التلفزيون . فالقراءة تستدعي شكلاً معقداً من نشاط عقلي ، فهي تعود الذهن على تركيزه فيما يُقرأ ، كما تنمي قدرة الخيال وعلى التصوير الذاتي ، ذلك أن مرونة نسقها تؤدي إلى فهم أكثر وضوحاً وأكثر عمقاً للمادة المقروءة . فالقراءة تستحوذ على الذهن ولكنها لا تحذر القارئ ولا تصرفه عن مسؤولياته الإنسانية .

والقراءة عملية مزدوجة الاتجاه لأن القارئ يستطيع أيضاً أن يكتب . أما التلفزيون فهو شبيه بشارع وحيد الاتجاه لأن الناظر إليه لا يستطيع أن يخلق صوراً تلفزيونية . ومن ناحية أخرى تكون الكتب دوماً في متناول اليد وخاضعة للمراقبة على الدوام . أما التلفزيون ، من جهته ، فهو الذي يمارس الهيمنة .

وليس هناك من كبير فائدة ترجى من وراء مقارنة خبرتي القراءة والتلفزيون إذا لم نأخذ بعين الاعتبار الواقع الذي لا ريب فيه ، وهو أن جلسات التلفزيون تؤثر بشكل خطير على قراءة الأبناء من حيث مقدار ومحتوى ما يقرأونه ، وكذلك الحال بالنسبة للإنتفاعات التي يكسبونها من القراءة ، فحينما تكون الكتابة مرتبطة بشكل وثيق بالقراءة فإن هذا التأثير يمتد أيضاً إلى ما يكتبونه وعلى الأسلوب الذي يكتبون فيه .

هزيمة القراءة

من الثابت الآن أن الأطفال يقرأون القليل من الكتب عندما يكون هناك جهاز تلفزيوني تحت تصرفهم . وعندما لا يكون لدى الطفل عمل يشغله فهو يرجح تشغيل التلفاز على تناول كتاب والاستغراق في قراءته . وقد تبين من تحقيق تناول خمسمائة طفل ممن تتراوح أعمارهم بين تسع سنين وعشر أن الجميع يفضلون مشاهدة التلفزيون على قراءة كتاب مهما كان موضوعه . ويعود معظم هذا التفضيل ، إن لم نقل كله ، إلى أن القراءة تستدعي نشاطاً عقلياً أكبر ، والواقع هذه هي الطبيعة الإنسانية التي تختار الجهد الأقل وليس العكس .

ويعترف الأطفال صراحة بالميل الذي يحسّون به نحو برامج التلفزيون . وإليكم كيف تعبر عن ذلك طفلة تبلغ الثانية عشرة من

عمرها وابنة أستاذ في كلية جامعية :

« أما بالنسبة للتلفاز فليس هناك من خوف من السأم فعلاً لأنه يتم عرض شيء ما على الدوام ، كما ليس عليّ أن أبذل جهوداً من أجل النظر إليه مهما كانت نوعية العرض . ولكن يجب بذل الجهد عند القراءة التي تخلو من التسلية . ولكن ستكون القراءة ممتعة جداً عندما تقع يدي على كتاب جيد .

ولكن ما هو السبيل لمعرفة ما إذا كان هذا الكتاب جيداً ؟ وعلى كل حال فبالنسبة لي أنا ، فإني أفضل رؤية ذلك على شكل برنامج تلفزيوني » .

ويؤكد الآباء ميل الأبناء هذا فقد صرحت أم لولدين ، عمر أولهما عشرة أعوام والثاني اثنا عشر عاماً ، وابنة عمرها تسع سنوات ، صرحت بما يلي :

« يعاني أولادي المصاعب في العثور على كتب تعجبهم في المكتبة ، حتى لكأن أحسن أنهم يشعرون بنوع من مقاومة تجاه الكتب هذا علماً بأنني أعد مع زوجي من القراء المواطنين . وأعتقد أنه لولا وجود التلفزيون فإنهم كانوا سيقضون وقتاً أطول في البحث بكل هدوء عن شيء جذاب في المكتبة . وهذا ما كان يجب عليهم أن يفعلوه للتخلص من السأم . ولكنهم الآن لا يبحثون فعلاً في المكتبة عندما أقودهم إليها ، فهم لا يركزون انتباههم على شيء . والحقيقة هي أن القراءة لا تؤلف التسلية التي يرجونها . فهناك على الدوام شيء ما أسهل عليهم فعله . ولهذا لا يشعرون حقاً بالحاجة للبحث في المكتبة . وكل ما يقومون به هو أنهم يستعرضونها على عجل ولا يجدون مطلقاً أكثر من كتاب أو اثنين يتناولونها لأنها أعجباهم » .

ويكون الأولاد الذين يعانون المصاعب في القراءة مدفوعين أكثر من هواة القراءة غامرة الملل باللجوء إلى التلفزيون الذي يلعب دوراً شديداً السلبية بالنسبة لهم هؤلاء الأولاد ثقافياً وعقلياً ، لأنهم عن طريق القراءة وحدها يستطيعون أن يتطلعوا إلى التغلب على عجزهم في القراءة . وهذا المظهر من المشكلة هو الذي كثيراً ما يكون موضع بحث عندما يتنافس المدرسون والأخصائيون بالقراءة حول تأثيرات التلفزيون على قراءة الأولاد . فشاهدة التلفاز لا تحول بين الأطفال الأسوياء وبين اكتساب خبرات القراءة — هذا علماً بأن هذه المشاهدة تقصرهم على تخصيص أوقات أقل للقراءة — ولكن التلفاز يؤدي إلى تعقيد مشكلة الأطفال الذين يعانون صعوبة في القراءة ، لأن التلفاز يقدم لهم أمتع الخيارات ، خيار غير شفهي ، مما يؤدي إلى تقليص الرغبة في بذل الجهد اللازم للقراءة ، لأنهم يجدون في مجال آخر متعة تعويضية .

ومن الواضح أن وجود التلفزيون هو الذي يقلص مقدار قراءة الأطفال أكثر من أي عامل آخر . ففي حالة غياب الجهاز — أي عندما يتعطل مؤقتاً أو حينما يُهمل تماماً — نلاحظ دوماً زيادة في القراءة سواء لدى الأبوين أو لدى الأطفال . وعندما لا يكون هذا الضرب من النشاط العقلي الأقل قسراً غير متوفر فإن الأطفال يتجهون نحو القراءة

للتسلية ويكونون أكثر استعداداً حينئذ لتحمل « العمل » .

التلفزيون والقارئ الكسول

هذا وفضلاً عما أثبتته التجربة من أن التلفزيون يقلل رغبة الأطفال في القراءة ويقلص فرص القراءة لديهم لاستحواذه على عدد كبير من ساعات اليقظة ، فهو يستطيع أن ينال بصورة مأكرة من أسلوب قراءة الأطفال ذاتها ، وإذا كان بعض الأطفال جيل التلفزيون يقرأون ويستمتعون بهذه القراءة فإن هناك بعض التغيير في قراءاتهم .

ففي محاضرة ألقاها حديثاً إحدى المربيات في مؤتمر حول هذا الموضوع ، شددت على ظاهرة جديدة ، دعتها « القارئ الكسول » وقد يصح ذلك بالنسبة لطفل ذكي ينحدر من أسرة مثقفة جداً ولكنه لم يستطع مطلقاً تجاوز المرحلة الواقعة بين آلية القراءة وبين ملكة فهم ما يقرأ . وقد أشار الناقد جورج ستاينر إلى هذا الصنف من القراء عندما صرح « إن عدداً كبيراً من أولئك الذين أنهوا دراستهم الابتدائية والثانوية يعرفون فك رموز الكتابة ولكنهم لا يعرفون القراءة الحقيقية » ، ويبدو أن المعلمين يصادفون المزيد من أولئك « القراء الكسالى » في كل عام .

صحيح إن « القارئ الكسول » يمارس القراءة ، ولكن دونما انتباه ، أي دون أن يرقى لدرجة الوعي والتركيز المطلوب من أجل فهم صحيح ، ذلك أن عادة التركيز هي مهارة تتطلب المراس ، فليس لدى طفل جيل التلفزيون الفرص الكافية للتعود على تركيز انتباهه فعلاً وللاستمرار في هذا التركيز .

وفي الواقع فإن « الاسترخاء العقلي » الذي يسمح به التلفزيون يستطيع أن يقود الأطفال الذين قضوا ساعات برمتها أمام الجهاز أن يدخلوا عالم القراءة بطريقة أكثر سطحية ، وأقل استقراراً وثباتاً .

وإذا كان الأطفال يقرأون بطريقة تختلف بصورة خفية عن طرائق قراءة جيل ما قبل التلفزيون ترى كيف ينال هذا التغيير من نوعية ما يرتضون قراءته ؟ الواقع هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى أن هناك تغيراً طرأ ما يرجح الأطفال قراءته ، وعلى اختيار قراءاتهم بالموازنة مع ما كانوا يقرأونه قبل تعرّفهم على التلفزيون . وربما يعود هذا التغيير جزئياً ، إلى محتوى البرامج التي يشاهدها الأطفال . فمثلاً لوحظ أن هناك تدنياً واضحاً في شعبية كل ما هو خيالي خلال العقدين الأخيرين ، الأمر الذي يبدو أنه على علاقة مع كمية المادة الخيالية التي توفرها لهم البرامج التلفزيونية . وفضلاً عن ذلك هناك تبدلات أخرى طرأت على اهتمامات الأطفال تتعلق ، بلا شك ، بالتأثيرات التي تمارسها تجربة التلفزيون ذاتها على أسلوب قراءتهم . وقد لاحظ مدير مدرسة متخصصة للذكور في نيويورك ما يلي :

« على الرغم من أن أبناءنا الذكور يشاهدون الكثير من البرامج التلفزيونية ، فإني لم ألاحظ أية علاقة وثيقة بين مجمل البرامج التي يتابعها الأطفال وبين عدد الكتب التي يستعيرونها من المكتبة . ولكن التغيير الهام

يكن في أنواع الكتب التي يقرأون . فقد لاحظنا وجود انخفاض في الاهتمام نحو كل ما هو خيالي ، والمغامرات ، ونحو كل ما هو وهمي في سائر أشكاله . ولكن يترأى لي أن ما ثبت لي فعلاً كاتجاه جديد حقيقي كان اهتمام الأطفال الشديد نحو قراءة ما ادعوه « اللاكتاب » . وأبرز مثال على ذلك هو « غينس بوك أوف روكوردز » وهو نموذج من كتب لا تحوي سوى معطيات وثائقية كالحوليات والأشرطة الرياضية والإحصائيات إلخ . . أو المعلومات المفتة ويبدو أن شطراً كبيراً من قراءات الأطفال ينتسب في أيامنا هذه إلى هذا الصنف .

اللاكتاب

لقد تكشفنا ظاهرة « اللاكتاب » استجابة لنمط جديد من القراءة ، ذلك أن « اللاكتاب » لا يعني أبداً مجلداً يشتمل على قصة متصلة الحلقات ، أو على موضوع مكتوب بعناية من الغلاف إلى الغلاف . إنه كتاب ينظر إليه الطفل بصورة سطحية ، والذي تتم قراءته على شكل نفث وأجزاء ، والذي لا يتطلب الكثير من الانتباه أو التركيز ، ولا تصوراً داخلياً ، ولكنه يوفر ، مع ذلك ، للعقل ما يكفي من المعلومات أو الأخبار ، مع قدر كاف من متعة النظر بسبب جودة عرضه ، وذلك لإمتاع الطفل الذي لا يشعر بالراحة تجاه القصص الطويلة المألوفة في عصر ما قبل التلفزيون . وبالطبع فإن « اللاكتاب » المطلق لا يقصد منه الاستغناء عن قراءة قصة مستمرة فحسب بل هو الذي يستبعد الكلمات تماماً . والطابع « الأيقوني » أي المعتمد على الصور والذي يطغى على الكثير من الكتب التي يقرأها البالغون والأطفال تجعلنا نعتقد أن هذا الاتجاه قد شق طريقه .

ولكن الكتب المسماة « قصص الضحك » تدخل في صنف مائل ، ولكنها لم تعتبر إطلاقاً على أنها كتب « حقيقية » . وهناك حالة فريدة ، هي حالة « مانغا جنشو » أو ظاهرة الأشرطة المرسومة التي راحت تحتاج سوق الكتب الياباني ، والتي ظهرت على شكل قوائم طويلة من كتب مصورة رخيصة وحيث لا تحوي إلا على القليل من الكلمات . وقد كتب ناشر ياباني يقول : « إن ظاهرة الشريط المرسوم تؤلف فعلاً جزءاً من قراءة متعاطمة على شكل البطاقة البريدية » . إذن نحن في مرحلة الانتقال من ثقافة القراء إلى ثقافة المشاهدين .

وهناك مظهر هام في « اللاكتاب » بالنسبة للطفل المشدود إلى التلفزيون ، وهو استعداده الفوري . فليس على القارئ أن يبذل أي جهد لكي « ينفذ إلى » اللاكتاب ، أي لكي ينتقل من حقيقته الذاتية إلى عالم الكتاب . فبالنسبة لعدد كبير من القراء تؤدي هذه المرحلة الأولى إلى نوع من ضياع أحياناً ، أو سيعثر فيه على أسماء أمكنة جديدة مثلما تندمج فيه جبهة الأشخاص الجدد . ويعاني كل قارئ مرة أو أكثر مصاعب في أول مرحلة من قراءة مؤلف ولكنه يثابر مع ذلك ، وسيندفع بعد قليل في قراءة الكتاب وسيجد فيه متعة .

أما عند النظر إلى التلفزيون فإن الناظر لن يواجه حالة مماثلة وهي وجوب الاندماج في برنامج ما ، فبالرغم من وجود نوع من تشويش في

الأسماء وفي الأشخاص في بداية البث فإن البرنامج يتقدم ويتطلب القليل من الجهد في التصور من جانب المشاهد كي يفهم ويربط بين مختلف أجزائه . ففي برنامج التلفزيون يكون العالم الطبيعي تحت تصرف الناظر فوراً ، وليس هناك من حاجة للقيام بوصف دقيق للأشخاص وللممكنة كي يستمر عمل النظر ، ذلك أن العناصر المرئية والأصوات تشغل العيون والأذان بحيث لا يكون لدى العقل أو الذهن الوقت لكي يتيه أو تفرته همته .

وكما هو الحال بالنسبة للتلفزيون فإن « اللاكتاب » لا يطرح أية مطالب في البداية . فهو يتألف من وقائع صغيرة ، ومن نفث ثقافية لا أهمية لها ، فهو لا يبدل شيئاً إطلاقاً طالما أن الطفل يعيره اهتمامه . فهو لا يتحول إلى الصعوبة ولا إلى السهولة ، ولا تزيد جاذبيته أو تأثيره ، بل يظل كما هو . وبالتالي فليس هناك من حاجة « للنفوذ » في « اللاكتاب » إذ ليس هناك من مراحل تتطلب الاجتياز أو القطع . ولكن إذا لم يكن على قارئ من نسخة « اللاكتاب » أن يقوم بدخول عالم مواز فهو لن يستمتع أبداً بالمسررات العميقة التي قد توفرها له قراءة كتب حقيقية . ويصرخ الأبوان أحياناً تعبيراً عن مخاوفهم الناتجة عن إفراط أولادهم في مشاهدة التلفزيون هذا مع تأكيدهم على أن أبناءهم لا يزالون يقرأون الشيء القليل . ولكن القراءة التي يقصدها الأهل تنضوي غالباً على وجه التحديد في صنف « اللاكتاب » .

وعلينا في حالة الموازنة بين التلفاز والقراءة أن نطرح هذا التساؤل الأخير : باختصار هل هناك حاجة للقراءة في حياة الإنسان ؟ فمع أن تجربة التلفزيون تحقق حاجات جديدة وتستدعي طرائق أخرى في التفكير فهل تستطيع مع هذا أن توجد تغييراً في الحاجات وفي أساليب التفكير التي ستفوق في المستقبل ؟ ألا يوجد هناك نوع من شيء فات عصره نوعاً ما ، وحتى رجعي إلى حد ما ، هذا إذا وقفنا موقف المدافع والمحامي عن القراءة في عصر التلفزيون الحالي ؟ .

وتتعلق الإجابة على ذلك بالعلاقات القائمة بين كل بيئة média وبين شخصية المشاهد . فعند القراءة يستخدم الفرد منا أكبر قدر من طاقته الذاتية وهي التفكير اللفظي ، فهو يحول رموز الصفحة إلى شكل خاص تمليه طبيعته الخاصة ، ورغباته ، وهواجسه ، وحاجاته الداخلية ، ويلاحظ الروائي جرزي كوسينسكي قائلاً : « إن القراءة توفر للجماعات أفكاراً غير منتظرة ومحررة ، ومنظورات جديدة عن حوادث متعددة ، قد تكون موائمة أو غير موائمة لخياتنا الخاصة ، فالقارئ يتحمس للاندفاع لما وراء النص ولتأمل وجوده الذاتي على ضوء مدلولات الكتاب المشخصة » .

أما الناظر إلى التلفزيون فيكون مشدوداً بدواع آلية ، فهو أعجز من أن يعبى أكثر إمكاناته العقلية نمواً ، أو أن يشبع حاجاته العاطفية الخاصة . فعند مشاهدته التلفاز يجد نوعاً من تسلية ولكن مساهمته السلبية لا تجلب له أي تغيير يستحق الذكر . وإذا كان التلفزيون يوفر الراحة فإن القراءة تسمح بنمو الشخصية وتقويتها .

شاعرة يونانية بروح إغريقية

في دراستي أن أزداد حباً للغة الحديث البسيط العادي . وبذلك انتفى كل فضل لدراسة القانون على حياتي الأدبية .

وقد لمحت يوانا تساتسوس بأعباء رسمية كثيرة منذ أن قلد زوجها على الأخص رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٥ م . وهي تقول في هذا الصدد : « إن من الصعب على الأديب أن يجمع بين حياة عامة وبين الإنتاج الأدبي . فعندما تأتي لحظة الإلهام عليه أن يستجيب لها تواء وإلا ضاعت منه . وكثيراً ما يعوقه عن هذه الاستجابة المثمرة أداؤه لأعبائه الرسمية التي قد لا تعدو مجموعة من التوافه ، وهذا ما أصفه بأنه النصل المنغرس في الروح . وليس باستطاعتي أن أرسم جدولاً لمواعيد الكتابة التي نادراً ما تكون ممكنة أثناء النهار . ولا يبقى سوى الليل ملكاً لي » .

التخفف من الأحزان

● وتنبع أغلب قصائد يوانا من أحداث مؤسفة . وتعترف بأن الكتابة بالنسبة لها نوع من « التطهر » أو « التخفف من الأحزان »

خلجاتها . إن اختيار الكلمة هام في الشعر . ويجدر بالشاعر أن ينتقي الكلمة النفاذة ، وهي الكلمة المفعمة بالمعنى أو الإحساس الذي يريد أن يترجمه . وهو بهذا الانتقاء سيكون « إيجابياً » و « قاطعاً » ، ولن يكون بحاجة بعد ذلك إلى الاسترسال في الكلام ، وإنه لما ينتقص كثيراً من طلاوة القصيدة استخدام الأوصاف والمترادفات وما شابهها » .

نحو لغة الشعب

● ولعل من السهات البارزة في عطاء يوانا تساتسوس الشعري التركيز في التعبير والقدرة على تزويد أبياتها القصيرة بشحنات عالية من الخلدات والخواطر . وتحب الشاعرة « لغة الشعب » وتعتبرها أداة التعبير الأدبي الحق . وتقول عن أيام دراستها للحقوق بجامعة أثينا التي حصلت منها على درجة الدكتوراه في القانون : « كنت أمقت العبارات المجزلة المعقدة للغة الفصحى التي كان يفرغ فيها الأساتذة المفاهيم والصيغ القانونية . وقد دفعني الاضطرار إلى التزام هذه اللغة المتقكرة

● الأدبية الشاعرة يوانا تساتسوس هي أخت الشاعر اليوناني الكبير جورج سيفيريس الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٣ م ، وزوجة قسطنطين تساتسوس رئيس جمهورية اليونان السابق ، وواحد من كبار فلاسفتها المحدثين . وربما كان وجود يوانا إلى جانب هذين العملاقين هو ما جعلها متأنية فيما تكتب متحفظة فيما تنشر . وتؤكد هي ذلك ، إذ تقول في حديثها لمجلة « الاثنين » إنها على الرغم من أنها استشعرت الحاجة إلى الكتابة في وقت مبكر من حياتها إلا أن أول دواوينها « كلمات الصمت » لم ينشر إلا عام ١٩٦٨ م ، فقد كان وجودها إلى جانب هذين الكاتبين الكبيرين أكثر إقصاء لها في الظل ، ولكن ذلك من ناحية أخرى كان حافزاً أقوى على المداومة والتجويد .

وتقول يوانا : « لقد اعتبرت شعري عالمي الخاص ، وجاءت قصائدي شديدة الذاتية ، رغم أنها منغرس في التراث الإغريقي . وقد كان محط أنظاري على الدوام الشعر الإغريقي القديم الذي تميز بالرزانة مع البساطة والإيجاز مع التركيز . ولم تكن سافو التي عاشت في القرن السادس قبل الميلاد ، مثلاً ، بحاجة إلى سيل من الكلمات كي تعبر عن

بقلم: د. نعيم عطية

يلوح في خيالات البعاد الضارية .

سهام مسمومة .

انتصر الزمن .

أعجب بالوجود اللانهائي ،

وبلا وجودي أنا .

المنطق ضد الشعر

● المعاناة ، التضحية ، الواجب ، الفراق ، المأساة ، والموت . هذه هي الموضوعات الرئيسية لأدب يوانا تساتسوس نثراً وشعراً . أما السياسة والاحتجاج الاجتماعي وهما المادة التي نسجت منها كثير من قصائد الشعر اليوناني المعاصر ، فلا تميل إليها . وتقول إن الشعراء مواطنون وهم أن يندمجوا في السياسة ، ولكن لا يمكن للشعر أن يندمج في السياسة . أي أن للمواطن بصفته هذه أن يشترك في السياسة ، أما بصفته شاعراً فليس له ذلك .

ومتضي الشاعرة فتقول : إن المنطق ضار بالشعر ، وإذا أخذت القصيدة تسفر عن نهاية منطقية ، فإنها تكف عن أن تكون شعراً . لا شك أن الشاعر سيكتب عن مفاهيم أخلاقية كبيرة مثل العدالة والحرية ، ولكن عملية الحكم والدعاية لأغراض سياسية لا مقام لها في الشعر .

وعلى الرغم من أن يوانا تساتسوس تفضل الشعر إلا أن أعمالها النثرية تشهد أيضاً بأنها كاتبة موهوبة . وقد لقي كتابها «صفحات عن الاحتلال» عام ١٩٦٥ م ، نجاحاً طيباً . وعندما ترجم في الولايات المتحدة كتبت عنه مجلة «الجنوب للإنسانيات» إنه واحد من أفضل ما كتبه شاهد عيان عن فظائع النازية أثناء الحرب العالمية الثانية . كما يتضمن الكتاب سرداً لأعمال البطولة التي قامت بها المقاومة أثناء تلك الحرب . وهو سرد من شاهد عيان أيضاً ،



★ يوانا تساتسوس ★

أما أمواج النار هذه ،
التي تسطر على الأرض الدهشة ،
فهو الجسر الذي بنيت وسط الحريق .

وفي النهاية ، تصل يوانا إلى ما ليس ولا شك انتصاراً للحياة على الموت ، لكنه على الأقل توازن محتمل ، فتقول في قصيدتها «غطانا الزمن» :

ذكرياتك طوال النهار
تلاحقني ، بل وفي المنام .
أندفع في وجه الريح .
تسكربي مقاومتها ،
كما تسكربي مداعبتها لشعري ،
إني أوجد ،
وربما كانت الحياة جميلة .
ذكرياتك طوال النهار
تلاحقني ، بل وفي المنام .
صور . صور .
عميك الشاحب

ولكن في أغلب قصائدها لا يبين بجلاء الحدث الواقعي الذي حفزها على الكتابة . وفي هذا الإطار نقول أيضاً إن بعضاً من أفضل أعمالها استوحيت من وفاة أخيها الأكبر الشاعر جورج سيفيريس عام ١٩٧١ م . وقد كانت يوانا قادرة على أن تحيل هذه التجربة من الخاص إلى العام ، وترتفع بها من مجرد لحظة ملموسة إلى مستوى التعبير المجازي ، وفي ديوانها «مرثية» عام ١٩٧١ م ، تسجل رحلتها عبر عذابات الفراق إلى تأكيد وجودها الذاتي من خلال قدرة الزمن على تضميد الجراح . وفي أولى قصائد الديوان تتحدث عن وفاة أخيها فتقول :

نزل الفراق
وطبع صورتك على الموج .
نظرات عينيك
عبر البحر كله تنطق وتضيء ،
وتبسط على الشط أشعتها .
أضم بين ذراعي مد الزمن ،
الذي ينحسر سريعاً ، ويضيع .

وفي قصيدتها «الثامن والعشرين من سبتمبر» التي كتبت بعد ثمانية أيام من موت سيفيريس ، تتحدث يوانا عن صراعتها من أجل بقائها والخروج من أحزانها ، فتقول :

كيف أحياء ،
وهذا الغياب ، يفرض نفسه ، ويصدم ؟
طائر ضخم .
يظلم السماء .
يسد الشباك المفتوح .
في أبهى الساعات ،
أرى الشمس ،
نقطة صغيرة في الطرف هناك .
أمل في دفنها ،
وأن تبعث في النشاط ،
لكن الغياب لا زال هناك ،
يتبعثر في الفراغ .

شاعرة يونانية بروح إغريقية

فقد انضمت يوانا أثناء الحرب إلى تلك المقاومة . وأضافت المجلة المذكورة تقول إن لهذا الكتاب ما لتراجيديا سوفوكل من قوة على النفاذ السريع إلى القلوب .

وتقول يوانا تساتسوس : « مرت بي أثناء الاحتلال أوقات أحسست فيها كأنني في حالة من البلادة والهذيان ، معلقة بين الحياة والموت . وعندما أعدم النازيون في أول مايو (أيار) عام ١٩٤٤م ، مائتين من الرهائن في بلدة « قيسارياني » أحسست أنني سوف أكون أكثر سعادة وراحة لو كنت ضمن الموتى . ووجدت نفسي أكتب في الخامس من مايو (أيار) أولى قصائدي كتمرد على ذلك الحدث البشع . وكان عنوان قصيدي « إلى الموتى » .

وتمضي الشاعرة فتقول : « إنني أمزج الغزل بالموت ، فإن العواطف الإنسانية متى بلغت منتهىها تلاقى . إنني في قصيدي تلك أنتظر الموت كما أنتظر حبيباً » .

الشاعرة وأدب التراجيح

● على أن أكبر أعمال يوانا تساتسوس النثرية هو كتابها « أخي جورج سيفيريس » الذي نالت عنه جائزة الدولة في الأدب عام ١٩٧٤م ، باعتباره إسهامة ممتازة في الأدب اليوناني المعاصر . والكتاب في المقام الأول سيرة الشاعر جورج سيفيريس : صباه في أزميز . شبابه في باريس حيث درس القانون ، تطور موهبته الأدبية ، علاقته بأسرته ، وعمله في السلك الدبلوماسي . ولكن الكتاب لم يُعْنِ بأن يكون دراسة موضوعية ، بل هو نابع عن بئر عميقة من الحب الذي كانت تكنه له أخته الصغيرة يوانا . على أنه لما كان الكتاب يلقي الضوء على بعض الجوانب في حياة سيفيريس وشخصيته ، فهو يعد وثيقة أدبية هامة .

وقد كان من ضمن ما اعتمدت عليه المؤلفة في كتابها مئات الرسائل التي بعث بها الشاعر إليها ، وفيها يخاطبها « بأختي الصغيرة الغالية » ، وتضع المؤلفة كلاً من هذه الرسائل في سياق روايتها لسيرة أخيها في التاريخ الذي أرسلت إليها ، وتتخذ من هذه الرسائل منطلقاً إلى الماضي وإلى المستقبل لتبين ماذا يعني فحواها . على أن الكتاب يتضمن أيضاً سيرة ذاتية للمؤلفة ، فهي تحكي عن صباها في أزميز حيث نشأت إلى جوار أخويها أجلبوس وجورج ، وكانا يكبرانها سناً . ونعمت بحياة رغدة إلى أن انتقلت الأسرة إلى اليونان عام ١٩١٤م ، ثم سافرت إلى باريس حيث مارس أبوها المحاماة . عادت يوانا بعد ذلك مع أمها وأخيها أجلبوس إلى أثينا ، أما جورج فقد ظل في باريس تحت ضغط شديد من أبيه كي يكمل دراسته للقانون . وقد أمضت يوانا صدر شبابها تُعْنِ بأمها المريضة التي كانت تحبها وتكن لها الإعجاب . ثم دخلت الجامعة حيث التقت بزوجها الذي أنجبت منه ابنتين . والكتاب غني أيضاً بتفاصيل عن حياة الأسرة اليونانية ، والظروف السياسية العاصفة التي مرت بها اليونان في تاريخها الحديث .

وتقول يوانا تساتسوس إنها ترددت كثيراً قبل أن تعرض كل تلك التفاصيل شديدة الخصوصية في حياة الشخصيات التي تحكي عنها ، ولكنها تغلبت على ترددتها عندما تبينت أنه سبق لها أن واجهت المشكلة ذاتها في كتابها الأول « صفحات من أيام الاحتلال » ، فقد كان بدوره سيرة ذاتية لفترة من حياتها . وتمضي الكاتبة فتقول : « شعرت أن من واجبي أن أنشر انطباعاتي عن الاحتلال ، فقد قرأت كتباً فقيرة في هذا المضمار ، واعتقدت أنه ربما أمكن لكتابي أن يجلو حقيقة تلك الأيام . ارتسم الموتى

أمامي ، ورأيت أن أذكر بما قدموه من تضحيات لأجلنا . وهذا رائدي على الدوام . وعندما ذهبت إلى باريس أخيراً ، سألوني ماذا أريد أن أرى من معالمها ، فقلت خذوني إلى مون فاليريان حيث دفن من أعدمهم الألمان » .

فكرة الواجب

وتتردد فكرة الواجب في أكثر من ديوان ليونا تساتسوس ، ومنها ديوانها « ميناء الساعة » الصادر عام ١٩٧٦م . والساعة التي تعنيها الشاعرة ساعة مثبتة على واجهة كنيسة في قرية كالافريتا بإقليم البيلوبونيز . وفي عام ١٩٤٣م ، حشد النازيون كعمل انتقامي من جانبهم ، كل الذكور بالقرية المذكورة ، وبلغ عددهم ما يزيد على الألف من سن الرابعة عشرة إلى السادسة والستين ، في أرض محوطة بسياج على سفح تل يطل على القرية ، وأعدموهم رمياً بالرصاص . كانت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . وتقول يوانا في قصيدتها « الإعدام » :

لا بد أن الجبال من حولي جبلية ،
ولكن كيف أشعر بها ،
وعلى وجه الساعة المظلم
تسمر العقربان عند
النصف بعد الثانية ،
ولم يعد للزمان وجود .

وتختتم الشاعرة قصيدتها فتقول :

وفي سكونية المساء
تسمع الدفات معلنة
أن الواجب لا زمن له .

فن
رواية القصة:

دراسة أدبية في الف ليلة وليلة

مجلد في



كتاب



يعد هذا الكتاب من أفضل الكتب التي صدرت في الآونة الأخيرة من الف ليلة وليلة ، فقد درست مؤلفه الكتاب الف ليلة وليلة دراسة مستفيضة بالعديد من اللغات الأجنبية ، وسبغت نظورها التاريخي ، والترجمات الأوروبية المختلفة ، مع مقارنته معطولات مختلفة ، ثم قسمت الحكايات تقسيماً نوعياً Ganne classification حتى أنها جعلت حكايات الحب مع بعضها البعض ، وحكايات السحر ، وحكايات الجريمة ، كما سوف أوسعها ليا بعد .

بقلم:
ميسا إززين جرهاردت
عرض وتعليق:
د. عبد الوهاب علي الحكمي



- ٢ - مجموعة حكايات مختصرة بعضها فقط أدخلت مع حكايات أخرى أكثر طولاً منها .
- ٣ - مجموعة حكايات طويلة جداً متداخلة مع قصص قصيرة وأحاديث شعبية عامة .

كتاب بدول مؤلف

هذا الفصل يناقش ثلاثة مواضيع :

(أ) مراحل تطور وعناصر قص القصة : هناك مراحل تمر بها القصة في تطورها حتى تنمو وتصبح قصة ، وأن قصة من القصص في أي لغة كانت لا بد وأن تمر بهذه المراحل . القصة لا بد لها من شخص يضعها ، يحضر لها ويقدمها كحكاية . يقصها على المستمعين الذين بدورهم ينقلونها شفويّاً من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل . يأتي بعد ذلك شخص آخر ينقل هذه القصة إلى جيل آخر أو إلى أشخاص آخرين في نفس الجيل . هذا الناقل يضيف على القصة شيء من خياله ، وقد يصوغها بصورة تناسب الموقف الذي يحكيها فيه . قد تكتب هذه القصة التي سمعت شفويّاً . في الكتابة يضيف عليها الكاتب صوراً ومفاهيم جديدة بكتابتها لها ، بأسلوبه . القصة في مرحلتها الشفوية لها ملامح معينة ، وفي الكتابة لها خصائص ومميزات معينة . بعد ذلك يأتي المترجم الذي يترجم القصة إلى لغة أخرى . هو يترجم الكلمات وينقل الأفكار ، لكن ترجمة الكلمات في اللغة الجديدة تعطي بعداً جديداً ومعاني جديدة . كل هذه التطورات مرت بها ألف ليلة وليلة .

أما من ناحية العناصر فنجد أن أغلب الحكايات في ألف ليلة وليلة لها عقدة تدور حولها الحكاية وتربطها من البداية إلى النهاية ، كذلك أغلب هذه الحكايات لها قيمة أو مبحث Theme يبين أن هذه الرواية انتصر فيها الخير على الشر وانتصار الحب على الخيانة . كذلك وجدت المؤلف من العناصر المميزة لألف ليلة وليلة النثر الموزون ومقاطع شعرية تضيف معاني جديدة في بعض المواقف إلى مبحث الحكاية .

(ب) المشاكل التاريخية للنص : إن هناك كثيراً من الحكايات تناسب الوسط الاجتماعي التي صيغت فيه . فالجمموعة الفارسية تتمشى مع البيئة والمناخ الفارسي ، بينما نجد المجموعة المصرية فيها إشارات إلى مناسبات وعادات وتقاليد مصرية متعددة مما يؤكد صدق هذه الحكايات ، ونجد عنصر الاستعارة موجود بين الحكايات ، فنجد أن هناك مواضيع متعددة مشتركة بين الحكايات ، وعنصر التشابه والإعادة ، فنجد أن بعض الحكايات يعاد صياغة مواضيعها كاملاً في حكاية أخرى .

يتكون الكتاب الذي تبلغ مجموع صفحاته حوالي خمسمائة صفحة من مقدمة وستة فصول ، مع خاتمة ومراجع مفصلة عن الكتب المطبوعة والمخطوطة في أغلب اللغات الأوروبية التي ناقشت ألف ليلة وليلة ومراجع عامة عن الأدب والتاريخ العربي .

ونظراً لأن الكتاب يعد من الكتب التي صدرت في الأدب المقارن ، والتي تبين العلاقة بين الأدب العربي والأدب الأوروبية ، فقد أشارت المؤلفة إلى بعض المراجع التي توضح العلاقة بين الفكرين العربي والإنجليزي .

الملاحظات

وتناقش في هذا الفصل ثلاثة مواضيع :

(أ) نمو الكتاب : تشير المؤلفة إلى أنه حتى القرن الخامس عشر أصبح الكتاب يتكون من ثلاث مجموعات من الحكايات :

١ - المجموعة الأولى حكايات فارسية تتكون من عناصر هندية ترجمت إلى العربية قبل أو خلال القرن العاشر الميلادي ، أو حكايات عربية تبلورت في وسط فارس أو الهند .

٢ - مجموعة من الحكايات جمعت في بغداد وضواحيها بين القرن العاشر والقرن الثاني عشر .

٣ - المجموعة الأخيرة من الحكايات كوتت في مصر في القرن الحادي عشر أو ربما في القرنين الثالث عشر والرابع عشر .

(ب) عناوين الحكايات : تورد المؤلفة ما يقرب من مائة وثمانين عنواناً رئيسياً ، تحت كل عنوان توجد عناوين فرعية . فعلى سبيل المثال : الحكاية الأولى هي قصة التاجر والشیطان . تحت هذا العنوان تورد المؤلفة الحكايات التالية :

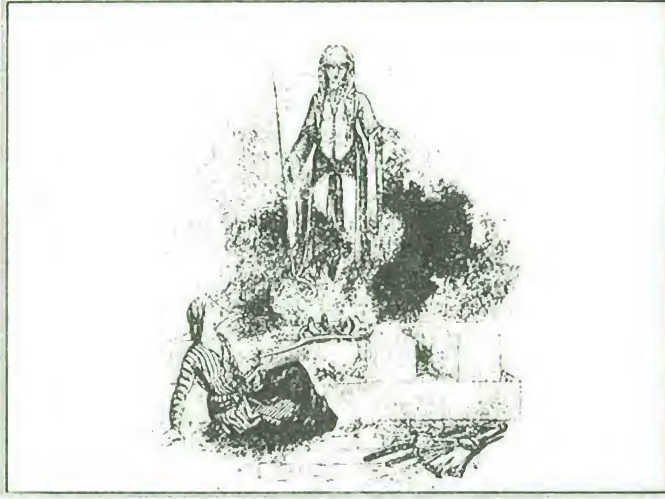
١ - قصة الشيخ الأول .

٢ - قصة الشيخ الثاني .

٣ - قصة الشيخ الثالث .

(ج) شكل الكتاب : رغم أنه ثابت لدى مؤلفة هذا الكتاب بأنه لا يوجد شخص مؤلف لألف ليلة وليلة ، وأنه يبدو أنها جمعت من قبل عدة أشخاص إلا أن الطريقة التي جمعت بها الحكايات تدل على ذوق فني وحاسة أدبية . فقد قسمت المؤلف مجموعة الحكايات إلى ثلاث مجموعات :

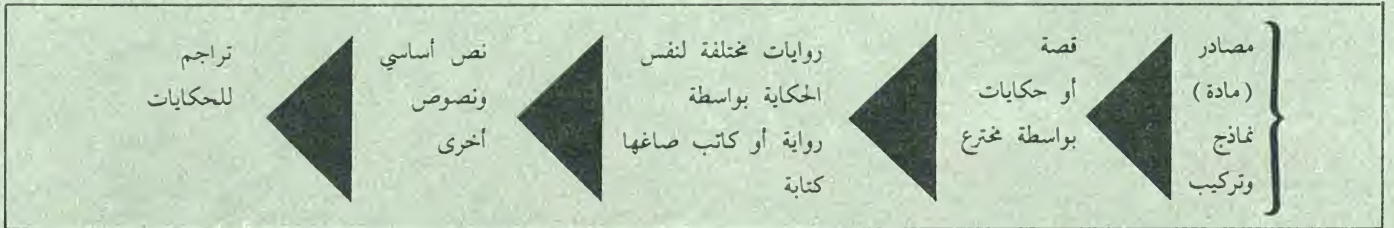
١ - مجموعة من الحكايات طويلة ومتداخلة مع مواد أخرى .



مثل التشابه التام بين حكاية أردشير وحياة النفوس وتاج الملوك ودنيا .
عنصري الاستعارة والتشابه أو الإعادة يساعد الناقد إلى حد ما على تحديد
منهاج داخلي لترتيب الحكايات ترتيباً تاريخياً تطوراً مبني على أسس
داخلية للنص لمعرفة الحكاية الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ... إلخ . وإن
كانت هذه المناهج لا تساعد كثيراً في حكايات ألف ليلة وليلة بسبب
التداخل فيما بينها . إذ لا بد أن يعتمد الناقد على عوامل خارجية تشمل
تاريخ تأليف الحكاية أو معرفة حوادث تاريخية واجتماعية تبين التاريخ الذي
كتبت فيه هذه الحكاية .

(ج) في الموضوع الثالث في هذا الفصل - منهاج أدبي

تقدم المؤلف المنهاج الأدبي لدراسة الحكايات وفيما يلي ترجمة للمنهاج
حسب ما أورده المؤلف في ص (٥٥) وهو على أية حال يستخدم في
دراسة الحكايات الشعبية في أوروبا :



الأجزاء من ١ إلى ٧ وبصورة جزئية في الجزءين الثامن والتاسع . أما
البقية فقد نقلها شفويّاً من الماروني حنا . ولكن تنقذ الدكتور سهرير
القلهاوي في كتابها الذي صدر عن دار المعارف في عام ١٩٦٦ م ،
بعنوان « ألف ليلة وليلة » والمستشرق د . ب . ماكدونالد D.B.
Mcdonald في مقاله عن ألف ليلة وليلة في مجلة دائرة المعارف
الإسلامية بأن جالاند لم يكن أميناً في ترجمته ، ونقل كثيراً من المعلومات
شفويّاً من الماروني حنا (سهرير القلهاوي . ألف ليلة وليلة ، ص ١٧ ،
١٨) .

٢ - ترجمة جونثان سكوت . ظهرت بالإنجليزية في عام
١٨١١ م ، في ستة أجزاء وأغلبها نقلت من ترجمة جالاند الفرنسية .
٣ - قام شخص يدعى فون هامر بترجمة الحكايات إلى الفرنسية ،
لكن هذه الترجمة ضاعت قبل أن تصل إلى المطبعة ، ولحسن الحظ أن
شخصاً يدعى زيرلنك قام بترجمتها إلى اللغة الألمانية ، وقد طبعت هذه
الترجمة الألمانية في ثلاثة أجزاء في عام ١٨٢٣ م . ثم قام بعد ذلك
شخص يدعى تريتيون بترجمة هذه الترجمة الألمانية إلى الفرنسية مرة
أخرى وطبعها في ثلاثة أجزاء عام ١٨٢٨ م .

(ب) ترجمات بنيت على الطبعة العربية الأولى :

هذا الفصل كان محاولة لوضع ألف ليلة وليلة في إطار نظري لتبين
كيف أن منهاج دراسة الحكايات الشعبية يمكن أن يطبق على هذه
الحكايات . ولا شك أن حكايات ألف ليلة وليلة عرفت منذ
القرن الثامن عشر ، أنها من بين الأدب الشعبي والفولكلور التي
يمكن أن يعتمد عليها في الدراسات العالمية للفولكلور .

تراجم ألف ليلة وليلة

لا شك أنه توجد ترجمات متعددة لحكايات ألف ليلة وليلة في
اللغات الأوروبية خاصة بعد أن قام جالاند الفرنسي بنقلها إلى
الفرنسية عن طريق السوري الماروني حنا الذي كان يروي عليه بعض
الحكايات . وهذه تعتبر أول ترجمة معروفة إلى اللغات الأوروبية
التي تمت في عام ١٧٠٣ م .

في دراسة المؤلف للترجمات قسمتها إلى قسمين :

(أ) الترجمات التي تمت قبل الطبعة العربية الأولى .

١ - ترجمة جالاند التي تمت بين ١٧٠٣ إلى عام ١٧١٣ م ، في
اثنى عشر جزء . ترى المؤلف بأن جالاند استخدم مخطوطاً عثر عليه في
القرن الخامس عشر . تعتقد المؤلف بأن جالاند استخدم هذا المخطوط في



الف ليلة وليلة

الأشكال الأدبية للحكايات ألف ليلة وليلة

في هذا الفصل عمدت المؤلفة إلى تقسيم الحكايات حسب الموضوع واتبعت في ذلك التقسيم الأدبي المعروف باسم Genre classification ثم عمدت بعد ذلك تحت كل قسم إلى معرفة المجموعة التي تنتمي إليها، بمعنى أن هناك قصة حب في المجموعة العربية الأولى، وقصة حب من المجموعة الفارسية، ثم تبيان العناصر المشتركة بين هذه الحكايات. ولا شك أن هذا الفصل هو أمتع فصول الكتاب وهو روح الكتاب بسبب أن المساهمة الحقيقية لمؤلفة الكتاب في دراسة حكايات ألف ليلة وليلة الشعبية العربية إذ إنها عمدت في هذا الفصل إلى تحليل نصوص الحكايات تحليلاً داخلياً لمعرفة الملامح الأدبية والشعبية للنصوص والحكايات والعناصر الأدبية التي تنفرد بها ألف ليلة وليلة.

أما المعلومات السابقة التي ذكرت في الفصول الماضية فقد استفادت من المقدمات التي وضعت للترجمات الأوروبية المختلفة، وما كتبت في دوائر المعارف الإسلامية، ودراسات متفرقة للمستشرقين الأوروبيين في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ونظراً لأن هذا الفصل يمثل روح الكتاب فهو أطول فصول الكتاب ويشمل من (ص ١١٤) إلى (ص ٣٧٤) من الكتاب، في مجموعة حكايات الحب نجد على سبيل المثال حكاية عزيز وعزيزية، وقصة علي بابا، وحكاية نور الدين وقر الزمان وغيرها... في مجموعة حكاية الجريمة نجد على سبيل المثال حكاية بوليسية مثل حكاية علي الخواجه، وحكايات اللصوصية مثل حكاية علي بابا، حكايات السفر والرحلات مثل حكاية مدينة النحاس الأصفر وهذه الحكاية من أعمق الحكايات في ألف ليلة وليلة. وتمثل عمقاً نفسياً معقداً، ولها أبعاد اجتماعية ونفسية متعددة. وفي هذه الحكايات حكاية السندباد والبحار وهذه كذلك من الحكايات المعروفة والمشهورة في ألف ليلة وليلة. وحكاية عبد الله في اليابس وعبد الله في البحر. المجموعة الرابعة حكايات الجن أو الحكايات الخرافية ومنها حكاية التاجر والشيطان وحكاية البحار والشيطان وحكاية علي من القاهرة... إلخ. المجموعة الخامسة وتتضمن حكايات تعليمية، وحكايات طاعة الوالدين. من الحكايات التعليمية حكاية رجل من اليمن، ومن حكايات الطاعة والاستسلام حكاية الرجل الراني وملاك الموت، ومن حكايات الحكمة حكاية الحمار والثور والحيوانات والرجل.

- ١ - ترجمة راسموس إلى اللغة الدانماركية في عام ١٨٢٤ م، في أربعة أجزاء.
- ٢ - ترجمة هانجت إلى الألمانية في عام ١٨٢٥ م، مكونة من خمسة عشر قسماً في خمسة أجزاء.
- ٣ - ترجمة تورنر صدرت في جزء واحد في عام ١٨٣٩ م. ولم يكمل مشروع الترجمة عندما علم بترجمة لين.
- ٤ - ترجمة لين تمت إلى الإنجليزية بين عام ١٨٣٣ م، وعام ١٨٤١ م، وقد تمت في ثلاثة أجزاء، وقد أعيد طبعها عدة مرات. وقد أشرف على طبعها مرة أخرى في عام ١٨٥٩ م، ستانلي بول. وقد وضع لين عدة ملاحظات حول العادات والتقاليد العربية.
- ٥ - ترجمة فيل إلى الألمانية تمت بين عام ١٨٣٧ م، وعام ١٨٤١ م، وقد صدرت في أربعة أجزاء.
- ٦ - ترجمة بين التي صدرت بين عام ١٨٨٢ م، وعام ١٨٨٤ م، في تسعة أجزاء، وقد صدر لها ملحق بعنوان: حكايات عن العربية في عام ١٨٨٤ م، في ثلاثة أجزاء.
- ٧ - ترجمة بيرتون إلى الإنجليزية تمت في عام ١٨٨٥ م، في عشرة أجزاء، وقد صدر لها ملحق بين عام ١٨٨٦ م، وعام ١٨٨٨ م، في ستة أجزاء، وعقلية بيرتون الصليبية المتعصبة والاستعمارية جعلته يسهب في بعض - سبيل المثال - رموز - محله - بحنية - الكثرة - هناك - بهما - يخاله.
- ٨ - ترجمة هيننق في أربعة وعشرين جزءاً تمت ما بين عام ١٨٦٥ م، عام ١٨٩٩ م، إلى اللغة الألمانية.
- ٩ - ترجمة ماردروس إلى الفرنسية تمت ما بين عام ١٨٩٩ م، وعام ١٩٠٤ م، وقد صدرت في ستة عشر جزءاً.
- ١٠ - ترجمة ليتمان إلى الألمانية التي تمت ما بين عام ١٩٢١ م، وعام ١٩٢٨ م، ثم أعيد طبعها في عدة طبعات جديدة في الأعوام ١٩٥٣ م، و ١٩٥٤ م، و ١٩٦٠ م، وقد صدرت في ستة أجزاء وتعتبر المؤلفة أن هذه الترجمة أدق ترجمة علمية صحيحة وبها مقدمة قيمة وضعت في الجزء السادس.
- ١١ - ترجمة أوسترب التي تمت ما بين عام ١٩٢٧ م، وعام ١٩٢٨ م، إلى الدانماركية.
- ١٢ - ترجمة ساليير إلى اللغة الروسية في عام ١٩٣٠ م، وقد صدرت في ثمانية أجزاء.
- ١٣ - الترجمة الإيطالية وقد صدرت هذه الترجمة في عام ١٩٤٩ م، ثم صدرت الطبعة الخامسة من هذه الترجمة في عام ١٩٥٨ م، في أربعة أجزاء، وقد قام بهذه الترجمة مجموعة من العلماء والمفكرين.

دورة حكايات هارون الخليفة

المعروف أنه في الآداب الأوروبية هناك مجموعة من الحكايات الخرافية التي تدور حول محور واحد وغالباً ما تكون هذه الحكايات حول بطل أو شخصية تاريخية قديمة . ويحيط هذه الشخصية التاريخية سواء كانت حقيقية أو خرافية ، خيالات وأوهام بطولية ، ومغامرات متعددة ينسجها أهل عصور متأخرة حول تلك الشخصية الخرافية مثل حكاية الملك آرثر . لذلك فإن المؤلف وجد ما يقرب من خمسين حكاية متفرقة من حكايات ألف ليلة وليلة تدور حول شخصية هارون الرشيد . لذلك فإنها درست من هذه الزاوية وطبق عليها نفس المنهج الأدبي للتحليل والدراسة .

تعليق ونقطة

إن كتاب فن رواية القصة يعتبر، كما ذكرت سابقاً، من الدراسات الجيدة التي صدرت في اللغات الأوروبية عن حكايات ألف ليلة وليلة . وميزة هذا الكتاب أنه جمع بين الدراسات التاريخية لتطور النص والدراسة الداخلية لتركيب وبناء النص . بينما ركز نيكيتا السيف Nikita Eliseeff في كتابه الذي صدر في بيروت عام ١٩٤٣م ، بالفرنسية تحت عنوان Themes et motifs des mille et une nuits الباعث والمبحث في ألف ليلة وليلة درس النص دراسة داخلية ، ورسم بياني لتطور الباعث والنتيجة في الحكايات . إذن فهي دراسة داخلية تحليلية لنصوص ألف ليلة وليلة . وصدرت سلسلة من الكتب في بيروت ، ركزت على عرض تأثير ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية مع عرض تاريخي واجتماعي سريع . أما كتاب الدكتورة سهر القلماوي فقد عمدت في كتابها ألف ليلة وليلة إلى تقسيم الحكايات حسب المواضيع ، فقد قسمتها إلى موضوعات دينية ، وموضوعات خلقية ، وموضوعات تاريخية ، وإلى عرض الحياة الاجتماعية في ألف ليلة وليلة .

إذن فميزة هذا الكتاب أنه جمع بين الدراسة الداخلية والخارجية مع توثيق للمصادر والمراجع تفتح آفاقاً جديدة لمزيد من الدراسات حول ألف ليلة وليلة . ونجد أن الفصل الرابع - الأنواع الأدبية لحكايات ألف ليلة وليلة - والفصل الخامس - بناء وتركيب ألف ليلة وليلة - جمع بحيث يدفع الباحثين إلى مزيد من الدراسات والبحوث حول حكايات ألف ليلة وليلة .

هذا الفصل يمثل محاولة بنائية لدراسة الحكايات ويبين شكل الحكايات المختلفة والبنية التي ركبت عليها الحكايات وكيف أن الشكل الذي ركبت به يربط بعضها البعض ، طرحت شكلاً مقنناً للحكايات وأطلقت عليه قصص وحكايات إطارية Frame-Stories تقصد بذلك أن شكل الحكايات مثل الإطار الداخلي المترابط والنص في هذه التسمية والتقسيم الذي بنيت عليه كما سنرى فيما بعد أنه بهذه الوسيلة أصبحت الحكايات مترابطة ببعضها البعض ، وتحت هذا الشكل البنائي للحكايات قدمت ثلاثة أشكال تندرج تحت هذا الشكل الأدبي :

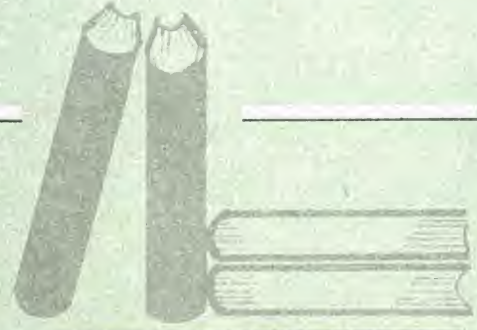
١ - إطار للتسلية والترفيه Entertaining Frame وهو يمثل أبسط شكل في الحكايات ، ويتكون من شخصية واحدة وفي حالات محدودة أكثر من شخصية يروي حكاية لتسلية المستمعين . وتعطي مثلاً على هذا التركيب أو البناء قصص هارون الخليفة .

٢ - إطار لكسب الوقت Time-gaining Frame وهذا الشكل يربط مجموعة من الحكايات حتى تكون النتيجة من عمل الحكاية التي كونت الإطار . تبين المؤلف أن هذا البناء يبدو أنه هندي الأصل ، ومنصور على المجموعة الفارسية في الحكايات . فتنهزارة تعمل على ربط أكثر من حكاية حتى تحصل على النصر في النهاية .

تبين الكاتبة أن الشاعر الإيطالي بوكاسيو Boccaccio استفاد من هذا البناء في حكاياته المعروفة باسم الليالي العشر The Decameron وهناك دلائل تشير إلى أن بوكاسيو على علم بحكايات ألف ليلة وليلة .

كذلك استفاد من هذا البناء الشاعر الإنجليزي تشوسر الذي علمه بحكايات ألف ليلة وليلة معروف وأشار إلى ذلك في بعض قصائده . وقد استفاد من فن الحب عند العرب وبصورة خاصة درس ابن حزم وكتابه طوق الحمامة .

٣ - الشكل الثالث أطلقت عليه إطار التضحية Ransom Frame ، هذا الشكل له هدف أخلاقي ، وهو يربط مجموعة كبيرة من القصص ، وربما يتدرج في الحكايات من أولها إلى آخرها . ولذلك قد يكون هو الإطار العام الذي يربط مجموع الحكايات بكاملها . الإطار يظهر ويبين كيف أن شخصاً سوف يعاقب بالقتل أو إلى نوع من أنواع التنكيل والتعذيب ، ثم تروى الحكاية بواسطة الشخص نفسه أو الأشخاص الذين تدخلوا لإنقاذه ، ولذلك فإن القارئ سوف يبقى في حالة من الترقب والانتظار لمعرفة ماذا سوف يكون مصير ذلك الشخص . وتقدم الكاتبة



مطالعات...
في الكتب

أديب من السعودية:

طاهر زغشري

فدي ديوانه

معارف الأشجان، وناف زواجر على القمر

بقلم: د. يوسف نوفل

الأصيلة من ناحية، وعلى إسهامه في حركة الشعر العربي المعاصر في السعودية من ناحية أخرى. أما دواوينه فهي:

أحلام الربيع، وممسات، وأصداء الرابية، وأنفاس الربيع، وأغاريد الصحراء، وعلى الضفاف، وعودة الغريب، وألحان مغرب، ومن الخيام، وحببتي على القمر، ولبيك، ورباعيات صبا نجد، والأفق الأخضر، والشرع الرقاف، ومعارف الأشجان، وحقيبة الذكريات، ونافذة على القمر.

ولا جدال في أننا لا نملك إلا التقدير لشاعر بهذا العطاء الفني السخي؛ إذ نرى أنفسنا إزاء سبعة عشر ديواناً لشاعر ملكت عليه التجربة الشعرية أقطار نفسه فوهبها نبض قلبه وخفقات شعوره، واستحق بذلك أن يكون واحداً من أعلام النهضة الشعرية في الأدب السعودي المعاصر.



* طاهر زغشري *

وصاحب اللقب الشهير (بابا طاهر) وله أغان مذاكرة.

وقد قدّم الشاعر للمكتبة العربية طائفة من الدواوين تسدل - كماً وكيفاً - على شاعريته

نحن إزاء شاعر أسهم إسهاماً واضحاً في نهضة الشعر السعودي المعاصر، وكان ممن شاركوا في ظهور البواكير الأولى لديوان الشعر السعودي، إذ صدر ديوانه الأول (أحلام الربيع) سنة ١٩٤٦م، في الوقت الذي شهد فيه ديوان الشعر السعودي ميلاد الدواوين التالية وغيرها:

(صباية الكأس) - رباعيات إبراهيم هاشم الفلالي صاحب الكتاب النقدي (المصاد) وقد صدر الديوان سنة ١٩٤٥م، و (الهوى والشباب) لأحمد عبد الغفور عطار سنة ١٩٤٦م، و (الطلائع) لأحمد محمد جال سنة ١٩٤٧م، و (البسمات الملوّنة) للقشري سنة ١٩٤٧م... إلخ.

وقد كتب عن ديوانه الأول (أحلام الربيع) وديع فلسطين ضمن كتابته عن دواوين الشعر السعودي آنذاك^(١)، وأهدى الشاعر ديوانه هذا إلى الدكتور محمد حسين هيكل.

وقد ولد طاهر زغشري بمكة المكرمة في سنة ١٣٣٢هـ، وهو أحد خريجي مدارس الفلاح بمكة المكرمة، وأحد أعلام النشاط الإذاعي،



★ أحمد عبد الغفور عطار ★

ملء كفّي من الحياة هباءً
ونفس من الصمود إباءً
وعلى مفريقي تلالاً نوراً
شاعري شعاعه أنواراً
أنا منها بما تسخ سعيداً
طلما العُمرُ واحه خضراء
قد طويْتُ السنين لكن شبابي
في إهابي عزيمته رمضاء
في خضم الحياة أقطع شوطي
والرياح التي تهب رُخاءً
ورفاتي على الطريق جهوداً
وشراعي الذي يرفرف رجاءً
في التضاعيف أحمل الحب قلباً
وبدقاته يعود الغناء
وضجيج الحياة إن صم أذني
فيعني من الثبات ضياءً

★★★

نافذة على القمر

أما ديوان «نافذة على القمر» فيضم
اثنين وتسعين قصيدة، وهكذا نجد أن الديوانين
متقاربان كثيراً، يضاف إلى ذلك تقاربهما في المنحى
الفني، فهما نحن مع شاعر حريص الحرص كله على
موسيقى الشعر التقليدية، حريص على الوزن
والقافية، يجدد في المضمون لا في الشكل،
فهو في المحتوى الشعري يوسّع دائرة رؤاه الفنية،
ونطاق خيالاته وصوره، وبجمال موضوعاته
وقضاياها.

ويحرص - كما سبق على الإهداء، لكنه
يتجاوز الإطار العائلي الذي رأيناه في الديوان
السابق، فيهدي الديوان الحالي إلى من كان سبب
إلهام الديوان، يقول:

ربّاه كفّاري عن كل معصية
أنّي أتيت وملء النفس إيماناً
وقد قطعتُ خضياً والعبابُ به
كبانر وأنا في التيه سقاً
والفلك في اللج قد حاد الأنام به
عن الطريق فهل يُثنيه غفراً؟
فالبهر مضطرب والموج ملتهب
والنار من خافقي خزّي وخسراً
بها تاكل ما بالكف من نعم
وإن لاهبها في النفس أحزراً
وقد تكسّر مجداف وما برحتُ
به المآثم تلهو وهو عيدان

وقد قسمته إلى تبويب يوحي بتصنيف محتواه
إلى: أسكتي، ودموع، ومعازف، ووراء
الصمت، ومن ضفاف البحيرة، وأشجان، وفي
الطريق، وأغاريد الأصيل.

ويحرص الشاعر على النهج التقليدي
في موسيقاه، فيتبع الخطوط التي رسمها من
قبل الخليل بن أحمد، لذا نراه حريصاً على
الوزن والقافية يقول في قصيدته «غبار
السنين»^(٧):

في غبار السنين فوق المآقي
ضاع ما قد ذُرُفْتُ من أعماقي
والحكايات لا تزال على سم
نسي الحسن أنه بأنبي
واشتياقي إليه شدّ ونافي
وأناجي الإنسان فيه بعين
هو فيها الإنسان بالإشراق
هو في خاطري ومشرح أحلا
مي، ونبض الحياة في الأعراق

ونراه في شعره يحتاج من نفس صادقة،
فيخلص لتجربته الشعرية حتى ليصبح شعره مرآة
لنفسه، ولعل قصيدته «في الصميم» من بين
شعره الذي ينطلق من تجربة معاناته الصادقة،
يقول فيها:

ونقف اليوم مع ديوانين منها نتعرف - من
خلالهما - على شاعريته. هذان الديوانان هما:
(معازف الأشجان) الذي صدر سنة
١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م^(٨).

(ونافذة على القمر) الذي صدر سنة
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م^(٩).

★★★

معازف الأشجان

ضم هذا الديوان ثلاثاً وتسعين قصيدة،
وهي - في جملتها - تنبع من وجدان الشاعر
شأنه في ذلك شأن دواوينه كلها، إذ يتسم شعر
هذا الشاعر بنزعة وجدانية تجعل للعاطفة في شعره
أولاً وأصلاً يُحسّ وراءه دوافع الإلهام وتتبع
الصياغة والتعبير على حد سواء.

وأراني - بهذا الصدد - متفقاً مع إبراهيم
هاشم الفلاحي في (المرواد) حين قال عن شاعرنا
منذ سنين:

«إننا نجد في هذه الأبيات نفثة من نفثات
الشاعر لا تصنع فيها، لا محاولة منه في زخرفة
شعره بالفاظ أو كلمات منتقاة. بل ترك نفسه على
سجيته، فتحدث عن ألمها، كيفما واتتها المعاني،
واختارت ما واتها من الكلمات فجاء شعره حاراً
صادقاً، وهذا هو الجمال الفني في الشعر...
وأنغام الزخخري عذبة وإن كانت حزينة ولعل
حزنها هو رسم عذوبتها»^(١٠).

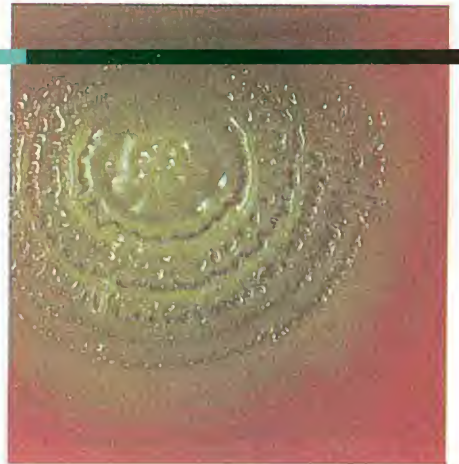
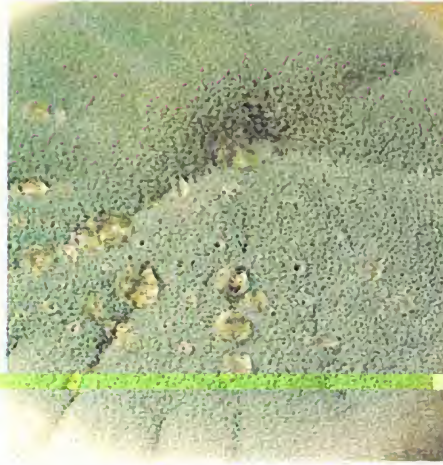
وقال: «إننا نحسي الزخخري ونصافحه،
لا لأنه صديق عزيز، بل لأنه شاعر ينبع الشعر
من نفسه، وعلى كاهله وكواهل أمثاله نستطيع أن
نبني مجدداً شعرياً عليه سمنا وطابعنا»^(١١).

★★★

يهدي الشاعر ديوانه (معازف الأشجان) إلى
حفيدته مازجاً بين فرحته بمولدها، وفرحته
بزفافها، ويستهل ديوانه بقصيدته (رياه) ومنها
قوله^(١٢):



موضوع خاص



بقلم:
هشام سليمان أبوعودة

البكتيريا

في خدمة البشرية:

★ أشكال مختلفة للمستعمرات بكتيرية
مختلفة، وكل نوع من البكتيريا له مستعمرة
مميزة له.. إنه عالم البكتيريا، عالم
لا ينتهي من الألوان والأشكال ★

وجبات حسب الطلب للبكتيريا الشرهة

تعتبر البكتيريا من أطعمز أشكال الحياة المبروجة تملأ الإنسان (بالمستعمرات الفيروسات)، هذه
الميكروبات وحيدة الخلية والصغيرة جداً لدرجة أن العين المجردة للإنسان لا تستطيع رؤيتها،
ولكنها إذا تكاثرت لتصل أعدادها إلى عدة بلايين فإنها تكون «مستعمرات» يمكن لعين
المسنة أن تراها ساهب... ومن سبي حصل على هذه المستعمرات البكتيرية، فإننا نحتاج
إلى تشجيع وحفز البكتيريا على التكاثر السريع... وكما أن أسرع وسيلة للوصول إلى قلب
الرجل هي معدته، فإن أسرع وسيلة لضمان تكاثر البكتيريا السريع هي وضعها في أوساط
مغذية خاصة.



البكتيريا في خدمة البشرية



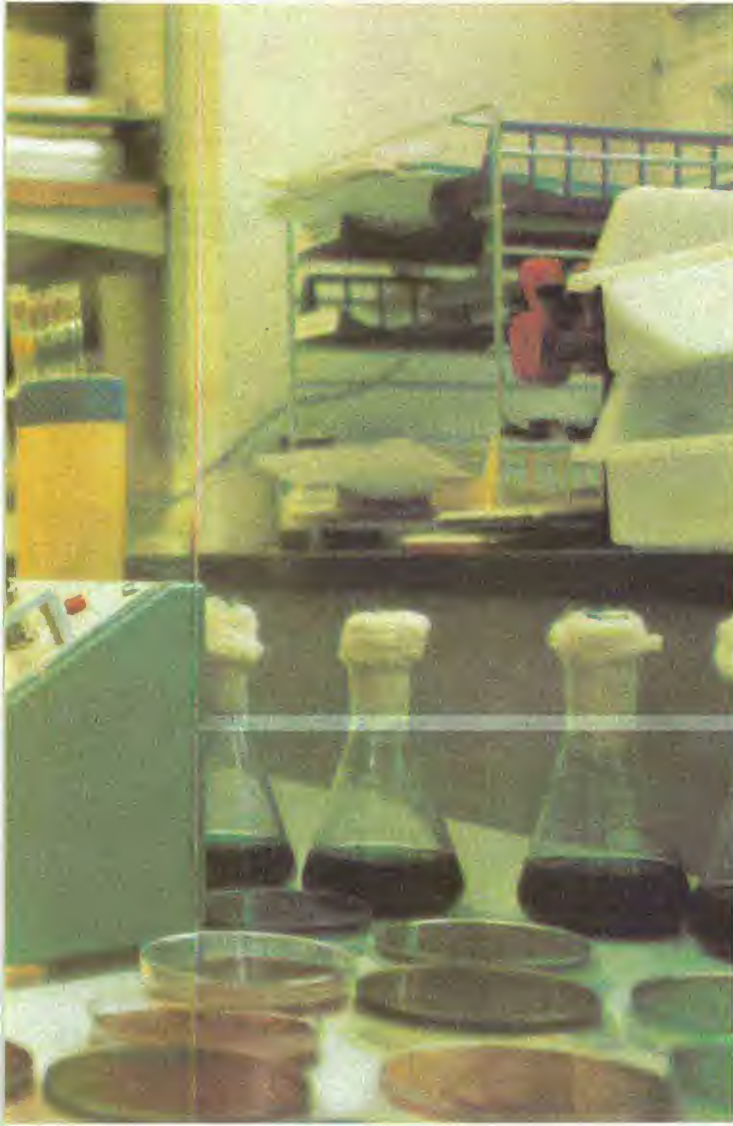
● بعض أنواع البكتيريا تقينا شر الأمراض القاتلة

ولكن ... لماذا الاهتمام بالإكثار من البكتيريا .. وليس القضاء عليها ...؟ ... إن المهتمين بعلم الميكروبيولوجيا (Microbiology) (علم الأحياء الدقيقة) هم بعض أولئك الذين يسعون لزيادة البكتيريا ، وذلك لإجراء دراساتهم عليها للتعرف على أنواعها المختلفة ودراسة الطرق الكفيلة بالقضاء على الضار منها ... كما أن مراقبة صحة البيئة والأغذية يستخدمون هذه الطريقة للكشف عن البكتيريا في الأغذية ومياه الشرب والهواء ، كما استعملها علماء الصحة العامة للكشف عن نظافة المستشفيات .. وبالإضافة إلى ذلك ، فإن شركات الأدوية تستخدم هذه الطريقة في أقسام « المراقبة النوعية للمستحضرات الصيدلانية » بانتظام لفحص ما إذا كانت الأدوية ومحاليل الحقن والمنقوعات والآلات والأقراص والمستخدمون وأوعية التحضير خالية من الميكروبات ، وخصوصاً تلك الأقسام التي يعتبر تواجد جرثومة واحدة فيها جريمة لا تغتفر .

والكشف عن نظافة البيئة وخلوها من البكتيريا وذلك بتربيتها في أوساط غذائية خاصة يقودنا إلى تذكر حادثة فريدة بطلها أعظم طبيب عربي في العصر العباسي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (المتوفى عام ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م) ، إذ يقال بأنه هو الذي اختار مكان بناء المستشفى (المستشفى) العضدي ، في بغداد ، ويرى أنه لما جمع عضد الدولة الأطباء لتعيين الموقع الأفضل للمارستان ، اقترح الرازي أن يقوم بعض الغلمان بتعليق شقة لحم في كل ناحية من جوانب بغداد ، ثم اختار الجانب الذي لم يتغير فيه اللحم ولم يسهك (ينتن) بسرعة .. وقد أقيم المارستان في تلك الناحية^(١) .

وإذا صحت هذه القصة ، يكون الرازي أول من ربط بين فساد الطعام وبين الصحة بصورة علمية .. وربما كان حس العالم هو الذي قاده إلى هذا الاكتشاف .. وربما لو كانت المجاهر (الميكروسكوب) موجودة في ذلك الوقت ، لكان أعلن أن المسؤول عن هذا الفساد هي البكتيريا .. بطله هذا المقال .

والبكتيريا توجد في الطبيعة تحت ظروف شديدة التنوع والاختلاف ، ولذلك فإنه لا توجد طريقة مفردة لتطبيقاتها تطبيقاً عاماً لتربية وتكاثر



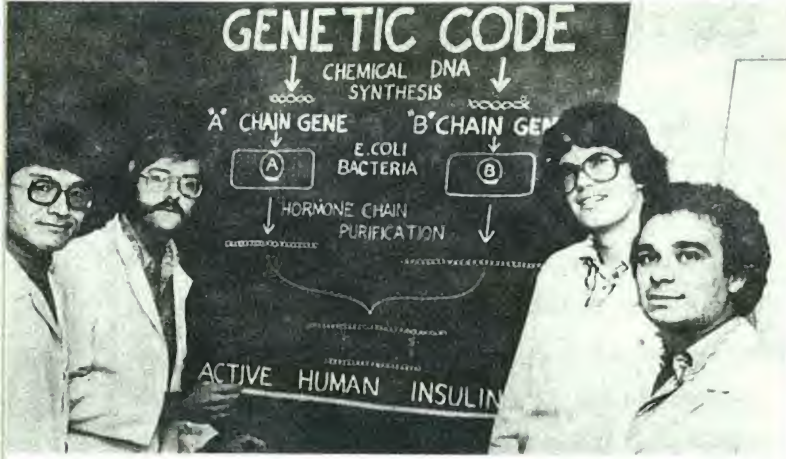
البكتيريا في المزارع البكتيرية .. وهناك طرق خاصة علينا اتباعها لتكاثر سلالات معينة من البكتيريا غير تلك السلالات العادية .

هناك بعض أنواع البكتيريا يتم تشجيعها على التكاثر في أوساط غذائية موضوعة في أطباق زجاجية دائرية قليلة العمق يبلغ قطر الواحد منها عشرة سنتيمترات .. وتعرف هذه الأطباق باسم « أطباق بتري » Petri dishes إذ إنها سميت باسم مخترعها عالم البكتيريا ريتشارد جوليفوس بتري Richard Julius Petri (١٨٥٢ - ١٩٢١ م) .

عندما تتكاثر خلية بكتيرية واحدة لتكوين مستعمرة في أحد هذه الأطباق ، يقوم العلماء بتوظيف خبراتهم للكشف عن العائلة التي تنتمي إليها هذه البكتيريا .. ولقد استغل العلماء وجود صفة مميزة لكل نوع من أنواع البكتيريا القادرة على التكاثر وهي أنها « شرهة » جداً وذات « ذوق » رفيع في هذا المقام .. ولكل نوع من البكتيريا وسط غذائي خاص تنمو عليه .. وحكاية الذوق هذه قد يتعجب لها الكثيرون ، ولكنها قول لا مبالغه فيه ، وانتظروا حتى آخر الحكاية .

* إحدى الباحثات تقوم بعملية عد للبكتيريا
بواسطة جهاز خاص هذا الغرض *

* تمكن هذا الفريق من الباحثين في المركز الطبي القومي في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية من تركيب الإنسولين البشري في مختبر بواسطة البكتيريا المسماة E. coli كما يظهر من الرسم على اليسار . . وهم من اليمين إلى اليسار الدكتورة روبرتو كريا ، دافيد غودل ، آرثر ريفز ، كينيثي إيتاكورا *



مرض الغنغرينا القاتل Gas Gangrene ، نكره الأوكسجين ولا تختمل العيش فيه لفترة طويلة ، بينما السلالة المسماة « الغصيات الهوائية » Anaerobic bacilli هي على النقيض منها إذ لا تستطيع العيش أو التكاثر إلا في وجود هذا الغاز الحيوي .

وهذا عند تربية هذه السلالات ، كان على العلماء أن يوفرها ما يرضيها وما يساعدها على التكاثر تمهيداً للكشف عنها . . كما أن « مذاق وطعم » الوسط الغذائي المقدم للبكتيريا لتكاثر عليه عامل هام آخر ، فبعض سلالات البكتيريا تنمو على مغذيات معينة يمكن أن تكون حلوة المذاق ، أو حمضية ، أو لازعة أو مالحة ، أو خالية من الملح ، وقد تكون دهنية أو خالية منه . . فالمسألة « تذوق » ومزاج . . ويختلف التذوق باختلاف نوع البكتيريا . . ولقد استطاع العلماء أن يفرو بمتطلبات كل نوع أثناء تحضيرهم « للوجبات المفضلة » لأنواع البكتيريا التي لا تعد ولا تحصى .

والأوساط الغذائية تصنع من حساء اللحم المخلوط بمادة الأجار - أجار Agar-agar (وهي مادة هلامية تستخلص من الطحالب البحرية وتشبه الجيلاتين) ، ويضاف إلى هاتين المادتين قليلاً من السكر والملح والماء بنسب معينة . . ثم يوضع الخليط في أطباق بتري . . ويجري تعقيم هذه الوجبة قبل تقديمها للبكتيريا لضمان عدم تلوثها بأنواع أخرى من البكتيريا .

الكشف عن البكتيريا

إذا كان لدينا مادة نريد فحصها لمعرفة نوع البكتيريا العالقة بها ، فإننا نجعل هذه المادة تمس الوسط الغذائي بواسطة أداة مناسبة ، ثم يغطى طبق



البعض يفضلونها ساخنة

في الماء المغلي لينابيع يلوستون Yellowstone الحارة بالولايات المتحدة الأمريكية اكتشف الباحثون نوعاً من البكتيريا باستطاعتها احتمال درجة حرارة تبلغ ٩٣ درجة مئوية . . بينما يعيش نوع آخر من البكتيريا في درجة حرارة متدنية تبلغ من أربع إلى اثني عشرة درجة تحت الصفر . . كما أن هناك نوعاً يستطيع العيش في حالة التجمد القصوى في النيتروجين السائل في درجة حرارة لا يصدقها عقل ألا وهي درجة ١٩٦ تحت الصفر . . وهذه الأنواع التي تعيش في تلك الدرجات المتطرفة من الحرارة ، سواء بالارتفاع أو الانخفاض ، لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من أنواع البكتيريا . . إذ إن درجة حرارة تتراوح بين ٣٠ - ٣٧ درجة مئوية هي الدرجة التي تفضلها الغالبية العظمى من سلالات البكتيريا .

وهناك سلالة من البكتيريا وهي التي تعرف باسم « الغصيات اللاهوائية » Anaerobic bacilli والتي تنتمي إليها البكتيريا التي تسبب

من الخارج والداخل ، وحتى لو استغرقنا في تنظيف أجسادنا لمدة يوم كامل ، فإننا لن نستطيع أن نزيل البكتيريا العالقة بمسامات الجلد والغدد العرقية حتى لو استخدمنا كل أنواع الصابون المتوفرة .

فلو أخذنا على سبيل المثال أحد أطباق بترّي مملوء إلى حافته بمادة الأجار - أجار ولمسناه لمساً خفيفاً بطرف أحد أصابعنا أو بطرف مقبض الباب أو بأي شيء آخر نستخدمه في حياتنا اليومية ، حتى بالرداء الأبيض لأحد الأطباء والذي يفترض أن يكون نظيفاً .. ومن ثم نضع الطبق في الحاضنة لمدة يومين ، فإننا سنفاجأ بظهور المستعمرات البكتيرية التي تدل على تلوث كل الأشياء السابقة الذكر بالبكتريا .

إن تتبع الجرثومة البكتيرية الواحدة ، بدون استغلال هذه القدرة على التكاثر ، سيكون مستحيلاً حتى بواسطة المجهر .. ولو فرضنا أن لدينا جرثومة بكتيرية واحدة ، فإنها تحت الظروف المناسبة وفي الوسط الغذائي المناسب سوف تزداد في الحجم إلى الضعف في وقت قصير ، تنقسم بعدها إلى جرثومتين كاملتين خلال عشرين أو ثلاثين دقيقة فقط . وهاتان تنقسمان بدورهما خلال نصف ساعة أخرى ليصبح العدد أربع .. وتستمر البكتيريا في الانقسام دون انقطاع وفي متوالية هندسية لتصبح ١٦ ثم ٣٢ ، ٦٤ ، ١٢٨ ، ٢٥٦ ، ٥١٢ ، ١٠٢٤ ، ٢٠٤٨ ، ٤٠٩٦ ، ٨١٩٢ ، ١٦٣٨٤ ، ٦٥٥٣٦ ، وهكذا إلى أن يصبح العدد مالا نهاية مادامت الظروف مواتية .

مسألة « ذوق »

لكي نكتشف نوع البكتيريا الموجودة التي «زرعناها» في طبق بتري الأنف الذكر، فإننا نستخدم هذا الغرض قضيباً معدنياً متصل نهايته بسلك رفيع من البلاتين . وبواسطة طرف السلك ننقل جزءاً غير منظور من المستعمرة البكتيرية إلى طبق آخر به مادة مغذية أخرى . ويجب أن يكون سلك البلاتين معقماً بالتسخين على النار قبل ذلك حتى لا يكون ملوثاً ببكتيريا من نوع آخر . ونضع جزءاً آخر غير منظور من المستعمرة في طبق ثالث يحتوي على نوع مختلف من مادة مغذية لها مذاق جديد . ونعيد الكرة على طبق رابع وخامس وعاشر كل منها يحتوي على مادة ذات مذاق مختلف . وباختصار، فإننا نقدم للبكتيريا وجبات مختلفة التركيب حتى نعرف، وعلى وجه التحديد، ذوقها وتذوقها . وهذا يتضح من سرعة نموها على الطبق الذي تفضله . وهو الذي تتكون عليه مستعمراتها في أقصر وقت .

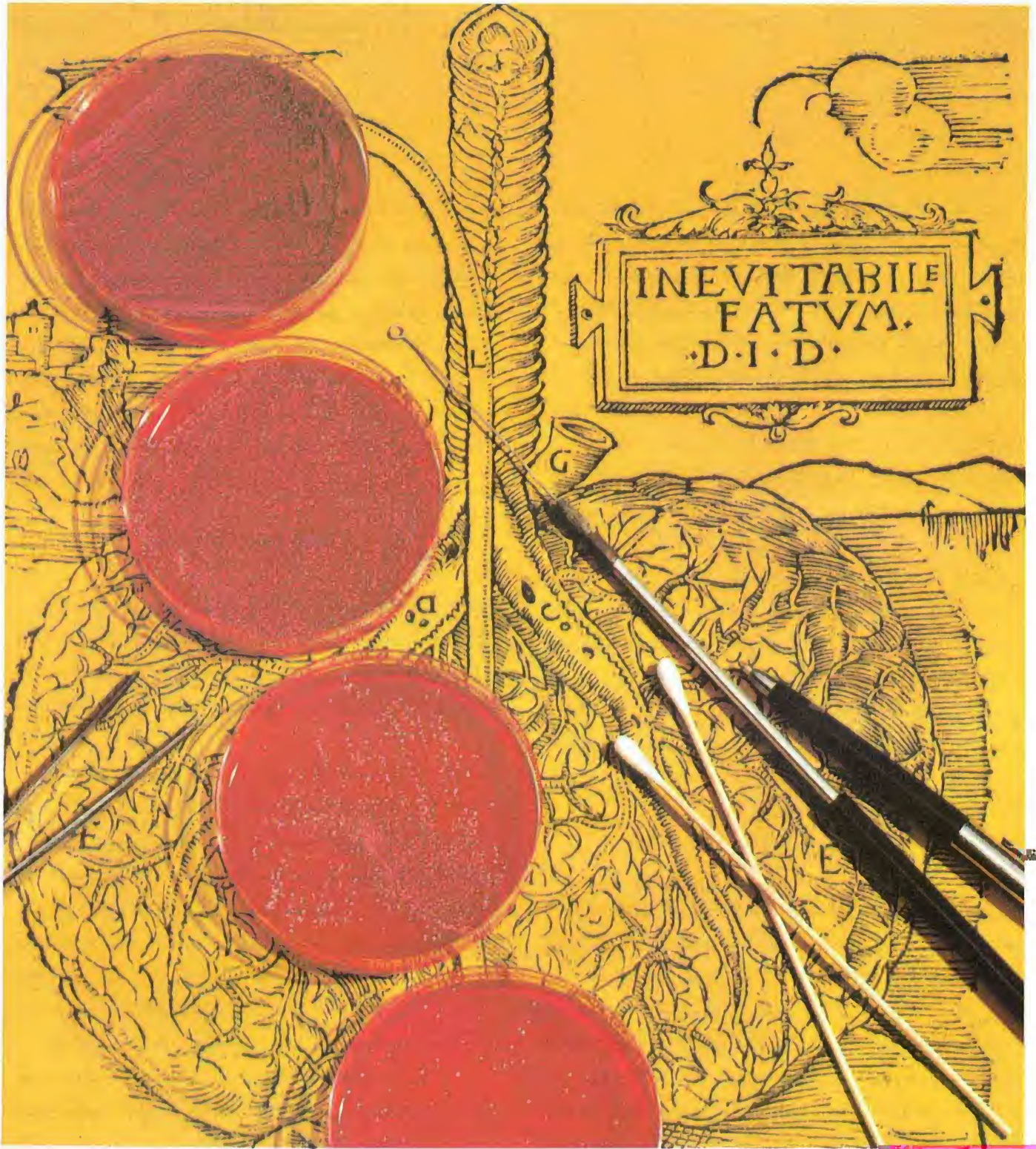
بعض الناس يسمي هذه العملية « زرع البكتيريا » والبعض الآخر يسميها « تربية » .. واختلاف الأسماء لا يعني اختلاف المضمون ، فالهدف واحد وهو تكاثر البكتيريا .

وحجم البكتيريا المتناهي في الصغر ، يجعلنا لا نشعر بها وبوجودها رغم أنها تملأ المكان من حولنا .. فهي تقريباً موجودة في كل شيء نتعامل به ، وهى موجودة على أجسادنا

وتطبيق الرياضيات ، فإنه يمكننا حساب نمو بكتيريا واحدة خلال ٤٨ ساعة فقط في مادة خلوية (من الخلية) كافية . . والعدد الناتج سوف يملاً حولة (بليون) عربية نقل سعة الواحدة منها عشرة أطنان . . وبصورة أخرى . . إذا صُنِّتْ هذه الأعداد الهائلة من البكتيريا بحيث توضع الواحدة منها ملاصقة للأخرى في صف واحد ، فإنها سوف تحيط بالأرض ٢٥٠ مرة .

ولحسن حظ البشرية ، كل هذه الحسابات نظرية بحتة وبعبارة عن التحقيق ، إذ إنه لكي تتكون هذه الأعداد الفلكية من البكتيريا فإننا نحتاج إلى كمية من الغذاء لها أكثر بكثير من حمولة بليون عربة نقل .

ولقد استغل العلماء قدرة البكتيريا على الانقسام كل عشرين أو ثلاثين دقيقة وجدوا لها استخداماً نافعاً، فهناك أنواع معينة غير ضارة بالإنسان تعيش على الفايات وتلتهمها، فاستغلوا ذلك في التخلص من



التخلص من زيت البترول بتحويله إلى مواد أخرى غير ضارة بالحياة البحرية والبرية .

والبكتيريا كما شاهدنا ، لا تساعد فقط على التقليل من تلوث البيئة (على الرغم من أن بعض أنواعها يسبب التلوث) بل إنها تستخدم في الأغراض الصناعية وعلى نطاق

النفائات . . ومن التطبيقات العملية الأخرى التي استفاد فيها الإنسان من البكتيريا ، هذا المثال الواضح على تخمر اللبن والذي استغله الإنسان منذ أقدم العصور لصناعة الجبن ومشتقات الألبان الأخرى . أما الاستغلال الحديث فقد شاع استعماله بعد حوادث التحطم والغرق المتكررة لناقلات البترول في المحيطات والبحار مما سبب قدراً كبيراً من التلوث بزيوت البترول . . وقد اكتشف العلماء نوعاً معيناً من البكتيريا باستطاعتها





تجاري واسع .. وكما أن أنواعاً منها تسبب الأمراض القاتلة لنا ، فإن بعضاً منها ، ويا للعجب ، تقينا شر الأمراض القاتلة ولو بطريقة غير مباشرة .. وذلك باستخدامها في صناعة وإنتاج « المضادات الحيوية » Antibiotics والتي تستخدم في علاج الأمراض التي تسببها الأنواع الضارة من البكتيريا .. وبدون البكتيريا المسببة Methylomonas clara (وهي بكتيريا سريعة الانقسام) لم يكن لباحثي إحدى شركات الأدوية الألمانية أن ينجحوا في بناء مصنعهم الضخم الذي يتم فيه تحويل الميثانول Methanol (وهو أحد نواتج البترول) بواسطة هذا النوع من البكتيريا إلى أغنى المواد الغذائية على الإطلاق وهي البروتينات .

البكتيريا في خدمة الإنسان

إذا قال قائل إن البكتيريا تحمل لنا الخير والعافية فلا تلمه على هذا القول ، فليس عمل البكتيريا لفائدة الإنسان بالشيء المستغرب أو الجديد على البشر .. وقد أوردنا في الصفحات السابقة بعض ما تقوم به البكتيريا في هذا السبيل .

إن غزوة العالم من « الهيدروكربونات » ، أي الفحم السائلة المتمثلة بالنفط ، محدود جداً ولا بد للعالم أن يجد له بديلاً في يوم من الأيام .. والموارد التي سيلجأ إليها الإنسان هي الحيوانات المجهرية والكائنات الدقيقة ومنها البكتيريا ، لأنها تتمتع بطاقة ضخمة على تصنيع مركبات عضوية هامة بمجرد أن تغذى على أبسط وأضال ما يمكن من المواد ، فلإن باستطاعتها أن تنتج الكحول .. وفي البرازيل ، يسعى الباحثون إلى إنتاج ملايين الأطنان من الكحول بهذه الطريقة لاستخدامه كوقود للسيارات وفي صناعة البلاستيك وغيرها .

وفي الهند ، يجمعون نفايات المزارع ويضعونها في مخمرات خاصة ثم يتركونها للبكتيريا كي تحولها إلى غاز أو سماد غصب للتربة . وهناك إمكانية تسخير البكتيريا للعمل في مناجم الفحم البعيدة الغور في باطن الأرض ، التي يصعب أو يستحيل إرسال العمال إلى أعماقها لاستخراج الفحم .. فبعد إرسال الجراثيم إلى تلك الحقول الباطنية العميقة ، فإنها كفيلة بتحويل الفحم فيها إلى غاز يمكن بعدئذٍ استخراجه بسهولة ليكون مصدراً غزيراً للطاقة .. ويجري حالياً تسخير البكتيريا لصنع مادة « الأنسولين » البشرية ، وهي العقار الخاص بمعالجة مرض السكر . والمعروف أن هذه المادة تستخرج من المواشي والحيوانات الأليفة .. ولهذا فهي تختلف قليلاً عن مادة الأنسولين البشري التي يفرزها

الجسم البشري ، وتبعاً لذلك فقد يتعرض المرضى لردود فعل عكسية .. وقد تمكن مؤخراً فريق من الباحثين في المركز الطبي القومي في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا الأمريكية من استغلال البكتيريا المسببة E. Coli في تركيب الأنسولين البشري في المختبر .. وهذا الفرع العلمي الجديد يطلق عليه العلماء اسم « الهندسة الجينية » . ويعتبر هذا الإنجاز الدراماتيكي ذو قيمة عظيمة بالنسبة لمائة مليون مريض في العالم يعانون من نقص الأنسولين .

وسيكون في مقدور العلماء في المستقبل أن يخضعوا البكتيريا ويسخروها لصنع الكثير من الهرمونات والعقاقير الأخرى من أجل مكافحة مختلف الأمراض .. وفي اعتقادي أن جملة وفيرة من الأدوية والمستحضرات الصيدلانية يمكن أن تقوم البكتيريا بصنعها لنا .

والأمراض الناتجة عن « الفيروسات » أصعب أنواع الأمراض علاجاً ، لعدم وجود مضادات حيوية فعالة للفيروسات في الوقت الراهن . ولقد سمعنا في مطلع هذا العام أن نوعاً معيناً من البكتيريا تم استخدامه لإنتاج مستحضر جديد مثير في دنيا العقاقير وهو « الإنترفيرون » (Interferon) ، وقد ثبت هذا العقار أنه وسيلة بالغة الأهمية في علاج الأمراض الفيروسية .. ولقد تردد في بعض الأوساط الطبية أن الإنترفيرون يمكن أن يكون ذا أهمية في مكافحة بعض أنواع السرطان .

البكتيريا المظلومة

إن البكتيريا معروفة على المستوى الشعبي بأنها « قرين » المرض والخطر ، وهذا رأي شامل فيه الكثير من التعنت والظلم للكثير من تلك المخلوقات الدقيقة الرقيقة الوداعة ، إذ إن الأنواع المسببة للأمراض قليلة جداً إذا ما قورنت بالأنواع المفيدة أو غير الضارة .. فكثير من أنواعها تتعايش مع الإنسان بسلام ، وكثير منها ضروري لحياة النبات ، وعلى سبيل المثال ، هناك بكتيريا معينة توجد في التربة ومهمتها تحويل المواد الميتة مثل أوراق النباتات إلى مواد عضوية هي « السدبال » تلك المادة الغنية بالمواد اللازمة للنباتات مثل الفترات ، وهناك بكتيريا أخرى لها القدرة على أخذ النيتروجين من الهواء الجوي وتحويله إلى سماد للتربة .. كما أن البكتيريا موجودة في أمعاء الإنسان نفسه لتغذى على الكائنات الدقيقة الموجودة فيها والتي قد تضر به .. وهناك نوع آخر في الأمعاء ينتج الفيتامينات مثل فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (ج) وفيتامين (ك) اللازم لتجلط الدم عند النزف .



★ مجموعة من أطباق بيري Petridishes كل واحد منها به مادة غذائية خاصة ينمو عليها نوع معين من البكتيريا... فالبكتيريا صاحبة «ذوق ومزاج» وبذلك يسهل مشاهدتها والتعرف عليها *

الهوامش

(١) بعض المؤرخين يشك في ذلك لأن عضد الدولة حكم بين عامي ٩٤٩ - ٩٨٣ م، بينما بني المستشفى المذكور عام ٩٨١ م (٣٧١ هـ)؛ في حين أن الرازي توفي عام (٣١٣ هـ) ٩٢٥ م، ولكن ربما يكون المستشفى العضدي قد أقيم في مكان مستشفى قديم اختار الرازي موقعه كما ذكر.

(٢) الإنترفيرون: مادة بروتينية تنتجها مجموعة كبيرة من خلايا الجسم عند الإصابة بالفيروس، من شأنها أن تمنع تكاثر الفيروس وتعد من الإصابة بالمرض.

وبجمل القول، إن الدور الذي تلعبه البكتيريا في دورة حياة الإنسان والحيوان والنبات هامة إلى أقصى درجات الأهمية.. وبدون هذه البكتيريا، فإن عالمنا لن يكون خالياً من النبات فقط، بل من الحيوانات أيضاً.. وببساطة متناهية، فإن الجنس البشري لن يكون له وجود على ظهر الأرض على الإطلاق.. فسبحان الله العظيم مدير هذا الكون الرحيم، وصدق المثل العامي القائل: «يضع الله سره في أضعف مخلوقاته»:

البحر ساحة .. وآفاق المستقبل المشرق ينتظرك بانضمامك إلى القوات البحرية



حامل الثانوية المهنية . حامل الكفاءة المتوسطة .
خريج مراكز التدريب المهني
حامل الثانوية المهنية والتجارية : يعين بعد التخرج من مركز التدريب البحري بدرجة
رتبة رقيب براتب مغربي ، بالإضافة إلى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .

حملة الكفاءة المتوسطة :
يدرس اللغة والتدريب العسكري وفنوناً بحرية لمدة ١٢ شهراً بمعهد الدراسات الفنية
البحرية بالدمام ، ويحصل أثناء الدراسة على مكافأة مع تأمين السكن والإعاشة والملا بس
العسكرية ، والعلاج المجاني طوال مدة الدراسة .
يتخرج برتبة وكيل رقيب ، ويحصل على راتب مغربي . بالإضافة إلى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .
بعد ذلك يدرس في مدارس التخصصات بقاعدة الملك عبد العزيز البحرية بالجبيل في
أحد التخصصات التالية لمدة سنة ونصف :

- ١- هندسة ميكانيكية
- ٢- هندسة كهربائية
- ٣- ملاحة / علم فلك
- ٤- إدارة وتموين

للمرجعة : رتبته : رتبة رقيب براتب مغربي ، بالإضافة إلى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر .

المنطقة الوسطى : قيادة القوات البحرية بالرياض - شارع المطار / قسم التجنيد /
المنطقة الشرقية : قسم التجنيد بالقوات البحرية بالدمام
المنطقة الغربية : مكتب التجنيد - قاعدة الملك فيصل البحرية - جنوب بترمين - جدة
المنطقة الجنوبية : منسوب القوات البحرية بمكتب تجنيد المنطقة الجنوبية
بخميس مشيط - بجوار المستشفى العسكري
بقية المناطق : أقرب قيادة عسكرية

خريج مركز التدريب المهني : يدرس في مركز التدريب البحري بدرجة ويعين برتبة
عريف في نفس تخصصه ويحصل على راتب مغربي . بالإضافة إلى علاوة بحرية لمن يعمل في البحر
القوات البحرية تؤمن للـ :
٥ العلاج المجاني . ٥ تأمين السكن للعائلي ضمن مشاريع وزارة الدفاع والطيران
٥ أجازة سنوية مع إرجاء لك ولعائلتك . ٥ تأمناً الفرصة للارتقاء مرة أخرى للتأخر بدرجة تأهيلية



إن المنة امرأة البرنزية التي تقيم وترقص منذ ثلاثة عشر عاماً في غبار مشغل (بون ليوزار) سوف تعرض في متحف القصر الكبير ، قبل أن تذهب لتضاف إلى مجموعة متحف الفن الحديث . والفضل يرجع لابن الفنان (كلود لورنز) في معرفة ذلك العطاء الذي سوف يكشف الحقيقة ويظهر أهمية فنان كان أحد النحاتين التكميين ، وفي نفس الوقت كان صاحب عمل كلاسيكي أضفى عليه إبداعات بكيفية موضوعية وعقلانية حتى وفاته عام ١٩٥٤ م . لقد طلبنا من جورج لمبور الذي كان يتصل باستمرار بـ (لورنز) بعد الحرب ، والذي أعماله تضارع أعمال الفنان من بعض الجوانب ، ليطلعنا على دور لورنز ومكانته في الفن المعاصر .

طاقة

لورنز

الحيوية

محاورة بين
جوان كلاي وجورج لمبور

ترجمة: د. عباس الصرّاف

(هنري مور) و (جان
أرب) .

ولكن ماذا نعرف
عنه ؟ إنه ولد عام ١٨٨٥ م ،
في عائلة عمالية . وبعد دراسته
في المدرسة العمومية ، اشتغل في
محترف للديكور ، وفي المساء كان
يتابع دروس الرسم . وفي عام

إنها الأفضل

● جان كلاي : إن

الشيء الذي يفاجئنا مباشرة عند
ذكر لورنز هو بقاءه مجهولاً إلى
تاريخ قريب على الرغم من
الأعمال الرصينة التي قام بها في
فترة التكعيب ، والتي تناوّلها
النقاد بالإطراء ففقرنوها بأعمال

★ امرأة تحمل القيثارة
عام ١٩٢١ م ★

١٩١١ م. ، الثالثة بسلسلة (براك) فتأثر به واستلهم التكعيب في أعماله ، فأنجبت بين عام ١٩١٥ - ١٩٢٥ م ، سلسلة زينتفلاتر بمجموعة تاليفات تعد من أبرز الأعمال في الفن الحديث ، ولكن من بعد ذلك لم يعرف أحد عنه شيئاً حتى وفاته .

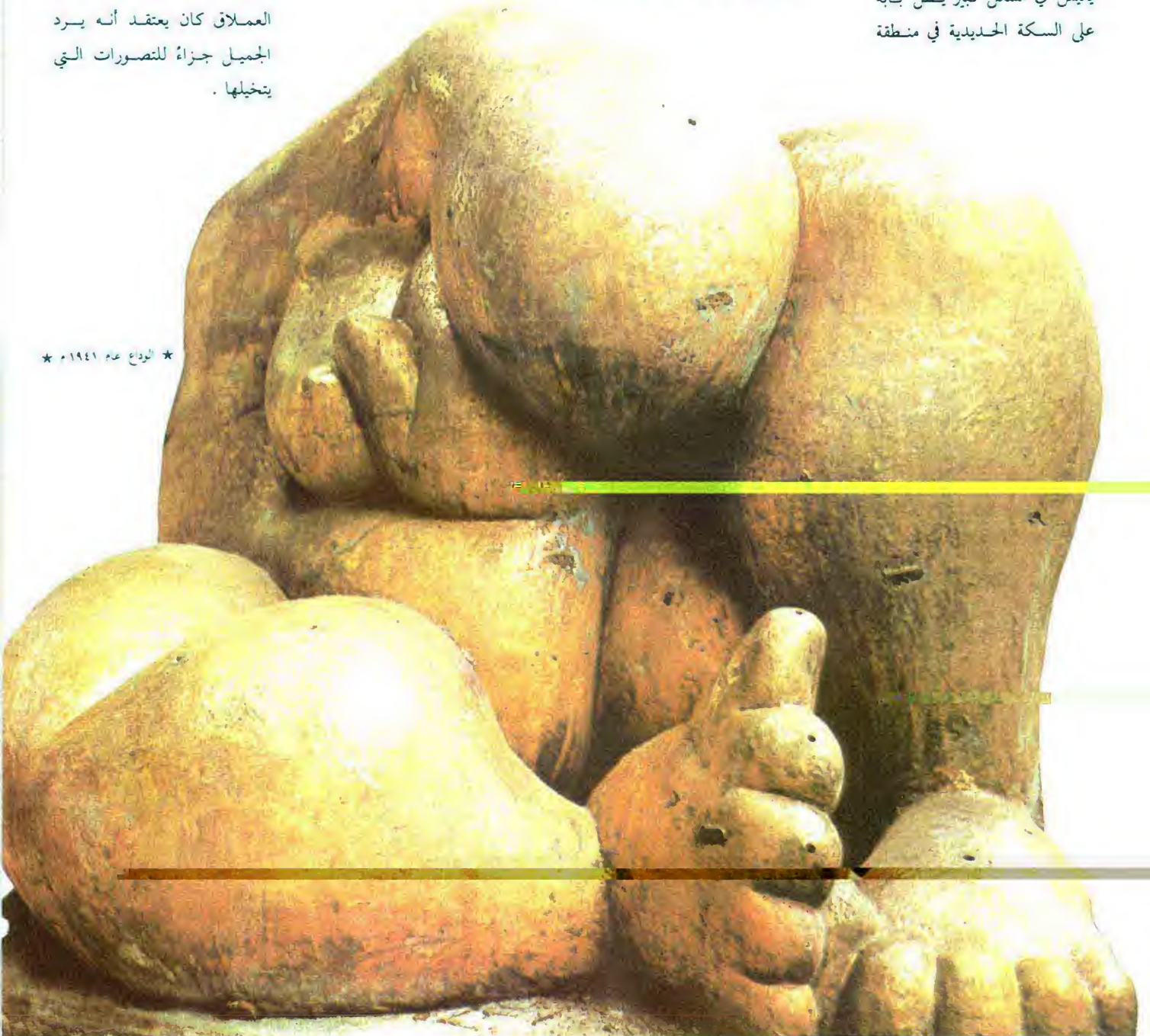
● جورج لمبور : صحيح إنه كان مجهولاً ، ولكن يبدو أن ذلك لم يؤثر عليه . كان بسيطاً يعيش في مشغل كبير يطل بابه على السكة الحديدية في منطقة

الخرنوب للصين . سيف محببة صغيرة مليئة بالزهور ، والبيت صغير ضائع وسط أشجار عملاقة ، كان مكاناً منعزلاً حيث تده الحياة سعيدة يكن لورنر من الذين يجرون وراء الشهرة والمجد ، فلا يحيط نفسه بنظريات ريفية اعد ، ولا بمشاكل إقادت وهموم زائفة ، ولا بطموحات غير متزنة ، فهو سعيد في إنجاز عمله فقط .
والشيء الذي كان يجلب

النظر هو ذروة النقاء وصفاء البراءة عند هذا الرجل ، فهو حين ينظر إلى نتاج بيكاسو كان يبرهن عن سروره قائلاً : « جميل جداً » . ولما كان يشق بأحد أعماله كان لا يتساءل عن القضايا الحسابية أو الميتافيزيقية ، بل يشعر بالنجاح فقط فيردد قائلاً : « بديع » . كان ذلك هو أسلوبه النقدي .
والشيء الذي كان يثير حماسه هو السيرك

والملاكمة ، فيقول عن ذلك : « رائع جداً » ، لأن آلاف الأشكال كانت تتبدل أمام عينيه من خلال النساء والأطفال والحيوانات ، حيث الحركة وحيث الحياة . فذهب مرات عديدة إلى السيرك ، وعند تغيير كل برنامج كان يقول : « هذا عرض جميل . . صريح . . مستقيم . . حتى إنه أسكن معه ملاكاً صار ينفق عليه ، وكلما يقدم الطعام لهذا الملاك العملاق كان يعتقد أنه يرد الجميل جزاءً للتصورات التي يتخيلها .

★ الوداع عام ١٩٤١ م ★



وتلك - كما هو ملاحظ - ملائمة جداً
الفهم حين يجعل قدماً صغيرة
جداً في نهاية ساق ضخمة ، فهو
يقول : كنت أستطيع وضع
الأشياء بالحجم المناسب
ولكن سوف يتحطم كل
شيء حين لا يكون ضمن
الحجم ، وسيختل
الاتزان ... يجب أن تحترم
موضوعية الشكل .

● جورج لمبور : لم يكن هناك "تملّط" حقيقى ، فبالعكس ، إن أعمال لورنز التي أنتجها من بعد كانت مطعمة بتجارب شبابه ، فهو حين جعل الاستدارة في أشكاله انخفض من حشده "السرؤايف" ومنحوتاته ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يحتفظ بروح التكعيبية لكي يملأ الفراغات ، ويوزع اللون بمرادلاته "توقعية" ، لئلا يفقد الثلاث التي يمكن أن تلاحظ نفسها من جميع الجهات في وقت واحد كما هو الحال في النحت البدائي .

والغريب أن هذه السعادة كلما كانت تسمو صعوداً ، كانت حياته الصحية تتدهور بسبب مرض رهيب . فقد كان **لورنز** طويل القامة ، قوي البنية ، له هيئة بطل بسحنة وجهه الأسمر جداً وعينيه الحادتين ، متفتح بعض الشيء ، غير أننا نشعر بأن هناك شيئاً ليس على ما يرام .

فهو من أولئك الذين
يملكون أجساماً ضخمة ولكنها
تشكو الـ ورم . نعم ، إنه كان
يعاني من سل العظام ،
فصعوبة بالغة يسحب قدمه التي
كانت تنقطع شيئاً فشيئاً ، حيث
عاش أعواماً وقدمه في الجبس ،
ومكث طويلاً لا يستطيع تحريك
يده ، فترك لزوجته الاعتناء
بجسده المـعذب . وعلى الرغم من
أنه عاش مغلفاً بالجبس ، فقد
كان يشعر من أعماقه بتجاويف
منحوتاته .

لقد أضفى على منحوتاته
الأنثوية كل الفرح الذي كان
متجماً في أطرافه .

وبینما کانت اوصال جسده
تقطع جزء بعد جزء ، کانت
منحوتاته تراقص وتباهی



بأجسامها، فغاية لورنز هم بأن
يضمن على نسائه المنحوتة ذلك
الفرح الذي كان يحس بتجمده
في أطرافه . إنه فرح عظيم وتوالد
دائم وحساس مشبع بقواعد الكون
الإيقاعية الكبيرة . فالشيء
البارز في منحوتاته هو
التضاد بين الكتلة والحركة
الداخلية الدينامية .

لم يلجأ لورنز إلى الرشاقة
والخفة لكي يظهر بها
منحوتاته ، بل على العكس فإنه
لم يجمع كلها العناصر المختلفة وذلك
الثقل الذي يشدها بالأرض ،
الشيء «المتجذّر» وليس له من
هائلة من الطبيعة ، ولكن في
نفس الوقت كان يعرف كيف
يجعل التلقي يشعر بنسغها الحي
الدينامي الخفي .

لمنحوتاته ملحق روح الرقص
وروح المادة ، مثلما كتب الناقد
(تيرياد) عام ١٩٢٧ م ، إذ
قال : «إن القوى الداخلية التي
هي العقدة البلاستيكية للعمل
عند لورنز تنبع من الأعماق إلى
السطح لكي تحركه وتنشطه ،
حتى أنها تحترقه وتنفذ داخله » .

● **جان كلاي :** ولكن
نشوة المادة عند لورنز من بعد ،
التي تذكرنا بـ (ماتيس) في
ملصقاته الكبيرة عام ١٩١٠ م ،
وكذلك بعض منحوتاته الأولية
من الفترة نفسها ، ألا نتعجب
ونندهش من تفتحها في وقت

خرج ؟ . بل يجتصده ليس هو من
عصرنا ؟

● جورج لمبور : بالطبع

إنه فنان لا زالت كلمة (جمال)
لها معنى عنده ، ذلك الشيء
المشكوك به في أيامنا . ومن
هذه الناحية إنه يرتبط
بالتقاليد النحتية
الفرنسية . ولكن عندما

نشاهد منحتو- (الشخص
القابع) التي أنجزها عام
١٩٤٠ م ، وهو في حالة صراع ،
فإن انطواء ذلك الشخص
وجلوسه القرفصاء هو نوع من
الانكماش الرقيق الذي يشعرا
بالتألم . فيظهر لنا أن النحات
كان يعيش مشاكل الجميع
بعمق ، ويظهر أن رد الفعل
للنحات أمام شقاء الناس

ومصائبهم كان نفس رد فعله
تجاه متاعبه الشخصية .

فثلما كان يفجر فرحته
نفسها في الأجساد المنحوتة التي
يعالجها ، كان يحاول أن يفتح
على الناس فكرة عيش آخر غير
الواقع الذي يعيشونه .

كتب الناقد (ميشيل
ليريس) عن منحوتاته بأنها
«صورة الشيء الذي يمكن أن
تتحقق فيه حياة حرة سعيدة في
عهد ذهبي جديد كان يتمنى
بحيئه » . وقال أيضاً : «إن لورنز
أعطانا الغذاء الأعلى ثناً بكيفية
بسيطة جداً ، مثل قليل من
الخبز والماء » .

إنه بدون شك هذا هو
الشيء الذي يجب أن نستنتجه
من أعماله : إنه درس في
التفاؤل الهادئ والقناعة ،
أراد أن يعطيه لعصرنا
القلق الممزق ، وللرؤى
الزائفة التي تنتابنا ،
وللفزع والخوف الذي كان
يشعر به النحات أكثر من
غيره في انهيار جسده . فكل
ذلك جابهه بعنايته الفائقة
بأفراح الحياة حتى نهاية حياته .
وقبل خمسة وعشرين عاماً ،
وفي أمتية من شهر أيار
(مايو) ، وبعد أن اشتغل
ساعات كثيرة وهو يرتب حروفاً
لتأليف مناشيات من أجل
معرض (أوستوند) خرج
للتجوال ، فسار في شارع
(أورليون) ف شعر بالآلام ولكنه
لم يرجع بعد . إنه ليس من
الرجال الذين يموتون على
فراشهم ، بل هناك في الشارع
وسط الجمهور الذي أحبه ، لقد
مات بدون شك مسروراً .



★ الموسيقى الكبير
عام ١٩٣٨ م ★



الزوجة الثانية

شعر: إبراهيم عيسى

وأحتضن أجب... حبي الكبير
ونلهو ونصرخ مثل الصغار
نمؤ... وترنو لأفراحنا
وأني لعنني الصغير الصغير
لأجلك هذا الكفاح المريع
لأجلك غيبت أشعاريه

★ ★ ★

تظلت... زودا لظنت وجهي
أنفسي نازك في مكتب
وأمني أرتب في منزلي
أقول: لعن مائة غدا
وباني الماء بأحلامي
فهيها مددت إلي العمى
ومهما حملت إلي الربيع
وألفيت بشعري في ناحية
ويضي مساؤك في نافية؟
ورؤحي رائحة عادية
ستحمل في زهرة لاهية
ويغمر كالليلة الماضي
وضوئي بالني الحالية
فشعرك في زوجة نانية

★ ★ ★

حنانك لا تُرقي في العتاب
وهبتك كل حنان الزمان
فجازيت قلبي بحرمانه
أنا... بامني النفس... رُوح نغي
أشور على السُّحُح مهما خنا
وأطرب للنور بعد الظلام
قصيدة أفرقه من دمي
ونجلي ملامتك العاتية
وغيت كالفرحة الشادية
وحرمانه نعمة قاسية
وتصلح نالية دالية
وأزحف للقيمة العالية
وأسكب للوثبة البانية...
وأخلقه فكرة واعية

لأجلك هذه هدت إياميه
لأجلك نمقت روض الخريف
وحملت عنك رياح الشقاء
وبأعنا سمعني... بداهة...
إذا عشق الناس سحر الربيع
وإن طاف حولي ظلام ضريع
وأنت ربيع الصبا في دمي
نيلنا كنه فيك... ك...
وجمعت أحلامي الباقية
وأطلعته زهرة حانية
وعصفت الحياة بأحلامي
وأدمت... القاسية
فأنت لي الزهر والراية
فأنت الضياء لأياميه
وأنت الحياة بصحرائيه
نيلنا كنه فيك... ك...

★ ★ ★

وباني هاري فأمضي إلى
فأحصي لغيري دنائره
وإن عصفت الشوق يا جني
وأمني إليك على ففة
كظير الخ عليه الخبير
وأشيط الخطو حتى حب
مطالب للعيش في ناحية
وكفني من مثلها حالية
أعد الدقية والثانية
فيحنو طريقي على ما به
فأب على خفة صادية
كأن أسير إلى خلفيه

★ ★ ★

وباني البيت...
بأنق بدقائه الصاخبات
تلاقيني بابتسام الورد
وأشتر أحلامي الراهيات
وصار فواذي إن بانيه
على باب جنينا الحانية
والقائم بالفرحة الراضيه
كما انتشر الزهر في راييه

لوحة • فناني

● اللوحة :

● امرأة جالسة ●

● في اللوحة (الموجودة حالياً بقاعة بيير ماثيس بنيويورك) يصور الفنان ميرو سيدة جالسة في حالة حزن بأسلوبه الفني الفريد المتميز، الذي ينتمي إلى المدرستين: السريالية والتجريدية.. نجعلنا نتساءل كيف يجمع الفنان بين الأسلوب السريالي المستمد مفرداته وعناصره من اللاشعور، وما يخترنه العقل الباطن دون سيطرة العقل الواعي، أي الذي يقوم على الخيال المطلق.. وبين الأسلوب التجريدي الذي يخضع لمنطق العقل، ويقوم على سلسلة من الاتزانات: (اتزان المساحات - الكتلة - الخطوط - الألوان).

وهل يستطيع فنان أن يجمع بين تلك الأضداد في لوحة، بل في أسلوب تتميز به جميع لوحاته؟.. من هنا تبرز قدرة الفنان وأصالته.

● موضوع اللوحة هو سيدة جالسة مرسومة بشكل غير واقعي، وبأسلوب رمزي مستمد من الخيال القائم على الوعي، بالرغم من تلك المعالجة في الشكل التي تبدو وكأنها رسم للأطفال. من شدة بساطتها وتسطيع مساحتها اللونية بل وتقاء الألوان الزاهية المستخدمة. ● السيدة في حالة حزن بل ربما تكون في حالة صراخ ويبدو ذلك من وضع يديها على وجهها (يدها اليمنى حمراء ذات كف أبيض) ويدها اليسرى بنفسجية ذات كف أحمر وأصابع بيضاء. أما الوجه فهو تلك المساحة شبه

الدائرية الخضراء التي تتوسطها مساحة حمراء مرسوم عليها العينان، والغم مساحة سوداء بها أسنان بيضاء.

● يظهر الفنان ميرو الحزن أو المأساة من خلال رمزية الألوان، فالألوان درامية لكنها تبدو لأول وهلة وكأنها تدل على البهجة.. فاللونين الأحمر والبنفسجي «الذراعتان» ألوان درامية تدل على المأساة، وكذا البقعة الحمراء المرسوم عليها العينان والغم تعطي الموضوع درامية أيضاً.. كما أن استخدام الفنان للون الأحمر في رسم العمود الفقري للمرأة، واستخدامه للون الأسود في الخلفية يرمزان إلى ذلك الحزن.. إضافة إلى ذلك رسم الفنان هلالاً بنفسجياً على أرضية حمراء في أعلى اللوحة.. أي أن

كل الألوان المستخدمة هنا دلالات رمزية تعطي الإحساس بالحزن والمأساة، وذلك بالرغم من بساطة الموضوع وهو امرأة جالسة إلا أنه يحمل بين طياته مضموناً عميقاً يجعلنا نتساءل عن أسباب حزن ومأساة السيدة.. أي يشير فينا الحوار والجدل.

● التكوين بنائي في مجال البعدين، يصور مشهداً داخلياً، يقوم على القاعدة التقليدية في المساحتين الأفقية (الصفراء) والرأسية (السوداء).. إلا أن الفنان كسر تلك القاعدة، وأظهر قدرته وجرائته وبراعته في استخدام المساحة الكبيرة السوداء فاللون الأسود يعطي الإحساس بالثقل، واستخدمه في الجزء العلوي من اللوحة. (المساحة الرأسية)، بينما استخدم اللون الأصفر (الدرجة الفاتحة) في

● جون ميرو ●

● ولد الفنان جون ميرو بإقليم كتالونيا بجنوب إسبانيا عام ١٨٩٣ م. ● بدأ دراسته الفنية في أكاديمية الفنون ببرشلونة عام ١٩٠٧ م.

● أقام أول معرض لأعماله الفنية في عام ١٩١٨ م. ● في عام ١٩١٩ م. انتقل إلى باريس نظراً لازدهار المدرسة التكعيبية بها، حيث نالت تلك المدرسة إعجابه في ذلك الوقت.

● ارتبط الفنان ميرو بالحركة السريالية التي بدأت تنشط في باريس منذ عام ١٩٢٤ م.. وقد اشترك مع السرياليين في أول معرض أقيم لتلك الجماعة عام ١٩٢٥ م...

المساحة الأفقية أسفل اللوحة ،
أي عكس قاعدة الاتزان من
حيث درجات الألوان .
وحقق الاتزان في اللوحة
عن طريق مقدرته الفائقة في
توزيع المساحات المختلفة
والألوان . . فتكرار اللون الأصفر
في الأرضية وصدر المرأة ، هو
بشابة توزيع للون ، واتزان في
المساحات في نفس الوقت (بين
المساحتين الأفقية والرأسية) . .
أما اللون الأحمر فاستخدمه على
شكل شريط متقطع يحرك عين
المتلقي من أسفل اللوحة إلى
أعلى والعكس .

● حقق الفنان عنصر
الإيقاع والتغم في اللوحة بتنوع
المساحات ، وتآلف وانسجام
الألوان المتضادة ، فظهرت
اللوحة وكأنها مقطوعة موسيقية
من الألوان .

وكانت لوحاته متميزة ومبتكرة
ولا تحاكي الواقع . . أي
لا تماثله ، وأقرب إلى
التجريد . . وتتميز بأن لها لغة
رمزية ، ومن أهم لوحاته التي
تعبر عن أسلوبه في تلك الفترة ،

لوحة الأمومة التي رسمها عام
١٩٢٤ م .

● تتميز لوحاته بالابتكار
في التكوين ، واحتوائها على
موضوعات ذات مضامين مستمدة
من أشكال يوحى بها الخيال أو

العقل الباطن . . وعلى ألوان
نقية واضحة . . كما أن تكويناته
سيرالية تميل إلى التجريد ، ومن
أهم لوحاته التي تصور ذلك
الأسلوب لوحة « كارنفال
هارليكان » التي رسمها في الفترة

(١٩٢٤ - ١٩٢٥ م) .

● في عام ١٩٤٧ م ، ذهب
ميرو إلى أميركا لمتابعة حركة
الفن الحديث بها .





سيكو
تقدم

مجموعة ساعات سيكو "الأسد"

مجموعة سيكو الأسد الجديدة الحديثة جداً
مصممة بعناية فائقة وفريدة تجمع بين
التكنولوجيا الأكثر تطوراً وأساس
سيكو الهندسي - سيكو كوارتز



جده - الرياض - الدمام
مكة - المدينة المنورة - أبها :



الوكيل العام



SEIKO

الأقنعة

شعر: أحمد مرتضى عبده

مَنْ تَرَاهُ الآنَ يَهْوَى مَصْرَعَهُ
والأمانى في الخنايا مُودَعَهُ
ذلك الليل.. أم الصبح الذي
فيه تخبو الأمسيات الموجعة
أنا... يا ويلي إن كنته
فالنايا حول قلبي.. مُسرَّعَهُ..؟!

عشتُ أبحثُ عن مكانٍ للسرى
غير أن العيش يحسو أذمَّعَهُ
والطريق الوهم والوهم المدى
والمكان الحزن.. والموت مَعَهُ
رؤى.. "الليلى"، العناء هـ "الليلى"،
سوف يهوى في زمانٍ الأفتَعَهُ
فالوزى سرب تخادعهُ المنى
والمنى سرب تخادعها الدَعَهُ
والذي إن فاضت الشكوى به
يستريح إلى خنوع المعمَعَهُ

يا لقلبي كلِّها أودت به
أمنيات.. راح يسأل ضائِعَهُ
والخطى في نهبها راحت سُدى
واستراحت في الأمانى الجائِعَهُ
مَنْ تَرَاهُ الآنَ يَهْوَى مَصْرَعَهُ
والحكايا في الخنايا مُودَعَهُ

للعيون الضائعات المهمله
رحتْ أهذي بالأغاني الرائعَه
رحتْ أشكو كلَّ خوفاً للدجى
والدجى يُطوي.. ويُطوي مسمَعَهُ
ثم رحّت - كأي طفل - للسما
شاكياً نجمي بأرض ساطعَه
أهمُّ لُدت مع "السكين" بريدِج
وانتظرت - مع العجائز - فاجعَهُ..!

إنَّه زمنٌ يضاجع زيفه
إنَّه موتٌ الحياة المُسرَّعَهُ
ليس فيه سوى الخطايا المُفرَّعَهُ
يا زماناً قد كفانا ماضى
بامكاناً لابتداء الواقعة
يا زماناً قد رمانا للردى
مَنْ تَرَاهُ الآنَ يَهْوَى مَصْرَعَهُ
يا زماناً الأفتَعَهُ..
يا زمان الأفتَعَهُ..!!





مكتبة السيرة

بقلم: يوسف الشاروني

في الجن فعل السيف الحديدي في
البشر، أو يحمل نيمة تجعله
يقاوم السحر ويبطل مكائد
السحرة .

غير أن الفرق الأساسي
بين الملاحم والسير الشعبية
هو أن أبطال الملاحم قد يقفون
أحياناً أمام إرادة الآلهة ويدخلون
في معارك معها أحياناً، أما بطل
السيرة الشعبية فلا يقف إطلاقاً
أمام الإرادة الإلهية . وهذا شيء
يتفق وطبيعة معتقداتهم الجاهلية
في وجود آلهة وأن هذه الآلهة فيها
كثير من صفات البشر في حبها
وشهواتها وتحيزها وغضبها من
ناحية ، وطبيعة الديانة
الإسلامية التي صيغت في
ظلها سيرنا الشعبية والتي
يؤمن مؤلفوها وجهاور
متلقينها على السواء بالله
الواحد الأحد المنزه عن
صفات البشر والذي بيده
مصائر البشر بل الكون



بعضهم . فالآلهة أثينا تنتصر
لأوديسيوس ضد بوسيدون إله
البحر . وبالمثل نجد بطلاً مثل
عنتره بن شداد - كما يصرح
مؤلف سيرته - مؤيداً بقوة خارقة
خفية تجعله لا يتعب من كثرة
الصدام ، بل إنه يزداد قدرة على
الحرب كلما طال به الوقت في
حومة الميدان^(١) .
وكثيراً ما نجد بطل السيرة
الشعبية يحمل سيفاً مطلقاً يفعل

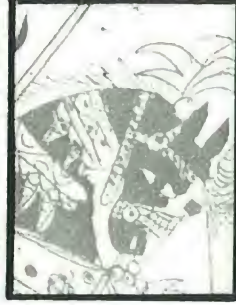
الخير^(٢) .

ومن ناحية أخرى فإن ظهور
المؤلف في أكثر من مكان ظهوراً
سافراً أو مستتراً في أكثر من سيرة
شعبية - كما في سيرة عنتره -
إلى جوار الاعتماد على الأحداث
التاريخية الثابتة مثل حرب
البسوس في سيرة الزير
سالم ، والحروب الصليبية في
سيرة الظاهر بيبرس ، كما .
ذلك ينفي عن السيرة صفة
الأسطورة ، لا سيما إذا تذكرنا أن
هذه السير لم تكتب والعرب ما
يزالون يعيشون حياتهم البدائية
وإنما بعد أن كانت الحضارة
العربية قد نمت ووصلت إلى
ذروتها .

كذلك يتفق أبطال السير
الشعبية في أدبنا العربي مع أبطال
الملاحم الإغريقية في مساندة
القوى الغيبية لكل منهم ، ففي
الإلياذة ، مثلاً ، نجد أن الآلهة
تتدخل لنصرة الأبطال على

الملاحم والسير الشعبية

*** كما أن في
التراجيديات الإغريقية بقايا
الأساطير الإغريقية ،
فكذلك في السير الشعبية
بقايا الأساطير العربية ،
فعظم أبطال السير الشعبية
يتحركون في عالم يطل أحد
وجهيه على أرض الواقع ،
ولكن وجهه الآخر مرتبط
على عالم مليء بالجن ،
وتحول الناس إلى حيوان
والعكس وتجاوز المكان
والزمان ... إلخ . ولكن
السحر الذي نلتقي به في
بعض السير لا يخرج في
الحقيقة عن كونه عنصراً
يعتمد عليه المؤلف للإثارة
وليس - كما في الأسطورة -
سبباً غيبياً للأحداث ، وإنما
هو مظهر من مظاهر
القوى الخفية التي يصرعها
البطل في سبيل إقرار



سيرة الشعب

نفرق بين السيرة الشعبية والسيرة في الأدب الحديث . فالسيرة المعاصرة فيها شيء من التاريخ وشيء من الأدب ، هي تاريخ لأنها تعتمد على وقائع تاريخية محددة ، وهي أدب لأن كاتب السيرة يضفي عليها من ذاته بحيث يقدم من مجموع هذه الوقائع رؤيته لصاحب تلك السيرة . لقد هضم كثيراً من الوثائق الخاصة بحياة إنسان آخر ، وهذا هو الجانب التاريخي في السيرة ، ولكن الكتاب الذي سيخرجه يجسد رؤياه هو وتنظيمه هو ، وهذا هو الجانب الأدبي في السيرة .

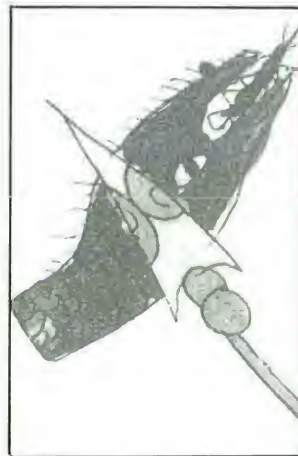
إن كاتب السيرة المعاصرة الموهوب لا يكون ما يقدمه من السير إلا محاولة للوصول إلى جوهر الإنسان من خلال ما يتصل به من ركام الأيام والسنين ، وهو يستخدم خياله في الجمع بين وقائع الحياة وتشكيلها

التقارب بين الملحمة والسيرة . إلا أن باقي السير تختلف فيها هذه الظاهرة حيث إن معظمها نثر ولا يكاد الشعر يدخل فيها إلا عند احتدام الموقف كما في حالي الحرب والحب . كما أن العمل الفني ليس شكلاً فقط بل شكلاً ومضموناً ، وقد وجدنا أن مضمون الملحمة يختلف عن مضمون السير . فموضوعية مثل شخصية عنترة تقترب في مرحلة من البطل الأسطوري ، وفي مرحلة أخرى من البطل الملحمي ، كما أنه يشابه في مراحل أخرى البطل التراجيدي . لكنه في آخر الأمر جماع هذا كله مما لا يمكن أن نطلق عليه سوى تسمية واحدة هي « بطل السيرة »^(١) .

السيرة الشعبية والسيرة في الأدب الحديث

★★ وعلينا كذلك أن

وأولياء الله ، لأنهم يتحركون في دائرة محدودة تقع ضمن دائرة أوسع تتحكم فيها إرادة أعلى . فلا يكفي إذن مجرد ظهور القوى غير البشرية لمساعدة أبطال السيرة حتى نضمها إلى حظيرة الملحمة . أما من ناحية الشكل فواضح أن الملحمة عمل شعري يعتمد على الإنشاد ، ولعل ما وجدته بعض الدارسين لأدبنا الشعبي من اعتماد كبير على الشاعر المنشد في الرواية كما في تغريبة بني هلال ما يؤيد



كله . حتى تلك السير التي استمدت عناصرها من وقائع تاريخية حدثت في العصر الجاهلي — مثل سيرة عنترة والوزير سالم — فإنها لا تحمل المضمون الجاهلي للآفة كالكالات والعزى ومناة وهبل ، إنما تسيطر على توجيه أحداثها الله الذي لا يمكن تجسيده — على عكس ما يحدث في الملاحم الإغريقية بالنسبة للآفة — بل يمكن فقط رؤية مظاهر إرادته . فالبطل مناصر إن شاءت هذه الإرادة ، مهزوم إن تخلت عنه^(٢) .

ثم إن كل شيء مقدر بما حدده الله من قبل ، وهذا فإن بطل السيرة لا يمكن أن يكون في قدرة البطل الملحمي حتى في سيرة سيف بن ذي يزن أو سيرة الظاهر بيبرس التي استعان فيها أبطال السيرتين بشخصيات خارقة القدرة كالجن



مكانة السيرة الشعبية

الأحداث .

ولما كانت السير الشعبية تمتد جذورها إلى أصول أسطورية ، كما سبق أن ذكرنا ، فإننا نجد فيها - بخلاف السير المعاصرة - شخصيات تتجاوز قوتها القوى البشرية بحيث تقدم صورة الإنسان الأعلى الذي قد يكون تعبيراً عن حلم الجمهور المتلقي - وربما حلم مؤلف السيرة أيضاً - لكنه لا يتحقق في التاريخ ، فتسم تصرفاته بالمبالغة والإفراط في الخيال . وقد يتجاوز المؤلف ذلك إلى رسم شخصيات لا تمت إلى البشرية بصلة كأصحاب الخوارق في سيرة الظاهر بيبرس وملوك الجان أصحاب القدرة على الحركة والتشكل في سيرة سيف بن ذي يزن ، ثم الكهان أصحاب السحر والغيلان كما في سيرة عنتر^(١) .

فالسيرة إذن ليست أسطورة وإن كانت لها أصول أسطورية ، وليست ملحمة ، وإن كانت في أدبنا تقابل الملحمة

بحيث يجعل منها كلاً له دلالة ، والدلالة هنا هي العلة الفاعلة والعلة الغائية إذا أردنا استخدام لغة أرسطو ، أي أنها هي التي تدفع الكاتب إلى كتابة هذه السيرة دون غيرها ، وتجعل للسيرة - في النهاية - معنى يبرز هذا الاختيار . وهذا قيل إن كاتب السيرة مطالب بأن يعتمد إلى المعادن الرخيصة - وهي الحقائق المتناثرة - فيحولها إلى ذهب ، وهو الشخصية الإنسانية^(٢) .

وسيرنا الشعبية لا تبتعد كثيراً عن المفهوم لأنها تجمع بين التاريخ والأدب . وهذه هي نقطة الالتقاء بين السيرة الشعبية والسيرة المعاصرة ، غير أنها بعد ذلك تختلفان . فالسير الشعبية لا تكتفي بالأحداث التاريخية كأساس للحديث عن صاحب السيرة وقومه ، بل هي تتجاوز الحقائق التاريخية إلى خلق المواقف والأحداث ، وتخيل مجالات الحركة لصاحب السيرة ودفعه فيها ليؤثر التأثير المطلوب الذي قد لا تنتجه الأحداث التاريخية . . . كما أنه قد يدخل من الشخصيات ما لم يعرفه التاريخ ، ويجعل لها من الأدوار ذات الأهمية ما يؤثر في سير

في الأدب الأوروبي ، وليست تراجيديا لأن البيئة العقائدية التي نشأت فيها التراجيديا الإغريقية تختلف عن العقيدة الإسلامية التي نشأت في أحضانها سيرنا الشعبية ، وهي قد تلتقي مع السيرة المعاصرة في جوانب لكنها تختلف عنها في جوانب أخرى .

ويرى مؤلفنا كتاب « فن كتابة السيرة الشعبية » أن السيرة الشعبية أقرب ما تكون إلى الرواية التاريخية من حيث الأداة وهي النثر ، ومن حيث الشكل وهو النص ، ومن حيث المضمون وهو الصراع .

ولما كانت السير أسبق في الظهور من الرواية ، فإنها تعتبر أصلاً للرواية في شتى صورها وشتى أنواعها بحيث يمكن تسميتها الرواية الأم أو الرواية السيرة^(٣) . وبهذا الاعتبار يمكن لنا أن ندرج سيرنا الشعبية عندما نتحدث عن القصة في تراثنا العربي .

السيرة الشعبية والرواية

★★ ونحب أخيراً أن نفرق بين السيرة الشعبية والرواية ، ولعلها فروق نابعة من أن السيرة

نشأت في عصر كان الأدب الشفاهي فيه هو أدب الجماهير العريضة ، بينما الرواية المعاصرة نشأت مع نشأة المطبعة . ولا شك أن وسيلة النقل لها دورها الكبير في مضمون الأدب وشكله على السواء . وعلى هذا الأساس يمكن إجمال أوجه الخلاف بين السيرة الشعبية والرواية فيما يلي :

● أولاً : تتسلسل الحوادث في السير الشعبية مرتبة ترتيباً زمنياً ، إلا حين يكون لدى المؤلف أكثر من خيط ولا يستطيع إن يتبع إلا خيطاً واحداً في وقت واحد ، فينبه القارئ إلى أنه سيرجى الكلام عن شخص أو واقعة حتى ينتهي مما يرويه .

وحالة أخرى يخالف فيها مؤلف السيرة الشعبية التسلسل الزمني للحوادث حين يخفي أمراً عن القارئ ليفاجئه به فيما بعد ، على نحو ما رأينا من مؤلف عنتر حين أرجأ الكلام عن نسب زبيبة أم عنتر ، أو كان ينقد البطل شخصاً أو يقاتله حتى يكاد يهزمه ثم يتضح أنه ليس إلا ابنه أو أبوه أو أمه . أما الرواية الحديثة فإن تسلسل الأحداث زمنياً فيها ليس شرطاً من شروطها كما هو

معروف .

● ثانياً : للسيرة الشعبية سحرها الخاص بما تضطرم به من قوى غير إنسانية كالجن والسحر وتجاوز المكان والزمان بل حتى ما هو في حدود القوى الإنسانية ، ولها عبقها الخاص كعقب العطارين في أحيائهم مثل القوى الإنسانية الخارقة التي تصرع المئات والألوف والتنكر واستخدام البنج لتخدير الأعداء وضد البنج لإبطال تأثيره واستخدام النفط الذي يقشع ظلام الليل . ولعل أدب الخيال العلمي هو البديل المعاصر لهذا الجو الساحر الذي كانت تعقب به سيرنا الشعبية . أما فيما عدا ذلك فإن أبطال الروايات المعاصرة لا يستعينون بشيء من ذلك .

● ثالثاً : تتميز معظم السير الشعبية - كما يتميز القصص الشعبي بوجه عام - بعدم الدقة في تسلسل الأحداث التاريخية التي يستند عليها القاص الشعبي . وقد يرجع هذا إلى نظرية التراكم الملحمي ، فقصّة الزير سالم يفترض أن أحداثها تنتهي قبل الهجرة بخمسة أجيال ، ومع ذلك تقع فيها

حروب مع الصليبيين ، وقد تكون عن رغبة المؤلف في الجمع بين شخصيات تاريخية لها شهرتها عند العامة وإن لم تكن قد تعايشت في زمن واحد على نحو ما نجد في سيرة علي الزبيق ابن حسن رأس الغول التي تقع أحداثها عندما كان أحمد ابن طولون يحكم مصر وهارون الرشيد على رأس الخلافة في بغداد ، بينما التاريخ يقول إن بين نهاية حكم هارون الرشيد وبداية حكم ابن طولون ستين عاماً . كما كان علي الزبيق يتردد في طفولته على الأزهر الذي أنشئ أيام الفاطميين بعد حكم ابن طولون بسنوات .

● رابعاً : تحتل الصدفة حيزاً لا بأس به في تحديد مسار الأحداث في السير الشعبية . والصدفة في العمل الفني معناها عدم وجود التبرير أو عدم التمهيد لما سيقع . ذلك أن الراوي والمستمع القديم كان مهماً الإجابة على السؤال : وماذا بعد ؟ أكثر من الإجابة على السؤال : وكيف حدث هذا ؟ بينما تضل الصدفة وأحياناً تنعدم في السير المعاصرة والرواية على حد سواء . وإن

وجدت في إحداها فإن بعض النقاد يرونه دليلاً على ضعف فني .

● خامساً : في السير الشعبية نجد تحيز المؤلف الواضح لبطله وسخطه على أعداء بطله ، فهو لا يعرف الحياء الذي أصبح من شروط الرواية الحديثة . لهذا نجد مؤلف السيرة يتدخل أحياناً مناصراً شخصية على أخرى ، وأحياناً أخرى للتنبيه والشرح .

فلذا رجعنا لنص علي الزبيق كمثال ، نجد أن مؤلف النص القديم معجباً ببطله علي الزبيق كارهاً لعدوته دليلاً مختالاً حتى ليصفها بأنها « كالحة الوجه قبيحة » وهو ليس تعبيراً عن وجهة نظر أعدائها فيها بل عن وجهة نظر المؤلف مباشرة . . حتى نراه يقول عنها في موضع آخر : « فانظر أيها القارئ فعل بنت الأوغاد » . ويصف زواج الزبيق بزَيْنَب بقوله : « وفي اليوم الحادي والستين كتبوا كتاب علي الزبيق شاطر الشطار ، على سيده الأحرار ، ذات الخد الوضاح ، وغرة الصباح ، من فاقت البدر حسناً وكمالاً ، والغصن قدأ

واعتدالا ، زينب ابنة دليلة ، محابها الله من تلك القبيلة »^(٨) .

كذلك يتدخل المؤلف من حين لآخر بالشرح والتعليق فيقول : « ولنرجع الآن إلى سياق الكلام » أو « سوف يأتي لذلك حديث » و « قال له علي قم الآن واذهب ، فانصرف ذلك الرجل عنه ، وسوف تنظر أيها القارئ ماذا يبدي (يقصد يبدو) منه ... إلخ » . والرواية المعاصرة تعتبر هذه العبارات عيباً في سمات الرواية في مرحلتها البدائية .

● سادساً : الحوار الموجود في السير الشعبية لا يبرز معالم الشخصيات إلا في حالات نادرة . . كأن تكون الشخصية غير عربية فترد ألفاظ على لسانها يحاول بها المؤلف أن يصنع الطابع الأجنبي عليها ، وقد يغلب الشعر في بعض السير مثل الهلالية ، وهنا نجد أنه حتى الشخصيات غير العربية تعبر عن نفسها بالشعر العربي . والنثر في سيرنا الشعبية مسجوع غالباً حتى يسهل حفظه وروايته شفاهياً ، تغلب عليه العامية . وقد تخلصت السير والروايات



مكانة السيرة الشعبية

الحديثة من هذه الأساليب جميعها .

● سابعا : تضج السيرة الشعبية بالحركة المستمرة ، لا تكاد تنتهي واقعة إلا لتبدأ أخرى ، ولا تنتقل من مكان إلا لتبدأ الأحداث في مكان آخر . فلا مجال للتأمل في النفس أو الكون ولهذا يكاد ينعدم التأمل الذاتي للبطل . وهذا منطقي مع عمل فني كانت وسيلة توصيله الأولى إلى جمهور متلقيه هي الرواية الشفاهية التي لا تجذب أذان مستمعيها إلا الأحداث المتتابعة . أما الرواية الحديثة فكثيراً ما تتمهل الحركة الخارجية فيها لتفسح المجال - من حين لآخر - لحركة داخلية تعكس اهتزازات النفس الإنسانية وتموجاتها . وهذا أيضاً منطقي مع عمل فني وسيلة توصيله هي المطبعة التي تتيح للمتلقى إعادة قراءة النص مما يسمح بالتأمل في الحركة وعدم الالتزام بتتابع الأحداث تنابهاً سريعاً .

● ثامناً : ونتيجة لذلك .. فإن معظم شخصيات السير الشعبية جامدة لا تتطور ، فهي إما خيرة أو شريرة من أول السيرة حتى نهايتها . حتى السن لا يتقدم

بها . ونهاياتهم قد ترد فجأة في جملة قصيرة فيقال مثلاً « إنه وقع في مرض قتال عجزت عنه الأطباء وكان به آخر حياته » دون تمهيد لشيوخه يعاني منها . وجود الشخصيات يسلبها أي خبرات ، فهي لا تحذر شراً جديداً بسبب شر مماثل وقعت فيه من قبل كأنها عديمة الذاكرة . فعلي الزيق يعفو دائماً عن أعدائه كلما وقعوا في قبضته لينصبوا له شركهم من جديد . ويبدو أن فقد الذاكرة كان

له سببه الفني ، فهو سبب تعدد القصص ، قصة بعد أخرى ، حتى إذا سرد المؤلف عدداً كافياً منها وضع حداً لها إما بقتل العدو أو بانضمامه تحت لواء البطل . ولو كانت ذاكرة أبطال السير الشعبية في مثل ذاكرة أبطال الروايات والسير المعاصرة لفقدت تلك السير خاصية من أهم خاصياتها وهي تعدد المواقف ، حتى لتبدو كأنها مجموعة قصيرة تنتظم خيطاً

واحداً هو سيرة البطل .

وليس تعدد المواقف هو النتيجة الواحدة لجمود الشخصيات ، بل هناك نتيجة أخرى هي أن العلاقة بين الشخصيات لا تعرف إلا إحدى عاطفتين : الكره أو الحب ، ولا وسط بينهما . والآخرين إما أعداء أو أصدقاء ، ويمكن للعدو أن يتحول إلى صديق ، ولكن ذلك لا يحتاج إلى فترة تردد فالتحول يتم من الأسود إلى الأبيض أو العكس . فلا وقت للتأرجح بين الحب

والكره أو الإقدام والإحجام .

ويتفاوت أبطال السير في هذه السمة فبينما نجدها في سيرة مثل سيرة علي الزيق في أوضح صورها نجدها تتضاءل في قصة الزير سالم حيث تقوم الحرب بين أولاد العم وقد تزوج كل منهم أخوات الآخر ولهذا فإن الصراع الدامي يبدو في هذه السيرة أظهر مما يبدو في أية سيرة أخرى بحيث أن القتل والندم على القتل يتجاوران في هذه القصة أكثر مما يتجاوران في قصة شعبية أخرى .



المواضع

- (٥) ليون دول ، فن السيرة الأدبية ، ترجمة صدقي حطاب ، القاهرة ، مؤسسة الخلي وشركاه ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧ .
(٦) انظر : فن كتابة السيرة الشعبية ، ص ٢٥ - ٣٩ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .
(٨) سيرة علي الزيق ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٠ م ، ص ٢٢٥ .

- (١) فاروق خورشيد وعمود ذهبي (فن كتابة السيرة الشعبية) القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٦١ م ، ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

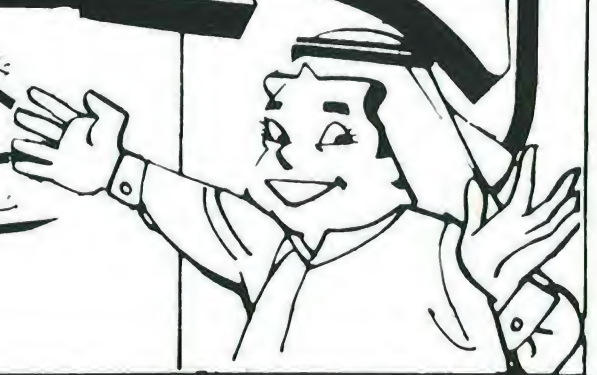
مكتبة تهامة أجديدة طريقك لمزيد من المعرفة

أخي القارئ: .. مكبد تهامة الجديدة سح لك فرصة الحصول على مختلف الكتب والمراجع العربية والأجنبية التي تناسب كافة المستويات ، وبحق جمع الرغبات ، منها الكتب العلمية ، والنتايف ، والبارخيد ، ومجموعه القواميس ، وتعليم اللغات ، بالإضافة الى كتب للاطفال ، الى جانب الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والسنوية ..
.. نفي أن يعرف أن مساحة المكبد ٧٥٠ متر مربع ..



مكتبة
تهامة

قم بزيارتنا



عنوان المكتبة

الرياض - خلف شارع الضباب - مجمع الشركة العقارية السعودية - ت ١٢٩٦٩ ٤

المملكة أروى

بسم:
د. عارف تامر

الربيع والخامس الهجريين . ولعبت دوراً بارزاً على مسرح الأحداث في العالم العربي . فكانت من أعظم الدول أثراً ، واحسبها ذكراً ، وأبمدها شأواً . وقد ليست اليمن على يديها حلل الجدل القشتية ، وانتظمت في وحدة جامعة ترفرف عليها أعلام العدل والأمن وخاصة في عهد أروى الصليحي ، فهي التي حكمت اليمن بجميع أجزائها ، وكان حكمها طرازاً جديداً بأسلوبه وتدابيره .

اليمن في القرنين الرابع والخامس

يخرجون عن أمره ، ولا يعصون قوله . ووصفه الشاعر والمؤرخ « عمارة اليمن » بقوله : كان من أهل حراز أربعون ألفاً يدينون له بالطاعة . . . والده هو القاضي : محمد الصليحي .

نشأ علي نشأة طيبة في بيئة عربية عريقة لها تقاليدها وسمعتها وشهرتها في مجال الأخلاق الفاضلة والعادات الطيبة السمحة ، وقد ظهرت عليه دلائل النجابة وعزة النفس والطموح منذ صغره . . . درس على والده العلوم والمعارف . وتشاء الظروف أن يلتقي بالداعي الفاطمي « سليمان بن عبد الله الزواحي » الذي كان يتردد على والده للمذاكرة بالعلوم والفقه والآداب ، فرأى فيه من الذكاء والنجابة ما جعله يقول له : إنك لا بد ستحكم اليمن . . . وبالفعل تعلق سليمان به وأطلعه على كل ما عنده من علوم الفلسفة ، وغرس فيه الآداب ومحبة الخير مما جعله عليه يتخذ معلماً ومرشداً ، أما سليمان فعهد إليه فيما بعد بشؤون الدعوة وجعله خليفته ، والقائم مقامه .

في تلك الأثناء عقد قرانه على ابنة عمه « شهاب » وكانت تسمى « أسماء » . ذكرها الأزدي بقوله : كانت أسماء من أعيان النساء وحرارهن ، تحضر المجالس ولا تستر وجهها من الناس ، وكان علي يشق بها ثقة عمياء ، ويوكل إليها تدبير أمور الدولة أثناء غيابه ، ومن الجدير بالذكر أنها كانت تظهر بالكرم والمحبة لكل الناس ، وتمنح الجوائز للشعراء ، وتبذل العطايا الواسعة في سبيل الخير .

بعد أن ارتبط علي الصليحي بالدولة الفاطمية القائمة في مصر ، ووثق علاقاته بالخليفة المستنصر بالله ، بدأ بتنظيم جيشه وإعداداته للحروب وإخضاع الأقاليم والإمارات ، وفي غضون مدة قليلة كان هذا الجيش - وأكثر أفراد وقواده من همدان وريام وحير - يزحف باتجاه المناطق التي وقع عليها الخيار ، فاستولى على حصن مسار وجعله قاعدة لدولته ثم استولى على حراز وفيها أعلن قيام دولته ، وهنا - ولخطة سياسية ذات أبعاد - أعلن بدء المهانة مع أمراء اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة ، ولعل ذلك لفترة قصيرة يستعد فيها للحرب ، وينظم جيوشه على أكمل وجه ، وكانت في تلك الفترة تبرز أمامه عقبة كبيرة جعلته يواجهها أكبر اهتمام وهي : دولة النجاشيين الأحباش ، ولكنه أجل الزحف عليها

كانت اليمن في القرنين الرابع والخامس الهجريين في حالة من التدهور والانحلال والتفكك ، يأكل القوي الضعيف ، ويتحكم بالقلاع والحصون والأقاليم أمراء استولوا على الحكم بالقوة ، واستبدوا بالناس ، وعاثوا فساداً وظلماً ، وحولوا البلاد إلى إمارات متنازعة تحكمها العشائرية وتسيطر عليها الهمجية ، فكانت دولة بني زياد في زيبدة وتهامه ، وبعدها قامت الدولة النجاشية على أنقاضها سنة ٤١٢ هـ ، وكانت إمارة الجعافرة في ذي جبلة واب والعدي والمذبحرة وذو سفال ، وإمارة المعافرة في تعز وجبا وغيرها ، وكان حصن السمدان وما يتبعه لآل الكرندي ، أما عدن وأبين ولحج وحضرموت والشحر فكانوا لبني معن ، وحصن وصاب وما يتبعه لقوم من بكيل وحمدان .

من هنا نرى أن الوحدة السياسية لليمن كانت معدومة ، وهذه الإمارات المتفرقة المتنازعة كان يربطها ببغداد العباسية رباط إقامة الخطبة للخليفة ، وضرب السكة باسمه ، وإعلان الولاء له ظاهرياً وليس عملياً ، وما تجدر الإشارة إليه أنه منذ عام ٤٠٥ هـ حتى عام ٤٤٨ هـ ، عمّ الخراب صنعاء وغيرها من المدن الكبيرة ، واضمحلت اليمن وأخذ سكانها يلجأون إلى البلدان المجاورة هرباً من الحكم العشائري المستبد الذي طغى على كل مظاهر الحياة .

الأسرة الصليحية

في تلك الأحوال الخالكة المضطربة ، وفي هذا الجو المكفهر المشحون بالغيوم السوداء ، شاءت الأقدار أن تهبط لليمن رجلاً منقذاً ، وزعيماً مخلصاً ، امتلك من القدرات والإمكانات ما جعله موضع التقدير والاحترام والجدارة لدخول التاريخ .

إنه : « علي بن محمد الصليحي » ينتسب إلى قبيلة الأصلح العربية من بلاد حراز . وصفه ابن الجوزي في مرآة الزمان فقال : إنه شاب أشقر الشعر ، أزرق العينين ، أبيض الوجه ، ليس في اليمن من يماثله صورة . . . وكان حسن السيرة ، مطاعاً بين أهله وقومه ، لا

الصليبية

وصل إلى مسامحة خبر مقتل والده وأسر والدته أصيب بصدمة عنيفة كادت تفقده وعيه ، وتعرض الدولة إلى الانهيار ، لأن أعداء تاهبوا للانقضاض عليه ، كما أن الأقاليم ثارت من جديد للخروج عن حكمه ، ولكن المكرم قابل كل هذا برياسة جاش ، وأخذ يجمع حوله قوة من أنصاره وينظمها بحزم وشجاعة وصبر واضعاً نصب عينيه تخليص والدته من الأسر والقضاء — مهياً كلف الأمر — على سعيد الأحول ، فهذه الصورة القائمة ارتسمت في مخيلته وباتت تحز في نفسه وتقض مضجعه ، وهكذا انعكست في صدور أصحابه وجعلت نار الغيظ تأكل أكبادهم وتشحذ قرائحهم وتزجج نفوسهم . ولكن ما العمل ؟ وعوامل الاضطراب محقدة بدولته في الداخل والخارج ، والفتن والثورات منبعثة من كل جانب ، وقد رأى أخيراً أن عليه كبح جماح الخارجين عليه بادئ ذي بدء ، وتطهير البلاد من الفتن والثورات وإعادة الأمن إلى نصابه ، وبعد ذلك مناقشة الأحوال الحساب .

ولما ثبت المكرم أسس دولته في الداخل ، وقضى على الثائرين والخارجين ، ووطد الأمور في صنعاء وما حوفاً سار إلى زبيد . . . ويذكر تاريخ اليمن :

أنه خرج من قرية العمدة في عشرة آلاف رجل وفارس ، ثم وصل إلى تهامة من شرقي زبيد ومنها جاء إلى قرية التريسة فعبأ فيها جيشه وأقن ناحية زبيد ، وكان ذلك عام ٤٦٠ هـ ، وهناك التحم بجيش الأحباش وكان عدده ستة كراديس أي ثمانية عشر ألفاً . . . وقد قاتل الأحول في ذلك اليوم قتالاً عنيداً حتى انطوى عليهم الجناحان وسداً عليه المنافذ ، وهنا بدأ تراجعهم وهزيمتهم أمام الصليبيين ، وفي تلك اللحظات فر الأحول وكان قد أعد خيلاً مضمرة على الباب الغربي المعروف بباب النخل ووصل مع من سلم من أصحابه إلى البحر حيث ركب سفن النجاة ، أما سبب التغاضي عن اللحاق به فيعود إلى أن المكرم انشغل بالوصول إلى والدته وكان أول من وقف أمام شباك البيت التي تقم فيه فقال لها وكان متكرراً :

أدام الله عزك يا مولانا . . . فقالت : مرحباً بوجوه العرب ، ثم سأله من تكون ؟ فقال : أنا أحمد بن علي بن محمد ، فقالت : هذا الاسم في العرب كثير ، فاحسر عن وجهك ، فرفع اللثام عن وجهه ، وهنا قالت : مرحباً بالمكرم . . . ثم إنه نزل عن ظهر جواده وعفر وجهه بالتراب . وأحرق الدار التي اعتصم فيها الأحباش ، ومما يجدر ذكره أن المكرم لم يجعل لأحد سبيل إلى نساء بني نجاش ، كما أطلق كل من وقع أسيراً من أولادهم ، وفي هذا ضرب من حسن السيرة ، والعفو عند المقدرة والتسامح مع المغلوبين .

بعد أن وطد المكرم شؤون الحكم والأمن في زبيد وتهامة ، عاد إلى

لبينا يقضي على فوضى الدويلات في داخل اليمن الأسفل ، وهكذا قصد بجيشه اليمن الأسفل ، واستولى على بلاد بني معن ، وأخضعهم ثم توجه بعد ذلك إلى تهامة وافتتحها مع حب والسحول والشوافي ، ومنها إلى عدن ثم بلاد بني معن وزبيد وقد طرد منها أولاد نجاش الأحباش الذين فروا إلى جزيرة دهلك في البحر الأحمر .

بعد هذه الفتوحات سار في الناس بالعفو والصفح وسط السوية العدل ، ولأدت العرب ورضخت إلى نفوذه وسلطانه ، ولم يأت عام ٤٥٤ هـ ، حتى كانت أكثر أقطار اليمن . . . قلاعها وحصونها . . . مدنها وسهوها وجبالها . . . قد توحدت في ظل حكم عادل يقوم على أسس من الحق والعدالة .

النهاية الأخيرة

بعد هذا الاستقرار كان لا بد لعلي الصليحي من أن يسند ولاية العهد إلى ولده «المكرم» . وفي ذات يوم عهد إليه بالنيابة عنه ثم غادر صنعاء إلى الديار المقدسة مع وفد من كرام الدولة والأمراء والنساء وكان ذلك سنة ٤٥٩ هـ ، ولكن نار الحقد والانتقام كانت تستقر في نفوس بني نجاش الأحباش ورئيسهم «سعيد الأحول» وكانوا يتحينون الفرص للابقاع بالصليحي وتقويض أركان دولته ، ولما علموا أن ليس مع علي أحد من رجال الحرب ، عبأوا قواتهم ، وفاجأوه في قرية «أم الدهيم» بينما كان في طريقه إلى الأراضي المقدسة كما ذكرنا ، فانقضوا عليه وقتلوه مع أخيه عبد الله ، وابنه الأصغر الموفق ومهناً وغنموا كل ما كان معهم ثم أسروا زوجته أسماء والنساء الصليحيات وساروا بهن إلى زبيد بعد أن علقوا رأس علي وأخيه عبد الله على رحلين ووضعوهما أمام هودج أسماء . إلى هنا تنتهي حياة هذا الرجل العظيم الذي وصفه التاريخ بأنه : كان يجزل العطاء للشعراء ، ويكرم أهل العلم والفضل ، ويتسامح مع أهل المذاهب الأخرى ويقر كل امرئ على ما كان عليه ، وكانت له نفس أبيه طموحة . . . وبالإضافة إلى كل ذلك كان عالماً وفقهياً متبصراً وخطيباً مفوهاً ، وهو على العموم يعتبر بالنسبة لتاريخ اليمن مؤسس دولة كبرى قامت على أسس من الأمن والعدالة .

الملك المكرم

ظهر المكرم على صفحات تاريخ اليمن بعد مقتل والده علي . . . وصفه التاريخ بأنه كان مثلاً أعلى بكرم الأخلاق والتسامح وعلو الهمة والشجاعة ، وقد تمرن على إدارة الملك عندما كان يرافق والده في حروبه وفتوحاته ، وعندما كان يعهد إليه بإدارة شؤون البلاد نيابة عنه ، وعندما

الذين استولوا على الدولة الفاطمية في مصر ، وهكذا عاد للدولة العباسية نفوذها وسيادتها على اليمن .

ومهما يكن من أمر فإن عهد الملكة أروى يعتبر من أرقى العهود بالنسبة لليمن ، فهي بعد سلسلة من الانتصارات والوقائع والفشحات ، وطُدت الاستقرار في مناطق اليمن القريبة والبعيدة حتى إن سلطتها وصلت إلى الحجاز فحكمتها وأخضعتها لسلطانها ، وبجمل القول إن لها تاريخاً طويلاً من الجهاد والنضال سبقي خالداً في نفوس اليمنيين والعرب مدى الدهر ، كما بقيت حتى يومنا هذا مآثرها وأعمالها الجليلة وكلها تنطق بعظمتها . . . أي إنها وحيدة زمانها والمرأة التي استطاعت حكم اليمن بعد بلقيس ، أو التي لا تغل عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزوه من انتصارات وبما قاموا به من فتوحات وأعمال مجيدة .

امراة سبقت عصرها

ماتت الملكة أروى سنة ٥٣٢ هـ ، ودفنت في مسجد ذي جبلة في الفناء الجنوبي .

هذا ، وإذا كانت الدول المتحضرة الناهضة في العصر الحاضر تعمل على تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل لاسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لأكبر عدد من السكان ورفع مستوى المعيشة بين أفراد الشعب ، فإن أروى لم تترك ناحية من هذه النواحي ولا فرصة تمر دون أن تقدم عنايتها وتبذل جهودها للوصول إلى تحقيق أهدافها ، فاهتمت بالزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات .

ويذكر تاريخ اليمن :

بأنها اهتمت بتربية المواشي وتوفير المراعي وتحسين النسل وتوفير اللحوم والألبان ، ومما يجب أن يذكر أنها أوقفت أراض واسعة في نواحي ذي جبلة ، فكانت تصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر وهذه الأوقاف لا تزال معروفة باسم أوقاف السيدة ، ثم إنها استعانت بالمستشارين الأكفيا ، فقد عرف أنها طلبت من مصر مستشارين استخدمتهم في مجالات عديدة ، وقد عرفت بأن التجارة مرفق هام من مرافق الاقتصاد وأنه لا بد للمواصلات وهي الدعامة الكبرى لتسهيل نقل الحاصلات والواردات ، وكان أن عبدت الطرق ، وأولت البناء والتعمير أهمية كبرى ، وأنشأت العديد من المدارس والمصحات .

وضربت أروى على أيدي الولاة المخالفين ، وعطفت على طبقة الفلاحين والمزارعين ورفعت عنهم روح التذمر .

إن الدولة الصليحية حكمت اليمن قرابة مئة عام ، ولكن أهمها الفترة التي اضطلعت خلالها بمسؤولية الحكم : الملكة أروى الصليحية التي أضافت إلى مملكتها البحرين والأحساء وعمان وبعض أجزاء من الهند والسند .

إنه عصر بعيد ، ولكنه جميل ، ففيه يتراءى الطموح والمغامرة والتطاحن والحروب .

صنعاء ومعه الملكة أسماء والحرائر الصليحيات ، فاستقر فيها فترة يوطد الاستقرار في جميع أجزاء اليمن ، إلى أن توفيت والدته عام ٤٦٧ هـ ، وكانت قبل وفاتها قد تزوجته بأروى ، وبعد زواجه نقل دار الملك إلى « ذي جبلة » أو مدينة النهرين ، ولكن لم يطل به الأمر فأصيب بمرض « الفالج » في قصره « دار العز » ولكن الأطباء نصحوه بالاحتجاب ، وهنا ترك ذي جبلة وصعد إلى حصن « التعكر » بعد أن فوض لزوجته شؤون إدارة الدولة ، وتوفي عام ٤٧٧ هـ .

أروى بنت أحمد

خاطبها اليمنيون بالملكة الحرة احتراماً وإجلالاً . ولدت عام ٤٤٠ هـ . . . والدها هو : أحمد بن محمد الصليحي ، وأمها « الرواح بنت الفارح بن موسى الصليحي » . قامت بتربيتها وتهذيبها أسماء زوجة علي الصليحي بعد وفاة والدها وزواج أمها ، فنشأتها تنشئة طيبة . . . وكانت موضع اهتمام الملك علي الصليحي ، فختبراً لف نكاحه يقول لأسماء : « أكرمها فهي والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر على من بقي منا » .

كانت على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة ، إلى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ، جهورية الصوت قارئة تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها ، وكان يقال لها « بلقيس الصغرى » وذلك لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها ، وكل هذا جعلها ناجحة وموفقة في إدارة شؤون بلادها في ظروف حرجية .

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسي في عهد زوجها الملك المكرم ، وفي هذا يقول عمارة اليمني في تاريخه :

لما توفيت أسماء والدة المكرم ، فوض الأمر لزوجته أروى فقامت بالأمر وحدها ، وحملت عبء المسؤولية الجسيمة ، وبعد وفاة المكرم كان من المفروض أن يتسلم شؤون الملك ابن عمه « الأمير سبأ بن أحمد الصليحي » لأن المكرم أوصى له بالملك بعده ، ولكن أروى رفضت ذلك ونصبت ولدها علي الصغير وقامت هي بتصرف الملك بالوكالة عنه ، ولم تحرم سبأ من حقوقه فأناطت به القيادة وإدارة شؤون الجيش وبذلك قضت على كل محاولة للخلاف أو لشق الصفوف ، وبعد أن قام سبأ بعدة انتصارات على الأعداء في مناطق عديدة طلب يد أروى للزواج فرفضت ، ولكن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أرسل إليها أمراً بالقبول وذلك حفاظاً على وحدة الصفوف ، ولكنها رفضت أيضاً — هناك بعض المصادر تقول إنها قبلت — ولكن هذا المصدر لم تؤيده التواريخ التي رجحت أكثرها بأنها لم تتزوجه .

ومهما يكن من أمر فإن الملكة أروى عندما انفردت بالحكم في آخر أيامها ، تآقت نفوس أمراء اليمن إلى الاستقلال والاحتفاظ بما تحت أيديهم من القلاع والحصون ، بالرغم مما بذلته من حكمة وجهود ودهاء ، وكان في نهاية المطاف ما لا بد منه ، فانتقلت السيادة في اليمن إلى الأيوبيين

النقطة

وأثرها في

التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة

التكنولوجيا في مفهومها الواسع ومصطلحها العلمي المتفق عليه في مؤتمر (فارنا) ،
هي مجموعة الأجهزة والمكانن والآلات والسلع المصنعة والخبرات والعلاقات التي تنجم عنها ،
أو هي في التعبير أدق وأعمق من المصنوعات المستخدمة كوسائل في أنشطة الإنسان
المتعددة التي تعكس رفعة الاجتماعية والتاريخية .

هذا التعبير والفهم لمصطلح تكنولوجيا نتطبع أن نقول إن العلاقة التي تربط الآلة بالظاهرة الاجتماعية
من علاقة ديمائية ، فيها شكل وثائق بلتالي فإن أي تطور تكنولوجي يجب أن يجمع يؤدي حتماً إلى تغير
في الظواهر الاجتماعية الشدة والعلاقات المتبادلة والمدمج وغير ذلك من إنتاج فكري للإنسان .



النفط وأشرفه في التراث

الشعبي
في دولة الإمارات العربية المتحدة



الإنسانية ، ولأن الحضارات جمع وتراكم وتلاقح فكان طبيعياً أن تتلاقح الحضارات القائمة في الخليج مع ما حولها من حضارات حين كانت الأساطيل التجارية لسكان الضفة الغربية من الخليج تمخر عباب البحار المعروفة حينها بما فيها المحيطين الهندي والهادي ، ناقلة التجارة بين أقاليمها .

الإمارات العربية المتحدة تقع على الخليج العربي الذي كان يعرف في العصور القديمة باسم البحر الأدنى (Lower Sea) أو البحر المر (Bitter Sea) وفقاً لإشارات النقوش المسبارية ، وكان الإنجليز يسمون الإمارات العربية بالإمارات المتصالحة أو (إمارات الساحل العماني المتصالحة) .

وسبب موقع الخليج الاستراتيجي ، تعرض منذ فجر التاريخ لهجمات عسكرية بقصد السيطرة عليه ، ومن ذلك قيام البرتغاليين بعد أفول الحكم العربي في إسبانيا (الأندلس) وقيام الكشوفات الجغرافية بتصعيد تحركاتهم في الخليج العربي بهدف الاستيلاء عليه ، وقد تمكن البرتغاليون في القرن السادس عشر الميلادي من السيطرة على مضيق هرمز ، وبعض سواحل المنطقة وظلوا يسيطرون عليها لقرن كامل من الزمان قبل أن يتكالب الهولنديون والبريطانيون على البرتغاليين في مطلع القرن السابع عشر ، مستغلين استياء العرب السكان الأصليين للمنطقة ، في محو نفوذ البرتغال والتهديد للسيطرة الإنجليزية على المنطقة .

كما برزت أهمية الخليج العربي أيضاً لدى دول الحلف الكبير والمانيا المحتلة على السواء أيام الحرب العالمية الثانية ، واستطاعت

المنطقة العربية على وجه العموم ، عرفت التطور التكنولوجي بمفهومه العصري منذ الثورة الصناعية في أوروبا ويمكن تمييز ثلاث مراحل مرت بها المنطقة العربية منذ ذلك الوقت حتى الآن على صعيد علاقتها بالتكنولوجيا :

●● المرحلة الأولى : التكنولوجيا التجارية .. وتعني : الاستفادة المنطقة العربية من السلع التجارية المصنعة في الغرب والمصدرة بكميات كبيرة إلى دول العالم الثالث ، وكانت المنطقة العربية آنذاك مجرد سوق لاستهلاك السلع الأوروبية المصنعة .

●● المرحلة الثانية : التكنولوجيا الاستخراجية ... وهي مرحلة لاحقة بدأت في أوائل هذا القرن مع الموجات الأولى من الباحثين والمكتشفين الذين مسحوا المنطقة العربية طبوغرافياً ، وبدأوا في استخراج المعادن من باطن الأرض ، وبلغت هذه المرحلة ذروتها مع اكتشاف النفط .

●● المرحلة الثالثة : التكنولوجيا التحويلية أو (المانيفاكشورية) وهي مرحلة الاستفادة من المواد الخام المستخرجة وتصنيعها أو تحويلها إلى سلع وبضائع من خلال مصانع حديثة انتشرت في المنطقة العربية وأثرت جذرياً على طبيعة العلاقات السائدة بين الناس .

مع أن التطور التكنولوجي في الغرب أثر تدريجياً وعلى مدى قرنين أو ثلاثة في طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة ، حيث اصطدم هذا التطور في مراحلها المختلفة ببيئات اجتماعية لا يسهل النفاذ إلى علاقاتها الاجتماعية والتأثير فيها أو زعزعتها ، بل وظهرت مقاومة لهذا الغريب القادم انعكست بوضوح في أشعار ولیم بلیك وكتابات غاندي ، إلا أن تأثير هذا التطور على العلاقات الاجتماعية والظواهر الثقافية المختلفة في المنطقة العربية اتسم بالسرعة والانتشار ، بحيث يلمس الباحث نقلة جذرية في العلاقات والظواهر الاجتماعية والثقافية عمرها لا يزيد عن عشرين سنة ، ومن هنا نجد بيئات عربية في منطقة الخليج ، يمكن اعتبارها شاهداً على تأثير التطور التكنولوجي على الثقافات والظواهر التراثية أو التقليدية وانموذجاً يمكن دراسته بالتفصيل لتلمس أبعاد هذا التطور وتناجه .

الهيكل البنائي لمجتمع الإمارات

يصف جان جاك بيربي في كتابه (الخليج العربي) ص (٢٠٤) الخليج العربي بقوله : «وهذا الشرق المعجيب الذي كثر عنه الحديث على السنة الخبراء إنما ينحصر في أغلبه في الخليج العربي بصورة خاصة لأن الخليج هو قلب الشرق الأوسط جغرافياً وبابه السحري وصندوقه الذهبي الرائع الذي يسهل له اللعب» .

ويؤكد فيصل الزباني في كتابه عن مجتمع البحرين أن الخليج العربي تمتع منذ ما قبل التاريخ بموقعه الحيوي الهام حين كان همزة وصل بين حضارات شرقية كان لها دورها الاسهامي في تاريخ

بريطانيا معاونة السوفييات عبر إيران لصد الغزو الهتلري .

ورغم الهجمات الخارجية المتوالية على الخليج العربي ، الهادفة بالدرجة الأولى إلى تطويع السكان والسيطرة على المنافذ البحرية ، فإن المجتمع الخليجي حافظ ، وبشكل مدهش ، على بنائه الاجتماعي وثقافته التقليدية - الغوص على اللؤلؤ - كانت عماد الهيكل البنائي لمجتمع الخليج العربي عموماً ومجتمع الإمارات على وجه الخصوص ، ولمعرفة تأثير التطور التكنولوجي على الثقافات التراثية ، التقليدية ، في مجتمع الإمارات ، علينا في البداية أن نرسم ملامح لهذا المجتمع في مرحلتين عاشهما .

مرحلة مجتمع الغوص ، التي تبدأ منذ فجر التاريخ وتنتهي مع اكتشاف اللؤلؤ الصناعي ، ومن ثم اكتشاف البترول قبل ثلاثين أو أربعين سنة .

أما المرحلة الثانية فهي **مرحلة مجتمع النفط** وهي مرحلة متأخرة في الإمارات العربية عن مثيلاتها في الخليج - أقصد متأخرة زمنياً - وقد بدأت مع دخول ما أسميناه في البداية بالتكنولوجيا الاستخراجية وترسخت أكثر مع تبلور **الصناعات التحويلية** ، التي بدأت تترك بصماتها على الهيكل البنائي للمجتمع الإماراتي .

الثقافات التقليدية أو التراثية في الإمارات العربية

الثقافات التقليدية أو التراثية أو ما يصطلح على تسميته **بالفولكلورية** ، مادية كانت أم معنوية ، ترتبط ارتباطاً جذرياً بالمهنة الرئيسية التي صبغت المجتمع الخليجي على وجه العموم ، ومجتمع الإمارات على وجه الخصوص ، وأقصد بها مهنة الغوص على اللؤلؤ ، وبيعه وتسويقه ، ومع أن مجتمع الإمارات عرف مهناً أخرى مثل **الزراعة** و**صيد الأسماك** و**صناعة الفخار** و**الحواية** - **الصيدلة** - و**الحداثة** و**صناعة السفن** ... إلخ ، إلا أن هذه المهن في مجملها تدور حول محور الغوص وتشكل في الواقع امتداداً لهذه المهنة .

مجتمع الغوص على اللؤلؤ

للغوص على اللؤلؤ عادات وتقاليد وآداب كثيرة ارتبطت بها ألوان من المأثورات الشعبية القولية مثل الأغاني والأشعار والأمثال الشعبية والحكم والألغاز وغيرها .

ويبدأ الغوص على اللؤلؤ بتجهيز السفن المصممة خصيصاً لرحلة الغوص وهذه غالباً ما تصنع في الموانئ العربية وإن كانت الأخشاب مستوردة من الهند ، وأشهر أنواع السفن ما يسمى **بالقارة** و**البثيل** ، وهناك أنواع أخرى مثل الجالبوت ، السنبوق ، الشوعي ، البوم ، البانوش ، الخطية ، الدانجية ، البلم ، الهوري ، الماشوه ، الزاروفة ، الهورية ، الصنوء ... وغيرها . ويذكر **النبهاني** في كتابه (**التحفة النبهاية**) أن عدد سفن الغوص للموسم الواحد كان يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف سفينة .

وللاشتراك بالرحلة الكبرى في الغوص عادات وتقاليد تحدد احتياجات السفن من الزاد قبل الانطلاق إلى مغاصات اللؤلؤ التي تسمى (**هيرات الغوص**) ، ولأن البحر موحش فإن البحارة يلجأون إلى الغناء والطرب والرقص وغالباً ما تأخذ موسيقى البحر وأغانيه إيقاعات خاصة تناسب عمل التجديف ، وتتساق مع الأصوات التي تتصاعد نتيجة تلاطم الأمواج ، وبطبيعة الحال فإن لهذه الرقصات والأغاني والموسيقى ذات الإيقاع الإفريقي الواحد جزؤها الرمزي ، الذي يبدو وكأنه محاولة لدفع الأرواح الشريرة ، وقمة الفرح تكون بعشور أحد الغواصة على (**دانة**) - **اللؤلؤة الكبيرة** - حيث تقام الولائم وتصحبها الأهازيج .

ولأن معظم الرجال يشتركون في رحلات الغوص وسبب مجاهيل البحار والمآسي المتوقعة فإن خروج هؤلاء إلى سفنهم يتم في جو احتفالي حزين تشترك فيه النساء بقرع الطبول والغناء المشوب بالقلق .

وتبدأ المسيرة في البحر بأمر من (**النواخذة**) - **قائد السفينة** - ويحدد الريان منذ البداية وجهته ولا يكون بحاجة لتحديد المهام وتوزيع الاختصاصات فالجميع يعرفون مهامهم ويتقنونها ويحرصون على عدم الوقوع في الخطأ لأن الخطأ يعني النهاية .

بعد الوصول إلى (**الهير**) الذي يحدده (**النواخذة**) يقفز (**الغيص**) إلى البحر بعد أن يتدلى من حبل ينتهي طرفه الثاني في يد (**السيب**) - **وهو الرجل المكلف بسحب الغيص من البحر** - وللسرعة في النزول إلى القاع يربط الغيص بثقل من الرصاص حيث يتخلص منه تحت الماء ويبدأ رحلة البحث عن المحار وهو يسير على يديه ، (**القطام**) على أنفه - وهو يشبه الملقط - و (**الديدين**) معلق برقبتة - كيس خاص لوضع المحار - وإذا ما شعر الغيص بمحاجته إلى الهواء جذب الحبل فسارع السيب إلى سحبه .

بعد ذلك تبدأ رحلة فرز اللؤلؤ وإخراجه من المحار وتصنيفه إلى أنواعه المشهورة :

- (١) الجيون - وهو أشهرها .
- (٢) الشرين .
- (٣) الجلوار .
- (٤) الجصت والبدة .

أما تصنيف اللؤلؤ فيتم عن طريق تمريره في (**طوس**) مغرمة من النحاس .

ويبدأ دور الطوايش وهم تجار اللؤلؤ ، الذين يشترونه من (**النواخذة**) ويبحثون له عن أسواق في الخارج أو من خلال السفن التجارية الموكلة بشراء حيث تستقر اللآلئ في **بومباي** ومنها إلى **باريس** و**لندن** .

وفي مثل الجو الاحتفالي الحزين الذي يخرج به البحارة يعودون ويكون اللقاء مع الأهل والأصحاب ويتحول الاحتفال إلى مناحات إذا ما عاد المركب ناقصاً أحد البحارة وبانتهاء موسم الغوص يبدأ موسم الاحتفالات والزواج وجمع الرطب - البلح - لتأمين الغذاء وتكديسه استعداداً للرحلة القادمة ، وتزدهر عملية البيع والشراء وغالباً ما تكون السفن قد قايضت

النفط وأثره في التراث

الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة



يتساعدون في بناء الأسر وحفلات الزواج ولكل دوره أيضاً .

واحتلت **القهوة** مكاناً بارزاً في مجتمع الغوص كرمز للضيافة وحسن الاستقبال ، وأصبح لها آدابها وعاداتها وطرق صناعتها وشربها ، وتفنّن الناس بصناعتها وقول الأشعار فيها ، وبعد دخول **الهييل** و**الزعفران** و**المسمار** وغير ذلك من بهارات أصبحت مشروب العرب دون منازع ، وحول دلال القهوة كانت تؤخذ القرارات ويفصل في المنازعات وتم الصفقات .

وبسبب الاتصال الملاحى والتجاري في مجتمع الغوص ، دخلت الآلات الإيقاعية لترفد الرقص والغناء في المجتمع الخليجي ولتكسبه لوناً مميزاً مشوباً بالفرح والقلق والحزن وكلها مستوحاة من حياة البحر .

مجتمع الغوص على النفط

تبلغ مساحة الإمارات العربية حوالي ثلاثين ألف ميل مربع وتنتشر أراضيها على الأطراف الشرقية للجزيرة العربية وتطل على الخليج العربي وخليج عمان ، ورغم أن اتجاه السكان نحو البحر كان بالدرجة الأولى هرباً من اليابسة القاحلة التي تغطي الرمال أكثر من ٩٥٪ منها إلا أن عام ١٩٥٩ م ، دفع السكان إلى اليابسة هرباً من حياة البحر القاسية مع أول اكتشاف للنفط وغوص عليه في حقل (مريان) ومع أول شحنة تصدر من هذا الحقل عام ١٩٦٣ م ، بدأت ملامح مجتمع الغوص على النفط تظهر على حساب مجتمع الغوص بكل

اللؤلؤ بالسلع المستوردة من الخارج كالبهارات والأقمشة وغير ذلك ، ويبدأ الأهل بتبادل الزيارات وتمتليّ المجالس - دور الضيافة - بالزوار ويكثر صب القهوة للتهنئة بالعودة أو الأخذ بالخاطر ، ويفترش الناس الأرض لتناول الأطعمة الشعبية التي حرموا منها أثناء الرحلة .

إن معظم المائتورات الشعبية المادية والمعنوية السائدة في مجتمع الخليج بصفة عامة ، ومجتمع الإمارات بصفة خاصة ، ترتبط بهذه الرحلة عبر البحار ، لصيد اللؤلؤ وتسويقه ولا تكاد نجد مهنة أو حرفة أو عادة واحدة تخرج عن إطار مجتمع الغوص .

● **مهنة النجارة** ازدهرت بكل تفاصيلها بسبب صناعة سفن الغوص على اختلاف أنواعها .

● **ومهنة الحدادة** ازدهرت هي الأخرى لتأمين القواطع الحديدية والمسامير وسائر احتياجات السفن أو المساكن والمخازن الخاصة بالزاد والماء .

● **ومهنة التجارة** ارتبطت بشكل جذري بعملية تسويق اللؤلؤ أو استبداله بالسلع الغذائية وكانت الأسواق تزدهر بعد كل رحلة .

● **ومهنة صيد الأسماك** ارتبطت بعملية الغوص على اللؤلؤ وتوفر السفن الكبيرة لذلك ، إلى جانب قضاء معظم الوقت في البحر ، وتأمين الغذاء للبحارة ، إلى جانب استخدام زيت السمك في تشحيم السفن وطلاء المسامير .

● **ومهنة الزراعة** كانت تركز بشكل أساسي على زراعة النخيل لتأمين الثمار كغذاء رئيسي للبحارة وكمخزون للأهل خلال فترة الغياب في البحر وقد عرف الزراع هنا أكثر من أربعين نوعاً من البلح والتمور . وهناك صناعات أخرى ارتبطت بالبحر مثل **صناعة الفخار** لتأمين خزانات الماء العذب ، البارد للبحارة ولسكان الساحل ، و**صناعة العطور** التي تعتمد بالدرجة الأولى على استخراج العقاقير والأدوية اللازمة لمرضى البحر ومفاجئاته من النباتات والأعشاب ، و**صناعة النسيج** التي تؤمن بالدرجة الأولى احتياجات الغواصين والبحارة والسفن من الملابس والأشربة وغير ذلك .

أما العادات والتقاليد وطرق البناء - المعمار - والأشعار والأغاني وغير ذلك فقد ارتبطت بمجتمع الغوص وتلونت بألوانه ومناخاته ، فنسازل **الأهلين** تبني بطريقة معمارية واحدة وتأخذ بعين الاعتبار دور (المجلس) - دار الضيافة - في مجتمع الغوص واستقبال المودعين والمهنيين بسلامة الوصول .

● **واللهجة الخليجية** تأثرت من خلال هذا التلاحق الدائم مع القوافل وأسواق شراء اللؤلؤ في بومباي باللهجة الهندية والإنجليزية ، وكثرت الأشعار التي تتحدث عن أهوال البحر وحلاوة الفوز باللؤلؤ ، واتخذ **الزواج** طوقاً خاصة هي وليدة مجتمع الغوص ، فنظام الزواج في المجتمع الخليجي كان يسعى نحو الامتداد بالأسرة وترسيخها لتأمين الحماية لها في حال غياب رب الأسرة ، وللزواج أوقاته وأغانيه وشروطه المستوحاة كلها من حياة البحر الجياعية ، التي يعيشها البحارة في أوقات الغوص ، فكما أنهم يتساعدون في استخراج اللؤلؤ ولكل دوره المحدد ، فإنهم

امتداداته الاجتماعية والثقافية ، لذا لا نغالي كثيراً إذا ما قلنا إن (تكنولوجيا النفط) كانت كارثة لمجتمع الغوص وعاداته وتقاليده ، هذا المجتمع الذي تلاشى أو كاد في زمن قياسي لا يزيد عن ثلاثين سنة رغم أن آخر جيل فيه ما زال في ريعان الشباب .

لقد رافق دخول تكنولوجيا النفط إلى مجتمع الغوص ظواهر أدت إلى خلخلة الهيكل البنائي لمجتمع الإمارات ، فقد أدى التطور الاقتصادي المفاجئ الذي رافق تكنولوجيا النفط إلى تغيير جذري وخيالي في مستويات الدخل والأجور وكان هذا سبباً رئيسياً في انقراض مهنة الغوص على اللؤلؤ الشاقة ، وظهور مهن أخرى ترتبط بالتغيرات في المجتمع ، معظمها يتسم بطابع تجاري يقوم على البيع والشراء وتأمين الدخل الوافر من خلال العمل الوظيفي في القطاع الحكومي أو الخاص ، إلى جانب ازدياد معدلات الهجرة الوافدة وتحول الإمارات إلى ما يشبه الورش الكبيرة بكل همومها ومشاكلها ومتاعبها ورتابة الحياة فيها ، وبطبيعة الحال فإن هذه الهجرة الوافدة تحمل في جعبتها أنماطاً ثقافية كثيرة غيمنتها الأصلية وتساهم في تغيير الملامح البيئية الاجتماعية مورفولوجياً وفسيولوجياً ، أو على الأقل تساعد في الاسراع بمثل هذه التغيرات .

كان مجتمع الإمارات في مرحلة الغوص على اللؤلؤ يتكون من طبقتين رئيسيتين هما : طبقة تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن ، وطبقة الغواصين أو عمال البحر . . . ومع تدفق النفط وازدياد معدلات الهجرة الخارجية التي وصلت إلى حوالي ٧٠٪ من عدد السكان الإجمالي تحول عمال البحر إلى موظفين أو أصحاب تجارة محدودة ذات مداخيل ثابتة يكفلها القانون ويحددها من خلال المنح الحكومية وتسهيلات البيع والشراء والحصول على أذونات البناء وقروض الاسكان - دون فوائد - من البنوك . . . إلخ .

وظلت طبقة التجار على حالها مع ارتفاع معدلات مداخيلها من الصفقات التجارية وامتداد نشاطها ليشمل دول العالم المصنعة للكماليات والأساسيات على حد سواء ، وبين هذه الطبقة وتلك ، يلعب الوافدون الذين يشكلون الأغلبية في عدد السكان ، والذين ينتمون لأكثر من ستين دولة عربية وأجنبية دوراً في البناء الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الواحد ، مجتمع الغوص على النفط . وفي أوائل السبعينات برزت مهن وصناعات جديدة لم تكن معروفة في مجتمع الغوص ، وحمل الوافدون معهم أنماطهم الثقافية والاجتماعية ومهنهم وهمومهم ومشاكلهم وعاداتهم وتقاليدهم ، التي أثرت بشكل جوهري على بقايا مجتمع الغوص وأنظمته الاجتماعية (العائلية الزوجية منها والقروية والترفيهية والطبقية والاقتصادية) .

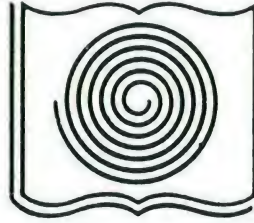
مع اختفاء مهنة الغوص على اللؤلؤ ، اختفت صناعة السفن وتحولت شواطئ أبو ظبي وادي ورأس الخيمة إلى موانئ ضخمة لاستقبال السفن العملاقة وناقلات النفط ولم يعد أحد يسمع أهاليج النساء اللواتي يودعن رجال البحر في جو احتفالي رهيب ، ولم تعد أسواق الدلالة تنتشر في زوايا المدن وعلى تكايا الشواطئ لبيع وشراء اللؤلؤ ، ولم نعد نسمع

بأخبار (الطواويش) ، واختفت الصناعات النسيجية لتحل محلها الأقمشة الأوروبية الفاخرة ، المستوردة بالطائرات من لندن وباريس ، ولم يعد للزواج مواسم تلي مواسم الغوص ، وفقدت احتفالاته بهجة مشاركة الأقارب والأهل بها ، تلك المشاركة التي كانت تضفي عليه بهجة تعم المدينة بكاملها وارتفعت المهور ، وبدأ الرجال بتوجهون للزواج من أجنبيات للتخفيف من التكاليف الباهظة المترتبة على الزواج من ابنة البلد ، ولم تعد احتفالات الختان - الطهور - تستقبل بالترحيب نفسه الذي كان يرافق تجميع أطفال القرية في أحد أيام الجمع في بيت المختن ، للاحتفال الجماعي بهذه المناسبة ، واختفت أو تكاد صناعة الأدوية الشعبية بازدياد معدلات استيراد الأدوية وبناء المستشفيات .

ولم يعد العلاج بالوسم يقطع أحداً مما أدى إلى تلاشي أحد أعرق وسائل الطب الشعبي في مجتمع الغوص - الكي بالنار - وبدأت ترتفع الأبنية الأسمتية الشاهقة على حساب المعمار الخليجي التقليدي من الطوب الأحمر أو سعف النخيل وأدى هذا التغيير في البناء المعماري إلى اختفاء (المجلس) أو (الديوان) - دار الضيافة - وتفكك الأسر الكبيرة إلى أسر صغيرة مستقلة ومتباعدة ورغم أن الدولة بدأت تبني مساكن شعبية منذ سنوات ، مصممة على الطريقة القديمة ، ومزودة بمساحات واسعة لتربية الأغنام والجمال ، مع الحاق (مجلس) واسع بالبيت الواحد وتوزيع كل ذلك بالمجان - دون مقابل - على السكان الأصليين تشجيعاً لهم على الاستقرار والحفاظ على ما تبقى من مجتمع الغوص ، إلا أن الهجمة التكنولوجية النفطية الكاسحة بدأت تغوص إلى الجذور وتجتثها ، من خلال سيل هادر من العملات والمداخيل المرتفعة ، واحتلت السيارات الفارهة مكانة الجمل ولم تعد متعة ركوبه تمارس إلا في مواسم سباقات الهجن ، وأثرت هذه الهجمة لتكنولوجيا النفط على اللهجة المحلية ، بدخول لهجات الوافدين ولغاتهم ، وظهرت ألوان مهجنة من الشعر العامي - النبطي - تفقد أصالة البادية وتعاني من أزمة الإلهام والمعاناة والإبداع والصدق ، وتوقف الوجدان الشعبي مبهوراً أمام الآلة ، فلم تعد هناك أمثال جديدة ولا حكايات وخرافات عن الأرواح الشريرة التي تهاجم الغواصين في عرض البحر ، ولم تعد القرى تشهد احتفالات (الزار) لطرد هذه الأرواح وبدأت الأزياء الشعبية والحلي بالتراجع أمام هجمة الأقمشة الأوروبية والحلي الذهبية الأنيقة المصنعة في باريس ، ولم تعد الأكلات الشعبية كالمكبوس والخنفروش والهريس وغيرها تؤكل إلا في المناسبات وتحولت رقصة (العيلة) و (الحريية) من رقصة كانت بمثابة النفير العام للناس في أوقات السلم والحرب إلى مجرد عروض يؤديها البعض في الأعراس والاحتفالات الوطنية ، وبدأ جيل جديد يخرج إلى العالم في هذه الحضارة الأسمتية التكنولوجية ، لا يعرف عن مجتمع الغوص وثقافته ومأثوراته شيئاً ، الأمر الذي يؤكد وصفنا لهذا الذي حصل بدخول التكنولوجيا النفطية ، غير المنظم ، إلى مجتمع الغوص في الخليج العربي . . . إنه كارثة ، بل هو زلزال مدمر لم يترك لأحد فرصة التوقف والتأمل وإعداد حسابات الريح والخسارة .

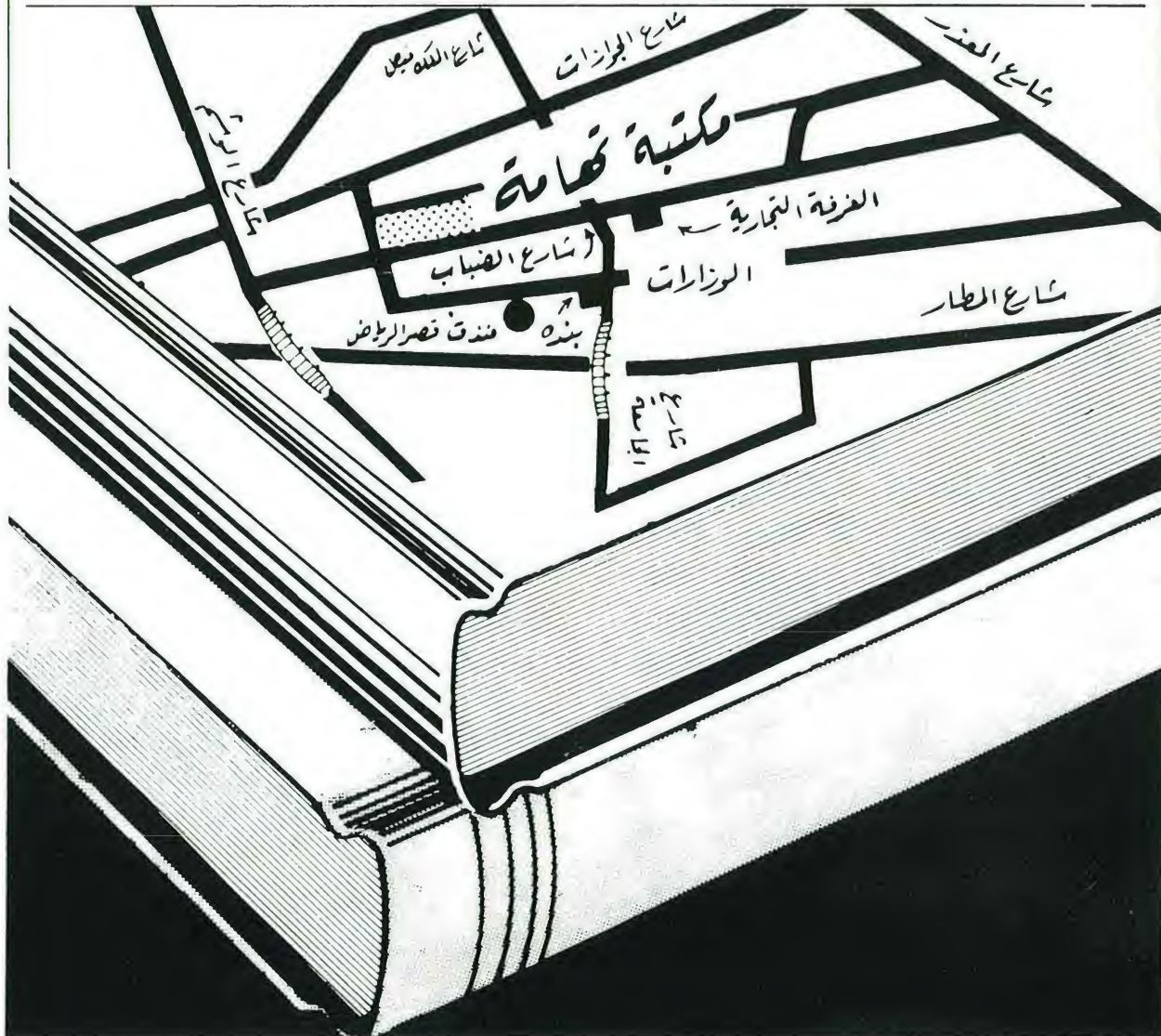


نحن هنا قم بزيارتنا مكتبة تهامة



عنوان المكتبة

الرياض - خلف شارع الضباب - مجمع الشركة العقارية السعودية - ت ٤٠١٢٩٦٩



★ الطلبة السعوديون بمعهد الأرصاء ودراسات المناطق
الخرافة، جامعة الملك عبد العزيز - جدة مع
أساتذهم في دراسة حقلية للبيئة النباتية لبعض النباتات
الساحلية على البحر الأحمر السعودي [نبات الشورة
★ [Avicennia marina



★ غطاء نباتي كثيف لنباتات الشورة على
ساحل البحر الأحمر السعودي بجيزان ★

هل في الامم كانت تحت ويل شواطئ الجزيرة العربية المغاباة؟

★ صورة نبات المُنْجَح Halopeplis Perfoliata منطقة رايغ الساحلية ★

بقلم: د. محمود عبد القوي زهران

*** لقد جعلت عنوان هذا المقال العلمي المبسط في
صيغة سؤال لأجيب عليه بنعم... وأستطرد قائلاً إن ذلك
ممكناً لو تنبّهنا إلى النباتات البرية المألوفة النامية على
سواحلنا العربية، ودرسنا أهميتها الاقتصادية وكيفية
استغلالها، ومنها نباتات الشورة.

نباتات الشورة Mangroves هي أشجار، أو شجيرات تنمو
بالمياه الضحلة على سواحل البحار والمحيطات الواقعة ما بين مداري الجدي
والسرطان، لذلك يطلق عليها نباتات مدارية Tropical
Formations، وتواجد هذه النباتات على السواحل يعتمد على
أربعة عوامل بيئية أساسية هي كما يلي:



هل في الامكان تحويل شواطئ؟ الجزيرة العربية إلى غابات

أوضحت الدراسات الجغرافية لتوزيع هذه النباتات على سواحل الكرة الأرضية أن ما بين ٦٠ - ٧٥٪ من سواحل المنطقة المدارية - حيث درجة الحرارة عالية - تتميز بوجود نباتات الشورة التي يصل عدد أنواعها إلى ٥٥ نوعاً، تتبع ١٦ جنساً، و ١١ فصيلة، لكن هذه الأنواع تختلف في طبيعة انتشارها على تلك السواحل، إلا أن جنسي ريزوفورا Rhizophora وأفيسينيا Avicennia هما الأكثر انتشاراً عن باقي الأجناس، وجدير بالذكر أن اسم أفيسينيا يعود إلى العالم العربي الشهير ابن سينا الذي يعتبر أول من كتب عن هذه النباتات، وعن فوائدها، لذا أطلق عليها كذلك نباتات «ابن سينا».

أهمية نبات الشورة :

*** ربما يسأل سائل هل لنباتات الشورة أهمية ما؟ والجواب على هذا السؤال يكون بالإيجاب نعم، لنباتات الشورة فوائد بيئية واقتصادية عديدة وهامة، نذكر منها أن غطاءها النباتي يعمل على بناء وتثبيت التربة على السواحل، وحماية تلك السواحل من عوامل التعرية، وهناك عديد من الأمثلة على ذلك فقد ذكر العالم ماكيني (١٩٦٨ م) أن نباتات الشورة نوع ريزوفورا أبيكيولاتا Rhizophora apiculata قد أدخلت على سيلان (سريلانكا حالياً)، واسترعت على الساحل هناك في مناطق مصاب الوديان بغرض بناء التربة، وتثبيتها، تمهيداً لاستغلالها في زراعة الأرز، وقد نجحت التجربة نجاحاً كبيراً، ولذا فلانها طبقت في مناطق أخرى من العالم. وبالإضافة إلى تلك الأهمية فإن أجزاء نباتات الشورة (الخار - الأوراق - القلف - السيقان - الجذور التنفسية) يمكن أن تستخدم كمواد أساسية لكثير من الصناعات لإنتاج الأصباغ والراتنجات ومواد الدباغة، وكذلك لصناعة القوارب وعلب الكبريت واللعب الخشبية، وفي كثير من السواحل تعتبر نباتات الشورة مصدراً هاماً للوقود وكغذاء أخضر للماشية (الأوراق).

وقد ذكر العالم ثيوفراستس Theophrastus عام ٣٠٥ قبل الميلاد أن مستخلص بادرث بعض نباتات الشورة كان يستخدم قديماً كمقو جنسي عام للرجال، وهذا ما أكدته عالم النبات المغربي ابن عباس النباتي عام ١٢٣٠ م، وأضاف أيضاً أن من هذه النباتات كانت تستخلص مواد طبية لعلاج أمراض اللثة وأمراض الكبد، وقد أجريت حديثاً تحاليل كيميائية على أجزاء نباتات الأفيسينيا مارينا النامية على سواحل المملكة العربية السعودية واتضح أنها تشتمل على المواد التي تعتبر مصدراً لإنتاج الهورمونات المقوية للرجال. وهناك فوائد أخرى غير مباشرة لنباتات الشورة نذكر منها أن بيئتها

١ - درجة حرارة الجو.

٢ - ملوحة المياه.

٣ - طبيعة تربة السواحل.

٤ - قوة ومدى المد البحري والأمواج.

وبصفة عامة تعتبر الشورة من النباتات المألحة الاختيارية Facultative Halophytes حيث تنمو في مناطق ساحلية لا تستطيع أن تنمو فيها نباتات المياه العذبة، ولذا فإن بالإمكان زراعتها بمياه البحر مباشرة. ومن ناحية أخرى فإن تلك النباتات لا تتحمل برودة الجو، ونباتات الشورة لا تنمو في المناطق الباردة في العالم شمال وجنوب المنطقة المدارية، ولأنها تنمو في مياه البحر المألحة الضحلة التي تقل فيها نسبة الأكسجين، فإن تلك النباتات قد تغلبت على هذه المشكلة بأن لها نوعان من الجذور: جذور تنمو لأسفل لتدعيم النباتات بالتربة، وجذور تنمو إلى أعلى للتنفس فوق سطح الماء.

وهناك حقيقة علمية تميز نباتات الشورة عن غيرها من النباتات وهي أن بذورها تبدأ في الإنبات أثناء تواجدها على أفرع الشجرة أو الشجيرة، ثم تسقط فتتغمس جذورها الصغيرة فوراً في التربة ثم تكمل نموها بعد ذلك.

أقسام نباتات الشورة :

*** قسمت نباتات الشورة تبعاً لطبيعة أرض السواحل التي تنمو عليها إلى ثلاثة أقسام هي :

(١) شورة الشعاب المرجانية Coral Mangroves .

(٢) شورة التربة الرملية الطينية Sand-Mud Mangroves .

(٣) شورة التربة العضوية Peat Mangroves .

وقد ذكر العالم الأمريكي والسن والش (١٩٧٤ م) أن التربة النموذجية نمو هذه النباتات هي التربة الطينية التي تحتوي على نسبة عالية من المواد العضوية، أما التربة التي كونت من صخور جرانيتية أو كوارتزية فتعتبر غير صالحة لنمو هذه النباتات.

يعتبر عامل المد والجزر بالبحار أحد العوامل الهامة التي لا يؤثر فقط على نمو هذه النباتات، بل يؤثر كذلك على اتساع رقعة غطائها الخضري على الساحل، وقد وجد أن أنسب المناطق الساحلية لغزارة هذه النباتات هي الخلجان المحمية من الأمواج العالية، والمد القوي حيث تعمل تلك العوامل على نزع البادرث الصغيرة لنباتات الشورة وعلى هدم التربة.

نجحت نجاحاً كبيراً ، وكونت غابات ساحلية كثيفة يبلغ ارتفاع الأشجار فيها حالياً أكثر من ٧٠ قدماً ، وقد سنحت الفرصة لكاتب هذا المقال عام ١٩٧٤ م ، (أثناء انعقاد المؤتمر الدولي الأول لنباتات الشورة في مدينة هونولولو بجزر هاواي) لزيارة غابات الشورة ، ولم أكن أتصور إطلاقاً أن تلك النباتات استزعت ، ولم يكن لها وجود من قبل ، وهناك تجارب أخرى ناجحة في مناطق مدارية مثل فلوريدا ، سيريلانكا ، الفلبين وماليزيا ... إلخ .

الشورة .. وسواحل الجزيرة العربية :

*** هناك سؤال آخر هل تنمو نباتات الشورة على سواحل شبه الجزيرة العربية ؟

إذا نظرنا إلى خريطة شبه الجزيرة العربية نرى أنها تتميز بثلاثة سواحل هي : ساحل البحر الأحمر الشرقي من الغرب ، وسواحل الخليج العربي الغربي من الشرق ، وساحل البحر العربي من الجنوب ، وحيث إن الجزيرة العربية وسواحلها تتميز بمناخ حار ، أي مناخ مناسب لنمو نباتات الشورة فإن تواجد هذه النباتات في المنطقة أمر متوقع ، وبالفعل ينمو على سواحل شبه الجزيرة العربية نوعان من نباتات الشورة هما : أفيسينيا مارينا *Avicennia marina* (٢) بريجيورا جيمنوريزا *Bruguiera gymnorhiza* .

● النوع الأول ينتشر تواجده على سواحل شبه الجزيرة العربية الثلاثة ، لكن يغزر نموه في المنطقة الجنوبية لساحل البحر الأحمر ، أما النوع الثاني فلا يوجد إلا في منطقة محدودة بساحل البحر الأحمر اليمني فقط ولم ير في أي مكان آخر بالمنطقة .

ونظراً لعوامل تدخل الإنسان بالتقطيع وكذلك للرعي الجائر في بعض المناطق التي تنمو فيها هذه النباتات ، فإن الغطاء النباتي لعشيرة الشورة على سواحل شبه الجزيرة العربية يتدهور سريعاً ، وسكاد يندثر في بعض المناطق ، مثل ما لوحظ في منطقة القطيف على ساحل الخليج العربي ، وسيترتب على ذلك توابع بيئية سيئة ، وبناء عليه فإن مشروعاً علمياً لدراسة المحافظة على الغطاء النباتي الحالي لعشيرة الشورة ، وإدخال زراعة أنواع أخرى غير موجودة بسواحل شبه الجزيرة العربية مثل أنواع ريزوفورا ، كانديلا ، لاجونكيولاريا إلخ ... التي ثبت أهميتها البيئية والاقتصادية ، سيؤدي إلى تطوير سواحل المنطقة بتشجيرها بهذه النباتات التي لا تحتاج إلى مياه عذبة ، بل مياه البحر فقط ، ولا تحتاج إلى رعاية اللهم إلا حمايتها من تدخل الإنسان وحيواناته .

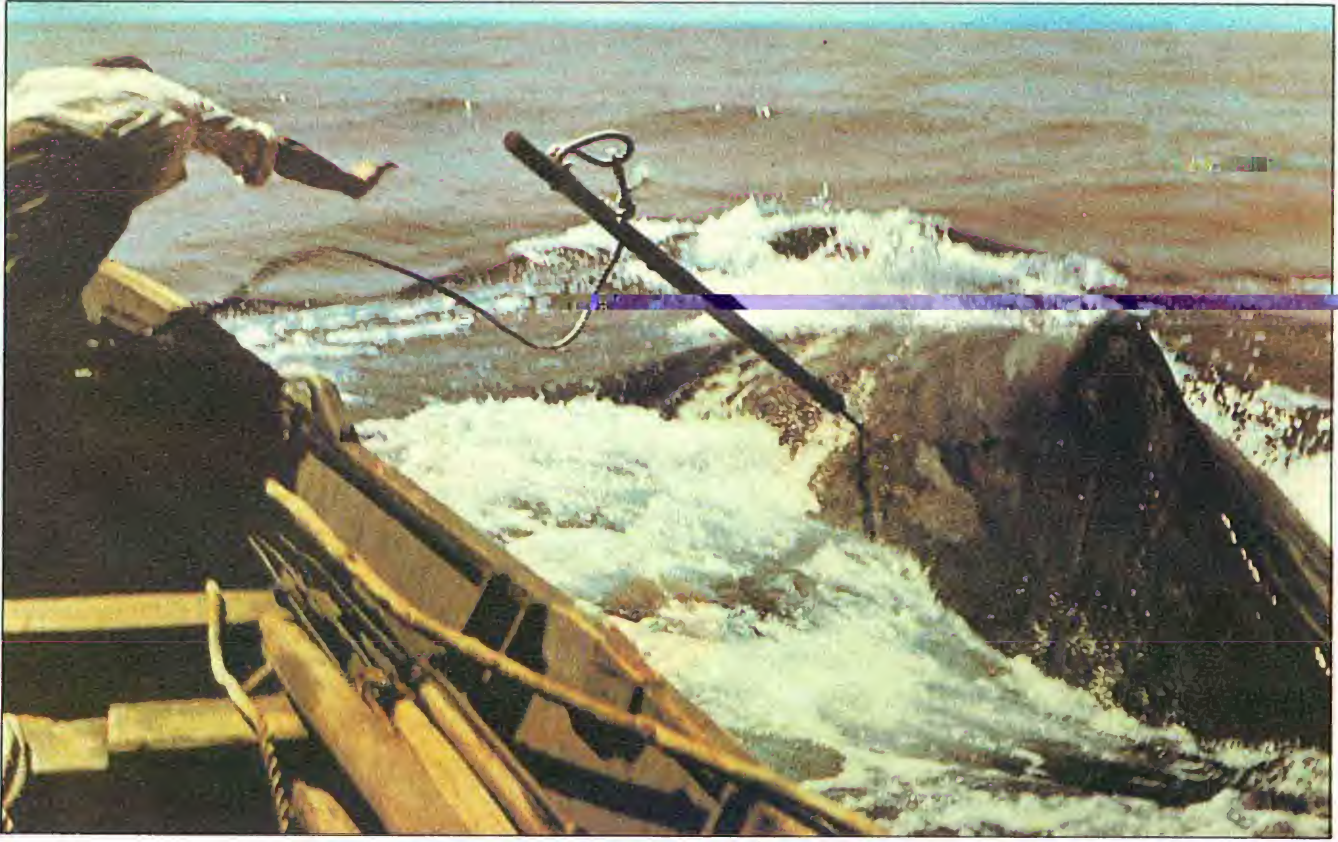
إنني بهذا المقال أضيف نباتاً علمياً آخر إلى قائمة النباتات البرية المألحة ذات القيمة الاقتصادية الكبيرة .

تعتبر مكاناً ملائماً لنمو ومعيشة وتكاثر العديد من القشريات والأسماك ، ومثال ذلك واضح في كثير من المناطق مثل عشيرة الشورة على سواحل فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ، التي يعيش فيها كميات ضخمة من القشريات والأسماك ذات القيمة الاقتصادية العالية مثل الأستاكوزا والروبيان (الجمبري) ، والسلامون ، والبوري ، وسرطان البحر ، وسمك النهاش ، وسمك الطبل ، وعديد من الطحالب ذات القيمة الغذائية العالية .

ولفوائدها العديدة المباشرة وغير المباشرة اتجه علماء البيئة النباتية في العالم لإجراء دراساتهم وتجاربهم وبحوثهم على استزراع نباتات الشورة في المناطق الساحلية المدارية التي تخلو منها ، أو التي لا توجد بها أنواع كثيرة من تلك النباتات ، وقد نجحوا في استزراعها باستخدام البذور أو البادرات أو الشجيرات ، وقد ذكر العالم الأمريكي تيس (١٩٧٢ م) أن جزر هاواي بالغيط الباسيفيكي لم يكن ينمو فيها نباتات الشورة حتى عام ١٩٠٥ م ، وعندما أدخلت زراعتها على سواحل هذه الجزر

★ نبات السور المر من نوع اكينواس *Jurcus acutus* في بحيرة الترتة بمصر (أرض مدخنة) ★





★ صيد الحيتان في الماضي .. الزمبح يقذف في جسم الحوت ★

'السميثية' فلك ، قود 'أقزن' اسمه يوق
أذهان البشر بالشيء الضخم الجبار ، كما
عرفه العلماء وعامة الناس منذ القدم
مكتسب منه 'المرزب' للمحجم .

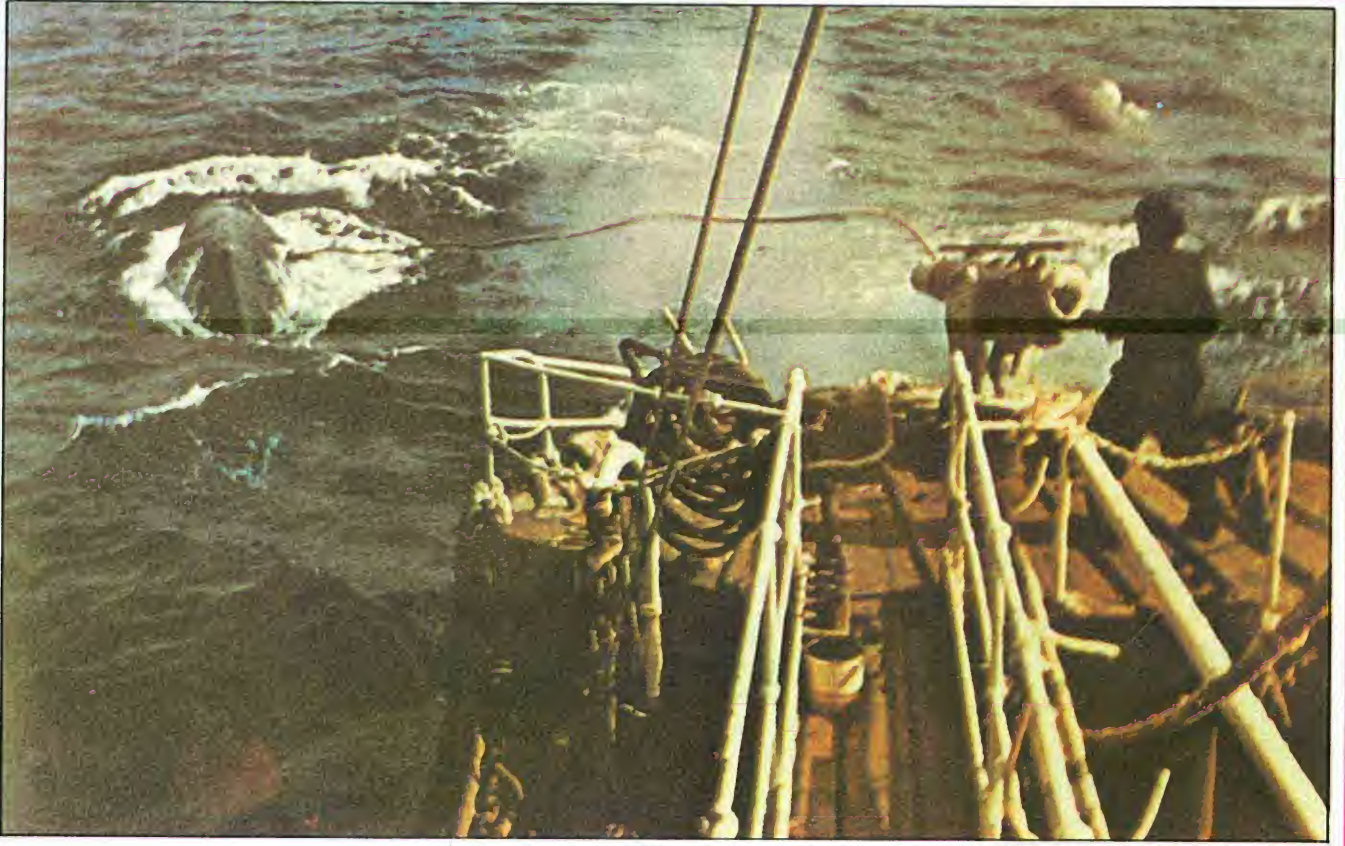
الحوت من الحيوانات الشديدة وقد
عاش على اليابسة قبل آلاف السنين ثم
آبكر لها إلى 'البحر' حيث تنفس تنفسه

ففي رحلات الرحالة العرب ، كم من
سفينة رست على جزيرة في وسط البحر ،
وعندما أوقدت عليها النار لطهي الطعام ، فإذا
بهذه الجزيرة (التي ليست إلا حوتاً ضخماً نام
على سطح البحر اكتسى جسمه بالنباتات
البحرية والطحالب) تدب فيها الحركة وتغطس
إلى قاع البحر ، فهلك من هلك من البحارة
ونجا بعمره من نجا .

وقد وصفه أرسطو في عام ٤٠٠ قبل
الميلاد بالسماك الضخم الذي يتنفس برئة وولد
صغاره وله شعر على جسمه كالإنسان .. ولكن
في عام ١٦٩٣ م ، عرّفه العالم جون راي ،
بأنه من الثدييات وليس من الأسماك .. واليوم
فإن الحوت يجوب البحار والمحيطات في جميع
أنحاء العالم ، وقد يعجب الناس عندما يعلمون
أنه توجد أنواع صغيرة من الحوت لا تتعدى



★ حوت وقع تحت تأثير رماح الصيادين ★



★ صيد الحيتان اليوم... قذيفة تطلق بالمدفع في جسم الحوت الذي يهلك في ثوان ★

حيتان

بقلم:
د. أحمد محمد غندور



★ حوت أمسك به الصيادون الذين يحاولون إنباهه وإخراجه من الماء ★

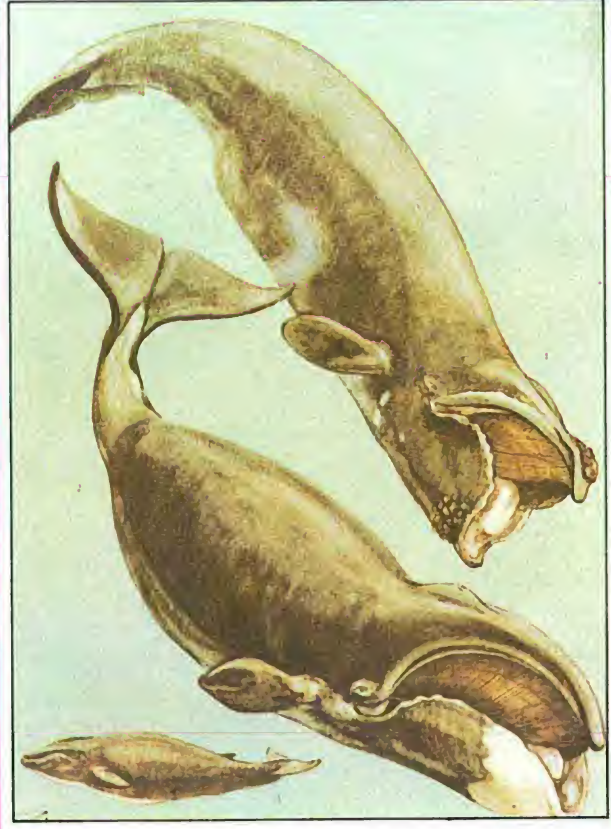
أربعة أقدام في الطول ومائة رطل في الوزن . .
وعموماً توجد أنواع كثيرة من الحيتان يصل
أكبرها إلى مائة قدم في الطول ومائة
وخمسين طناً في الوزن .

والحوت بلا جدال «ملك البحار» إذ
إنه كَيْفَ نفسه لمعيشة البحار وتكاثرته أعداده
واهتم به الإنسان فإذا الحرب تقوم بين «ملك
البحار» والإنسان «سيد الأرض» ، وهي حرب
ضارية استعمل فيها الإنسان كل قوته وسلاحه
وجند لها الكثير ، ولم تضع هذه الحرب أوزارها
بعد ، وقد ينتصر فيها الإنسان «سيد
الأرض» ، ويهلك الحوت تاركاً المجال لغيره من
الحيوانات البحرية لكي تسود عالم البحار
والمحيطات .





★ أنواع مختلفة من حيتان الجراي (الحيتان ذات البالين) ★



★ حيتان الرايت التي تتغذى بواسطة «البالين» على العوالق التي تطفو على سطح الماء ★

ولكن توجد تحته طبقة سميكة (حوالي المتر) من الشحم ، وتساعد هذه الطبقة في المحافظة على حرارة الجسم ثابتة وطرده البرد .

والحوت يتنفس برئة كالإنسان ،
لذلك لا بد من أن يطفو على سطح الماء لفترة وجيزة لطرد الهواء المتأكسد « الزفير » وأخذ كفايته من الهواء النقي « الشهيق » قبل الغطس إلى أعماق البحر . . وأثناء الزفير يخرج الهواء الرطب من رئة الحوت تحت ضغط عال ، ويبرد هذا الهواء ويتكثف إلى سحابة بيضاء «كالنافورة» تصل في الارتفاع إلى ثمانية أمتار ، وقد ظن الناس في بداية الأمر أن النافورة ماء يطرده الحوت من جسمه وتختلف هذه «النافورة» في الشكل على حسب نوع الحوت ، فهي مكونة من سحابتين في حوت الرايت وتشبه الكمثرى في الحوت الأحدب ، وبإمكان الحوت أن يعيش تحت الماء لفترة قد تصل إلى أربعين دقيقة ، وبإمكان الحوت الغطس إلى عمق ألفي قدم تحت الماء .

حوت الجراي ، حوت الروركوال ، ومن أكبرها الحوت الأزرق وهو أكبر الكائنات انجية على وجه المعمورة ، ويعادل في الوزن حوالي ٢٥ فيلاً ضخماً .

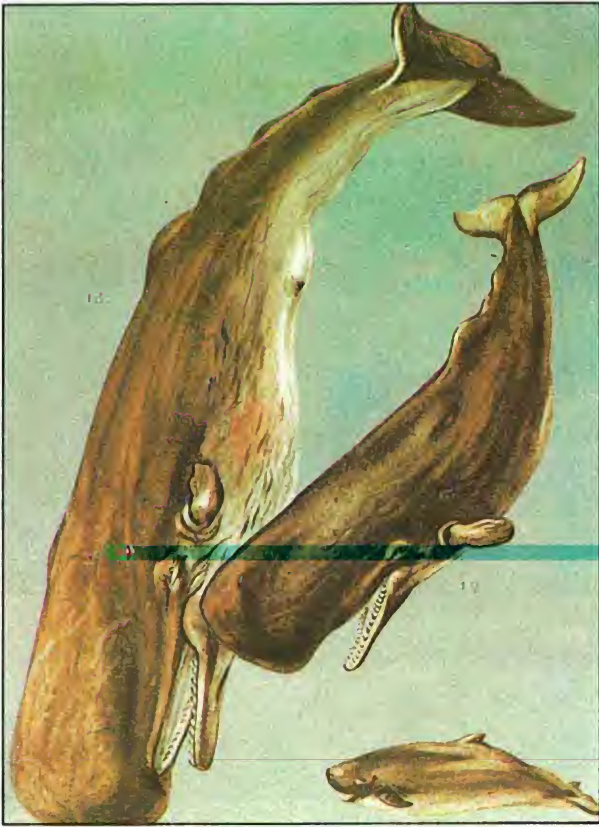
الحوت ملك البحار

الحوت من أضخم الكائنات البحرية وأكثرها ذكاء وعمراً ، إذ يعيش حوالي ٣٠ - ٤٠ سنة ، وهو شبيه بالأسماك في الشكل وله عينان صغيرتان وأطرافه الأمامية تشبه الزعانف الضخمة ولم يبق من شعره إلا البسيط بالقرب من الفك ، أما أطرافه الخلفية فقد اختفت ، وله ذنب ضخيم ليساعده في الحركة ، وتتراوح سرعة الحوت ما بين ١١ - ٢٦ كيلومتراً في الساعة ، وبإمكان بعض الأنواع أن تصل إلى ٥٠ كيلومتراً في الساعة ، ولكن لفترة وجيزة ، أثناء الهروب من الأعداء أو للحاق بالفريسة . وجسم الحوت أملس ، وله جلد خارجي رقيق لا يبلغ أكثر من سبعة ملليمترات في السمك ،

أنواع الحيتان

يوجد حوالي ثمانية عشر نوعاً من الحيتان المختلفة في الحجم والشكل ، ويمكن جمعها تحت مجموعتين كبيرتين ، وهما : «الحيتان ذات الأسنان» وهي تمتلك أسناناً طويلة حادة ، وتتغذى على الحباري والأسماك . . والمجموعة الثانية «الحيتان ذات البالين» ، وهي لا تمتلك أسنان وإنما صفيح من البالين التي تشبه أوراق شجر النخيل . وتندلى كالستارة من أعلى الفم وتعمل كالمنصفاة ، لتساعد الحوت في الحصول على طعامه من الكائنات الدقيقة التي تسطفو على سطح البحر .

وتتراوح «الحيتان ذات الأسنان» في الطول بين ٣ - ٥٠ قدماً ومن أشهرها حوت الأسبيرم والحوت الأبيض والحوت ذو المنقار . . أما «الحيتان ذات البالين» فهي أطول وأكبر من الحيتان ذات الأسنان (١٨ - ١٠٠) قدم ومن أشهرها حوت الرايت ، الحوت الأحدب ،



★ ذكر وثني حوت السبيرم (الحيتان ذات الأسنان) ويظهر في الصورة حوت سبيرم قزم ★



★ ثلاثة أنواع من (الحيتان ذات البالين) وأكثرها الحوت الأزرق ★

أجزائه في معيشتهم .. ولكن بدأ الصراع المنظم ، الذي قد يؤدي إلى انقراض الحيتان ، في القرون الوسطى عندما بدأ سكان الشمال في اصطياده ، وفي بداية القرن التاسع عشر دخلت أميركا المعركة وجندت حوالي عشرين ألف رجل وأعداداً كبيرة من السفن لاصطياد الحيتان ، ولكن عندما اكتشف الزيت في ولاية بنسلفانيا في عام ١٨٥٦ م ، بدأ الصيد الأمريكي يقل تدريجياً ، وتوقف تماماً في عام ١٩٢٥ م ، وتعتبر فترة النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، فترة «هدنة» للحيتان ، ولكن في بداية القرن العشرين عندما اكتشف إمكانية استعمال الزيت لصناعة الزبدة بدأت الحرب مرة أخرى وتولت النرويج القيادة ، وبعد الحرب العالمية الثانية دخلت عدة دول كبيرة منها روسيا واليابان وبعض بلاد أميركا الجنوبية الحرب .

وفي بداية الأمر كانت تخرج السفن



سطح الماء كي تمتلئ رئتاه باهواء ويبدا التنفس .. ويكون المولود مكتمل النمو وكبير في الحجم إذ يصل طوله في الحوت الأزرق إلى حوالي عشرين قدماً ويزن طنين ، ويتغذى على لبن الأم الذي يختلف اختلافاً تاماً عن لبن الثدييات البرية ، إذ إنه يحتوي على ٤٠ - ٥٠٪ من الدهون ونفس النسبة من الماء بالمقارنة مع ٢ - ٧٪ من الدهون و ٨٠ - ٩٠٪ من الماء في لبن الثدييات البرية .. وهذا اللبن الدسم يساعد المولود في نموه السريع الذي يكتمل بعد حوالي سبعة أشهر ، ولذلك تعتبر الحيتان من أقل الكائنات البحرية تكاثراً ، لأنها تلد كل سنتين ، ولا يتعدى مجموع أبنائها طيلة عمرها أكثر من عشرة أو اثني عشر !!

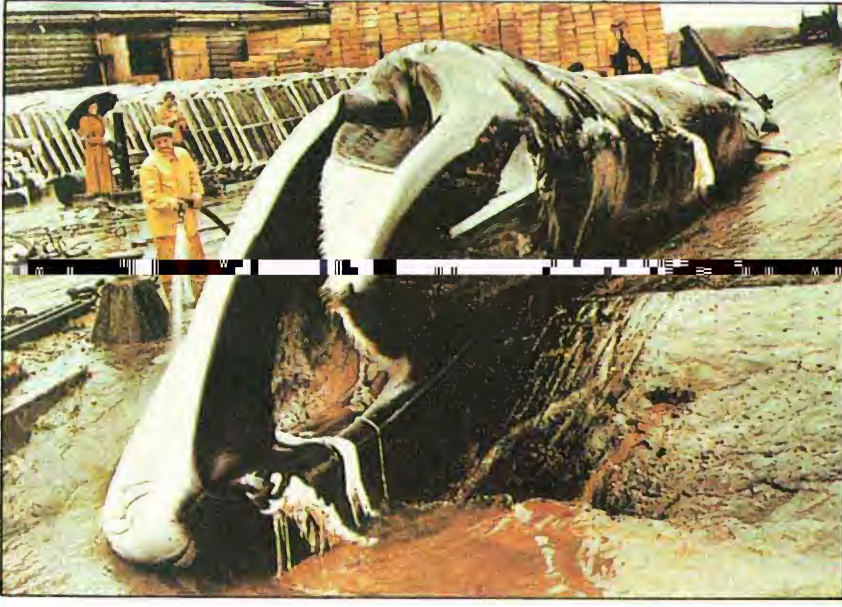
الصراع مع الإنسان

يرجع صراع الإنسان مع الحوت إلى عام ١٠٠ ميلادية ، عندما بدأ الأسكيمو والهنود الحمر اصطياده اعتماداً على لحمه وشحمه وباقى

وللحوت هجرة منظمة في جماعات أو «قطعان» مكونة من ذكر كبير يتولى قيادة القطيع ومجموعة كبيرة من الإناث والصغار وباقى الذكور .

في الصيف توجد الحيتان بأعداد كبيرة في مناطق القطب الجنوبي بحثاً عن الطعام وفي الشتاء تهاجر إلى الشمال حيث المياه الدافئة وتم عملية التزاوج ، وهي عملية طويلة يلبس فيها الصوت دوراً كبيراً لجذب الأنثى إلى الذكر .

وتتراوح فترة الحمل بين أحد عشر شهراً (الحيتان ذات البالين) وستة عشر شهراً (الحيتان ذات الأسنان) وتضع الأنثى مولوداً واحداً ، ولكن في بعض الحالات تضع الأنثى اثنين ، وأثناء عملية الوضع تحيط الإناث بالأم لحمايتها من الأعداء ، وحتى لا تنفصل عن القطيع وتخرج رجل المولود أولاً خلافاً للمألوف في الثدييات البرية حيث يخرج رأس المولود أولاً . وحالما يولد المولود فإن الأم تدفع به إلى



★ حوت ضخمة اصطيد وجر إلى الشاطئ حيث يبدأ العمال المهمة في تقطيعه للاستفادة من أجزائه المختلفة ★



★ الحوت الأبيض أثناء الزفير حيث تظهر «نافورة» الهواء الخارج من الرئة حيث يظهر على شكل سحابة بيضاء ★

أعداد الحيتان في النقص .. ففي عام ١٩٣٤ م ، اصطيد حوالي سبعة عشر ألف حوت أزرق ، ونقص هذا العدد إلى حوالي ألفين فقط في عام ١٩٦٤ م .

وفي عام ١٩٧٦ م ، اجتمعت اللجنة ومنعت الصيد في المحيط الهندي ومنعت صيد الحوت الأزرق والأحذب .. واليوم يقدر العلماء بأن نصف أعداد الحيتان في العالم قد تم صيدها في القرن السابق ولا توجد من الحوت الأزرق والأحذب والرايت إلا ٣٪ فقط من أعدادها الأصلية .

ويرى العلماء أنه ليس هناك ما يبرر صيد هذه الكائنات « الجميلة » الذكية ، لأن مجموع الزيت المستخرج منها لا يتعدى خمسة في المئة من إنتاج العالم من الزيوت الأخرى ، ويوجد بديلاً آخرًا للمستخرجات الأخرى من الحوت . ومن المفارقات أن هذا الحيوان الضخم يصبح طعاماً للكلاب والماشية .

إن الأمر متروك للإنسان ، فلو استمر الصيد على ما هو عليه الآن ، فلن يمر علينا القرن القادم إلا وقد انقرضت الحيتان ، ولن يبقى منها إلا المخطط في متاحف التاريخ الطبيعي !

« أ » .. وفي بعض الأحيان يوجد العنبر في أمعاء الحوت ، وهو مادة لزجة سوداء كريه الرائحة في البداية ولكن بعد فترة من الزمن يصبح له رائحة زكية جذابة ، ويستعمل العنبر (الذي قد يوجد منه ٤٠٠ كيلوجرام في الأمعاء) في مستحضرات العطور .. ولا يترك شيء هباء من الحوت حتى البالين يستعمل مشدات للسيدات ومضارب للتنس والفرش !!

أبقى الحوت أم ينقرض !!

عند ازدهار « صناعة صيد الحيتان » بدأت تنقص أعدادها وبالتالي كونت لجنة ، من كل الدول المشتركة في صيد الحيتان ، في عام ١٩٤٦ م ، بواشنطن وسميت « اللجنة الدولية لصيد الحيتان » ، لتنظيم الصناعة ووضعت عدة قوانين ، من أهمها عدم الصيد في مناطق معينة أو أوقات معينة حيث تتكاثر الحيتان .. عدم صيد الحوت الأحذب وحوت الرايت الذي صيد بكثرة في بداية الصناعة .. تحديد عدد أقصى من الحيتان التي يمكن صيدها .

ولكن بالرغم من ذلك استمر الصيد ولم تراعي بعض الدول هذه القوانين ، واستمر

الشرعية لصيد الحيتان ، وكان بعض البحارة يجلسون على أعلى ساري السفينة ، وعندما يرون « نافورة الحوت » (أثناء خروجه إلى سطح البحر للتنفس) ، كانوا يطلقون الصبحة المدوية « الحوت » !! وإذا بالسفينة تتحول إلى خلية نحل وتنزل القوارب إلى الماء وعلى ظهرها أمهر الرماة ، وعند اقترابهم من الحوت يقذفون في ظهره الرماح المتصلة بالحبال الطويلة ، وتبدأ عملية الصيد التي ينهك فيها الحوت ويمجر إلى السفينة ، فإما أن يسحب إلى الشاطئ أو يقطع على السفينة لاستخراج أجزائه المختلفة .

ولكن في النصف الأول للقرن العشرين ، طور أحد الصيادين طريقة جديدة لصيد الحيتان تعتمد على إطلاق قذيفة على الحوت تحمل في مقدمتها مواد تنفجر في داخل الحوت أو شحنة كهربائية تؤدي بحياة الحوت في ثوان .

ويستغل الحوت في عدة أشياء .. فمن الشحم يستخرج زيت للطعام أو للإضاءة أو لاستعماله في مستحضرات التجميل .. ويستعمل اللحم كطعام للإنسان والحيوان ، وتستعمل الأمعاء والعظم كعلف للحيوانات بعد تجفيفه وطحنه .. ويستخرج من الكبد الزيت الذي يحتوي على كمية كبيرة من فيتامين

همس الوداع

بصوت حاول أن يخافت من نبرته وبسالرغم من ذلك فقد وضحت
عصبية :

— هيه .. كيف الحال ؟

ترد أخته التي تتأمل عيناها على صفحة المرأة :

— وماذا تتوقع .. الحال كالأمس واليوم وغداً ..

يقول أخوها ، وهو يستدير في طريقه إلى الخارج :

— أليس عندك شيئاً تضيفينه خلاف ذلك ؟

ترد بصوت بارد ساخر : الخبر اليقين سينبئك به الطبيب في
المساء ...

تقلب المريضة في فراشها وتفتح عينيها نصف فتحة ، ثم تحاول رفع
يدها المعروقة النحيلة لكن اليد لا تقوى على أن تعلق أكثر من ثوان إذ
سرعان ما تهالك على جانب جسم المريضة .. وهنا تقوم الشابة الحقيقية
من على الأريكة محاولة الوصول إلى المريضة التي كانت في يوم ما حاتها إلا
أن الأخرى — ابنة المريضة — سرعان ما تستدير وشبح ابتسامة يرف
على شفتيها ثم تقف حائلة بينها وهي تقول للشابة :

— ألا ترين أنك قد قت بواجبك بما فيه الكفاية ؟

ثم تنتهد وهمس بصوت بارد كالنصل :

— لقد تعددت أفضالك فهلا خففت منها لست أضمن
ردها لك في يوم من الأيام .

تغض الشابة من بصرها وهمس بصوت خفيض :

— كما تشاؤون .. أعني كما تشائين .

لكن المريضة تتململ مرة أخرى وتشير بيدها لابنتها كي تساعدتها على
الجلوس ..

وهنا تسرع الشابة لإحضار وسادة من وسائد الأريكة ، إلا أن نظرة
من ابنة المريضة تتكرر وتأمّر بمساعدة هزة من الرأس :

— وفري على نفسك ودعي الأمر لي ..

ترنو العليلة إلى صفحة المرأة فتصافحها عينا من كانت زوجة لابنها

حجرة قبلية تقع في الدور الثاني لبنت كبير من طراز عتيق ، يطل
بخبرة سنواته الطويلة على أكبر ميادين البلدة ، فتهب عليه الرياح من كل
جانب ، وتسלט الشمس أشعتها على زجاج نوافذه التي تتغلغل بدورها في
عيون من يقطنون في هذا الدور ، وخاصة القابع منهم في تلك الحجرة
القبلية .

فيها سرير طويل وعريض لا زال لونه يميل للزرقعة مع أن عمره ينيف
على الستين عاماً ، يجاوره — على يساره — صوان ملابس مسورة واجهته
بمراة رائقة ساطعة تسجل كل ما يحدث في تلك الحجرة القبلية .

ويجاور عین السرير (كوميدينو) مغلف بلون أزرق حديث حتى
يمكن أن يتجانس مع طاقم حجرة النوم منذ أن أنشئت .

استجذت عليه زجاجات من كل الأطوال والأحجام ، ملأى بأدوية
بعضها سائل وبعضها جاف ، كحبات العدس أو الفول أو الحلوى .
وهناك ... أمام كل ذلك أريكة ليس فيها ما يميزها إلا أنها تجلب
الراحة لكل من يجلس عليها ، سواء شاهد ما أمامه أو سرح بخاطره وهو
يتوسدها .

السرير تنام عليه امرأة في العقد السابع من عمرها .. تعاصر كل ما
تحتويه الحجرة القبلية عدا الكوميدينو المستحدث ، معصوبة الرأس لا
العينين ، بمنديل أبيض يرتكز على جهة عريضة مخططة بخطوط بعضها
بفعل السنوات وبعضها انعكاس لصدى تصرفات من خالطها من
الناس .

تمتد ذراعها بجانبها كأنها تحتجزها أو تحميها من الوقوع ، تفصل
بين السرير وصفحة مراة الصوان امرأة لعلها في منتصف الحلقة الرابعة
تسوي — وهي واقفة — خصلة من شعرها ، ترنو إلى نفسها ثم إلى
أما التي تتوسد الفراش وكأنها تقول نعم ! أنا لا زلت شابة .

وعلى الأريكة المريحة تجلس امرأة متيقنة من شبابها دون أن ترنو إلى
حاتها تلك التي تتوسد السرير ، لكنها تخفض من بصرها وترنو إلى قدمها
بطريقة قلقة ثم يدخل رجل لعله أول من أنجبت تلك المرأة المريضة يقول

الوداع

اقترحنا أن نستعين بمرضعة تقوم بتمريضك وخاصة في المساء .

لكن الشابة تضطر لقطع الحديث متبرعة بقولها :

– لا داعي للاستعانة بممرضة .. أنت تعرف تماماً بأنه ليس هناك ما يشغلني سأقوم بخدمتها وأنا راضية .
ويقول سعيد : لا تحاولي استثارة شفتها نحن نعلم تماماً أغراضك الحقيقية لم أكن أريد مصارحتك لولا إلحاحك في فرض نفسك علينا .. لقد مات أخي .. مات لم يعد هناك ما يربط بيننا . والآن أتمنى لك حظاً سعيداً و ليلة هائلة في بيتك ولكن ..

تمّ خطا نحوها بضع خطوات وهمس إليها بصوت أكثر برودة وحدة من صوت أخته :

– تعلمين يقيناً أن مرضاً خطيراً أصاب حنجرة أمي فافقدتها القدرة على الحديث ولم تبقى لها إلا أيام معدودات ، لكنها مع ذلك وفي فترات صحوها عندما يتلاشى تأثير الغدر من كل هذه الأدوية .. تدرك تماماً ما يدور حولها .

أما الشابة وقد أضاءت مخيلتها صور جديدة تقول وهي تخطو إلى

– لقد قرب الليل على الانتصاف ومع ذلك .. فإني خارجة .

وعندما يفرد سعيد بوالدته... يتأمل بعينيه الحادتين الأريكة ثم
تخترق نظراته داخلها وتقلب محتوياتها وإذا بتنهيدة الراحة والأحلام المقبلة
تبعث في وجهه بابتسامة عريضة. ويصبيه شيء من الانفعال فيرج ويحيء
أمام صفحة المرأة وشيء في داخله يستحثه :- خمسة من الأرفف ثم
علبة حديدية مغلقة.. ترى في أيها اخفت ما كانت تتحلى به
لأبي طوال السنوات الماضية ؟

ثم يزفر بعصبية ويغلق - دون وعي - باب الحجره بعنف .
وتصحو المريضة في جزع بعد سماعها صوت ارتطام الباب وتدور
عينها في زوايا الحجره وتبدأ حديث المرأة فيرد عليها صوت أخرس
يذكرها بعجزها . وترنو بنظر كلييل إلى الأريكة الخالية ثم إلى
الكلمة **مليدينو والحديث** التي يحمل العقاقير المتباينة وتتحسس بيدها اليمنى
الأوراق والقلم من تحت الوسادة فقد كانت وسيلتها للتخاطب . لكنها لا
تجد شيئاً . . تعاود الكرة . . ومن ثمة تحطّر لها فكرة . تحاول البحث على
زر الجرس لكن المرأة التي تسجل كل ما يحدث تؤكد لها أن جبل الجرس
مدلى إلى ما تحت السرير .

في يوم من الأيام تقول عينا المريضة : - أوتذكرين؟

ترد عينا الشابة - كنتها : - منذ أول يوم ..

وتكاد تحس بإجابة المريضة :

— كنت بعافية وصحة وذات إمارة .

تبتسم عينا الشابة بسمة ناعبة وترد :

— سيبقى لك كل شيء .

لكن العليلة ترد صفحة وجهها :

– كان عذري أنني تقمصت شخصية أمك فسمحت
لنفسي بقيادتك .

وهنا ترد عينا الشابة أن تنظر خلصة إلى ابنة المريضة :

— مع انك لم 'بماترسي حقوقك' الاثوميه 'الطبيعيه'.

عندئذ تشيع المريضة بوجهها .. لكنها بعد ثوان سرعان ما تسترد

بعضاً من وعيها ، ثم يعلو صدرها وتستأنف حديثها الصامت :

— « لو لم ألقنك كل شيء .. كل شيء إذن فما الذي جاء

بك هذه الأيام .. أيام مرضي .

وتحاول الشابة أن تقول : - كان هناك من يجمع بيننا .

— وقد ذهب إلى غير رجعة .

۱۔ اہل اہم: منہجی، بلند۔

نقول ابنة المريضة وقد توترت أعصابها من هذا الصمت الثقيل :

— أماه ألا تريدن شيئاً؟ ليس هناك من يشاركك آلامك

ومتاعيك سوانا .. سعيد أخى وأنا ، أما زوجى فكما تعلمين

مريض .. وأعصابه مرهقة لا يتحمل ..

ترفع أمها يدها التي تنوب عن صاحبيتها في الحديث : - لا

تکملی .. أعرف كل شيء .

تخرج الابنة وتسريراً يكشف عن شخصيتها المدللة الالهية .

وإذا بحديث المرأة يستأنف حوارها .

تکاد تقول الشابة :

— ما الذى ترمى إليه ابنتك من حديثها الآخر؟

تبتسم المريضة ابتسامة مينة وتقول وهي تهر رأسها الأثيب

المعصوم :

— هـ لا حولي، ان يعزني مني الكثير.

لكن ساعد ابن المريضة بدخا، فحاة بخطوات واسعة منطلقة ويقول

بصوت عال :

— أماء هل تریدین شئاً الآن؟

سده أن أخته قد أصابها التعب وقد اقترحت .. أعني

« لم أكن أريد شيئاً - قبل النهاية - إلا أن أختتمها برؤياك .. لقد ظننا بأنني نائمة متهاكة . نصف ميتة لكنني كنت واعية . بالرغم من أنني تظاهرت بالغفو كي أساعدهما على أن يحصلوا على كل ما يريدان حتى أجنبها تأنيب الضمير الذي - ربما - يستيقظ فيما بعد !

أعرف بأنني مسؤولة إلى حد كبير عما حدث ... لقد حرمت نفسي قبل أن أحرمهما ... من كل هذا المتاع . أما أنت ... »

ثم تركت القلم بجانبها لاهثة الأنفاس ومن حيث لا يعلم أحد حفرت دموعاً محتسبة أخاديد كانت موجودة أصلاً على وجنتين ذابلتين .. وعلا صدرها وتسارعت أنفاسها ، وبرعشة حنونة امتد هيكلا يدين لم يحتفظا تماماً بشكلهما الأصلي عدا أظافر عجفاء مشققة ، وقوة مستميتة ضغطا على يدين ناضرتين حائيتين ثم تحسساها بحب اندفن زماناً طويلاً قبل أن يبعث ، وأخيراً استأنفت العجوز الكتابة ...

- هل كنت تعرفين نية أبنائي ؟
واسترسلت في تساؤلها : يعلمان تماماً أنك لن تشاركيهما شيئاً .. لا أنت أو غيرك ... لماذا يتعجلان لماذا ؟
ثم سؤال أخير : - ألم تحقدي عليّ طوال تلك السنوات ؟
لقد أسأت معاملتك وأوقعت بينك وبين ابني الحبيب ثم فرقت بيننا الأيام والآلام فما الذي أتى بك ؟

قالت الشابة : - أنسيت يا .. أمي بأنك صاحبة الفضل في الحجاب زوجي الراحل لقد أوصاني قبل وفاته أن أركأ .. واختطفت العجوز القلم وسطرت بحماس : - إذن فإن النهاية قد قربت أكثر مما أتصور .

- لا يا أمي .. بل أنا التي تأخرت في المجيء وكنت مترددة وخائفة أن ترفضيني كما رفض أبنائك مجرد زيارتي .
وامتدت يد العجوز حول رقبتها وأخرجت من حول عنقها سلسلة ذهبية طويلة يتدلى منها مصحف مرصع وقالت عنها :
- أغلى ما عندي .. خذي احتفظي به .. علني أكفر عما فات ...

في الحجرة القبلية التي تقع في الدور الثاني لبيت كبير من طراز عتيق يطل بخبرة سنواته الطويلة على أكبر ميادين البلدة فهب عليه الرياح من كل جانب . أما الشمس التي تسلط أشعتها على زجاج نوافذه التي تتغلغل بدورها في عيون من يقطنون في هذا الدور وخاصة القابع منهم في تلك الحجرة القبلية فقد غربت واستحال النهار ليلاً قطيفاً مرصعاً بنجوم متلاثة بعيدة .. بعيدة .. بعيدة ..

ولا نجد أمامها إلا ساعديها نصف الميتين فتحاول التصفيق مرة .. ومرة .. ومرة ويدل أن تلتقي كفاهما .. تحس بالحجرة القبلية تدور أمام عينها الكليلتين فتقفز المرأة ناحيتها وتصفعها وتنقلب الأريكة لتلفظ أنفاسها الأخيرة وتبعثر كل ما ادخرته طوال حياتها .

أما الكوميديون المستحدث بما عليه من زجاجات من كل الأطوال والأحجام ، فقد تناثر ومزق وجهها ويديها العاجزتين . وبعد ثوان من تأكدها بأن كل شيء لم يتحرك من موضعه ، أيقنت بأن هذه الرؤى كانت من تأثير الدوار الذي أصابها . ثم أحست بأنها تنوه وتنوه .. وأن هناك من يعتصر رقبتها ويضغط على أنفاسها .

أما خارج الحجرة القبلية فقد كان هناك عالم آخر صغير أحد أطرافه سعيد ابن العجوز المقعدة المتهاكة على فراش يئن ويتوجع .

قال سعيد لأخته :

- أخيراً أفلحت .. حسمت - مع زوجة الأخ الراحل - الموقف . حقيقة لم أستطع - بالتحديد - سبر غور أعماقها . فنقول الأخت وهي تمز ساقها بعصية لاهية : - دعنا منها الآن .. الوقت ضيق لم يستقر رأيك على شيء بعينه .

يطرق سعيد إطراقة يشوبها القلق والخوف من أمر تردد كثيراً في الإقدام عليه . يقول ثم يرد : - في الواقع لست أدري بالضبط كيف أتصرف .

وتضحك الأخت بسخريّة وتقول : - إن كنت ستعرض وحدي سمد مزله من أجل أن أنطق على اسمك .. ما رأيك .
فتبرق عيناه وتنبثق أمامه بعض الصور متضمنة الأريكة وصوان الملابس ، وفي دقائق يفتح باب صغير يفصل بين عالمين ... ثم ... !! ؟

لم يكن في الحسبان أن تطرق - الشابة الحقيقية - باب هذا البيت الكبير وأن تصل إلى دوره الثاني قاصدة تلك الحجرة القبلية .. في نفس تلك الليلة .

وقد أجابت على أصحاب الدور بأنها لم تتمكن من الوصول إلى بيتها وحيدة في تلك الساعة المتأخرة .

وربما كانت تلك هي الحقيقة وربما سبب آخر دفعها كي تسدل الستار بيديها .. وبعد أن أغلق الباب الصغير الذي يفصل بين عالمين ، ارتدت الشابة إلى عالم كبير كان يجمعها به أشياء وأشياء .

فتحت المروضة العجوز عينها الكليلتين وأومأت إلى الشابة بإبتسامة قلبية حلوة أن تساعدها على العثور على الأوراق والقلم من تحت الوسادة ثم خطت - بصعوبة - أولى الكلمات وبعدها استرسلت في الكتابة .

الفعل اللازم

واستوى الفعل اللازم
في مجلسه ، وقد بدت ملامح
الغضب على فائه وعينه
ولامه ، وابتدر محدثه
قائلاً :

وبحك أيها الفعل المجاوز ،
الا تستحي ، ومن أين يأتيك

المعنوية ولا تبلو بلاني ، أتع على
مفعول واحد أو مفعولين أو ثلاثة
مفاعيل . فأين وجه الغرابة في
دخولي على المبتدأ والخبر ،
وتجريدي لهذين الاسمين من
علامات الرفع ، مادمت حين
أدخل على تلك الجمل أعطيتها
زمان ، وأشدها إلى عصري ،
وأقدم منها باسم التحويل
والتغيير ، والمشاعر القلبية
والإنسانية ؟؟ .

المجاوز ! وما أشقى الأسماء التي
يحدوها سراب ، وتأنس إلى جمل
تمتن فيها صيغة المذكر والمؤنث
والمفرد والجمع ! .

وانتفض الفعل المتعدي ،
ويجهد تمالك حروفه ذات الناب
والخلب وقال : ترقق يا أخوا
الكلمة والصوت ، كلانا من
طينة واحدة ، حدث مقترن
بزمان ، ولولا فعل مثلي ينشب
حروفه الحادة في جسد اسم

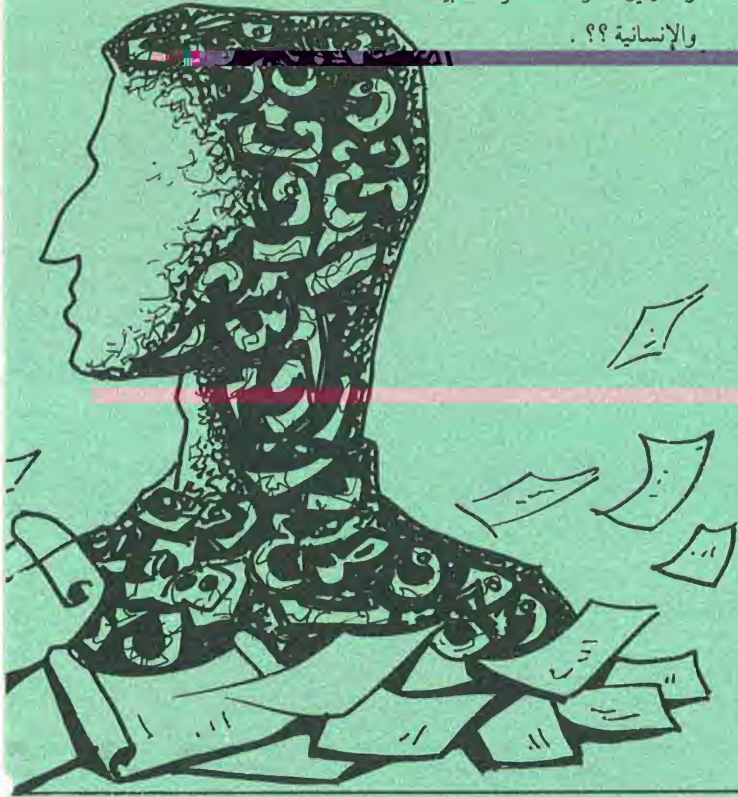
وديع ، أو جملة اسمية ساذجة ، لما
قبل عنك لم يعرف التاريخ فاتحاً
أرحم من الفعل اللازم ، فلماذا
تذكرني دائماً بحقوق الأسماء ؟ وما
علاقتك أنيت بدلالاتها ومواقعها
في سياق الكلام ؟ ألا تسرى
الفاعل في جملي ، كيف يتقلد

الضمة ويدخل قاعة النص
ماخوذاً بفعله الواقع على أكثر من
مفعول به . لنقل لك نصف
اللغة ، ولي نصفها ، وهكذا
ننتهي من القيل والقال ،
وينصرف كل منا إلى عمله ، وهو
مطمئن الأذن والجانب . وأنا كما
تعلم عامل لفظي طويل
الساعد ، لا تضارعني العوامل

كان الفعل اللازم يفتح
أبواب الجمل الحية لكل
الأسماء ، على اختلاف أجناسها
والوانها والسنتها ، ويدعوها جميعاً
إلى مقعد الفاعل في قاعات
النصوص المليئة بآلاف المقاعد
المتلاصقة كتفاً كتفاً والمتساوية
ساعداً وأفقاً .

إنه فعل يكره العدوان ،
ويعرف صيغ الأفعال التي
ترجح في موازينها كفة التراب
على كافة الضوء ، فكيف يسكت
عن الظلم ، وليس لحيطان الماء
سلطان على فمه ولسانه ؟ جملة
تدل على معنى قائم بالفاعل
لازم له ، لكن تلك الدلالة
لا تصدر صوته ورثتيه ، وهناك
من يسلط الاسم على الاسم ،
ويعجد الغالب بنفوذ الضمة ،
ويسوق المغلوب بعصا الفتحة ،
ولا تأخذه بالمستضعفات شهامة
عامل نبيل ، فيدفعهم إلى هاوية
الخفض . الرفق بالقوارير ليس
من شيمة فعل متعلو .

والتفت الفعل اللازم
إلى الفعل المتعدي وقال :
ما أغرب بنية الاسم أيها الفعل



الفعل المتعدي

الجر؟ ولماذا تدخل علينا النص في زي فعل مطاوع، أو مشرب، وتخلق حولك النحاة، وأنت فعل قاصر ليس إلا؟..

وجلجل صوت الفعل اللازم في الأذان: ما أجهلك بالفطرة! الأصل في الأفعال اللزوم، فكيف تسمي العدل قصوراً، وتبيح لنفسك العدوان، وتريدني بعد هذا أن أقف مكتوف البنية والحرف، أرى إلى الأسماء وهي تتقاتل وتتناحر، والضمّة حق مشروع للجميع، سواء أظاهرة كانت أم مقدرة؟. اسمعني جيداً إياك أن تحرك لسانك مرة أخرى، بقول يلبس الظلم ثوب العدل، (لك نصف اللغة ولي نصفها) فثلي لا يساوم، وذاك كلام لا يعني أذنً ولا يسمن ورقة أو سطرأ. اللزوم هو الأصل، والباقي بنيات طريق.

وردت الأقسام والأوراق والسطور: اللزوم هو الأصل. هو الأصل. الأصل.

وحركات إعرابها، ومغلب ناشب في خطوات الجملة الاسمية على السطر والمأش. وفجأة صاح بكل ما في آتيايه من بني وقتل:

«سَيان عندي المدح والقدح، أنا الفعل المتعدي والواقع والمجاوز، تلك هي صيغتي، ناب ومغلب يوقعان العداوة والبغضاء بين الاسم وأخيه. فمن اختارني وأثرّب في قلبه التراب ملكته أكتاف المفاعيل، أو جعلته مفعولاً به، ودمغت جيبته بفتحة أو كسرة، ومن أثر صيغة اللزوم والقصور واطمأنت حروف بنائه إليها فذاك شأنه. لكن قل لي لماذا تتنكب همزة النقل، وتضعف العين، وتتركز على حروف

والنصب؟. وهمّ الفعل المتعدي بالكلام، لعله يتوارى خلف لسانه، فتخلله صوته، والنفطات شفتاه ويبست الكليات في حلقه، وبرزت سحته للعيان عارية من مساحيق الماء والروتق، وأقنعة اللفظة والبسمة. إنه ناب ومغلب. ناب والغ بأواخر الأسماء،

الخجل وعيناك الزجاجيتان تحقدان في وجوه الآخرين كزيرين في عروقي قميص؟ أتظنني أغرق في شبر كلمات، ومجدعني فم ينفخ فقائيع ألفاظ وأصوات، عن يد تتريص بالأسماء والجميل المفيدة دوائر الخفض



قصة: مارلـتوين
ترجمة: ياسر الفهد



سمكة القرش

● وسأكلها بعظامها . إلى بالجل .
ناوله الصياد الجبل وهو يقول :
- سأتركك بضع لحظات كي لا يفسد عليك نخسي . وقد
لاحظت مراراً عديدة بأنني إذا ...
قطع عبارته بغتة وهو يحدق في الماء وما لبث أن صاح :
- مرحي ، مرحي . شد الجبل .. اسحب .. اسحب يا
رجل .. لقد علقت سمكة بالشص ! .. ها هي قد ظهرت ..
لقد عرفت منذ رأيته أنك من مواليد الحظ ..
كانت سمكة قرش ضخمة جداً ، ذات حجم غير عادي ، يبلغ طولها
حوالي تسعة عشر قدماً . وبعد أن أخرجها إلى البر فتح الصياد بطنها
بسكينته وقال للشباب :
- عليك الآن بتنظيف جوفها ريثما أذهب لاحضار طعم
جديد من السلة .. وكثيراً ما يعثر على أشياء ذات قيمة في
جوف هذه الأسماك . ها إنك قد أبدلت سوء حظي .. ولكن
بودي أن يكون طالعك أنت أيضاً قد تبدل إلى أفضل .
● لا عليك ، فلا تقلق بالك بهذا الأمر . اذهب واحضر الطعم
ريثما أنظف السمكة .
انهمك الشاب في عمله واتجه الصياد نحو سلته لاحضار الطعم ،
وعندما عاد كان الشاب قد فرغ للتو من غسل يديه في ماء الخليج بعد أن
فرغ من عمله وعثر في جوف السمكة على ما عثر . وعندما استدار معتزماً
الانصراف ، صاح الصياد مندهشاً :
- ماذا ! أذهب أنت ؟!
● نعم ، أستودعك الله .
- والسمكة ، ألا تريد أن تأخذها ؟
● وماذا تفيدني ؟
- ماذا تفيدك ؟! أعجبتني قولك يا صاح . ألا تعلم أن
بإمكانك الحصول منها على ما لا يقل عن مئتين شلناً ؟ فـ
قولك الآن ؟
● حسناً ، باستطاعتك أن تأخذها لنفسك .

في عام ١٧٨٠ م ، كانت أستراليا مستعمرة إنجليزية شبه معزولة عن
العالم ولا يربطها به سوى باخرة تزورها مرة واحدة في كل شهرين . وقد
كانت شواطئها مسرحاً لأسماك القرش ، تلك الأسماك الوحشية الضخمة
ذات السرعة الهائلة التي تفوق سرعة سائر المخلوقات المائية وأسرع
السفن .. وهي إلى جانب ذلك تميل إلى التجوال ، فتجوب المحيطات
طولا وعرضاً وتزور كل شواطئها خلال نزهاتها الطائشة .
في أحد أيام ذلك العام ، نزل على الشاطئ الأسترالي في مدينة
سدني مهاجر يدعى (سيسيل رودس) وهو شاب في مقتبل العمر ،
يفعم نفسه الطموح وتملاً قلبه الآمال العذاب . حاول في بادئ الأمر أن
يجد العمل اللائق الذي يناسب مطامحه ويتناغم مع تطلعاته ولكن دون
جدوى ، فلم يكن يعرف أحداً في تلك البلاد . وكلما مر الوقت وقلت
نقوده ازداد تواضعاً في مطلبه حتى انتهت به الحال إلى أن أصبح مستعداً
لقبول أنفه الأعمال مقابل حصوله على الخبز والمأوى كي يقيم أوده . ولكن
الحظ استمر في معاكسته حتى جاء يوم نقد فيه كل ما لديه من نقود ،
فانطلق هائماً على وجهه يجوب شوارع المدينة وطرقاتها بلا هدف وهو
يفكر ، وانقضى النهار وحل الليل واستمر (سيسيل) في تجواله وجوعه
يشند حدة حتى بزغت خيوط الفجر حيث لقي نفسه يسير في محاذة شاطئ
البحر بعيداً عن المدينة . وفيما هو في سيره صادف أحد صيادي سمك
القرش ، فلما رآه هذا قال له :
- أيها الشاب ، هل لك أن تمسك عني بهذا الجبل ، عساك
أن تبدل فيه سوء طالعي وتصرف عني النحس الذي يلازمني
ويتشبث بي ؟
أجابته الشاب :

● وماذا يضمن لك بأنني لن أزيده سوء ؟
- ذلك غير ممكن ، لأن حظي بلغ أسوأ مبلغ طيلة هذه
الليلة وحتى إذا لم تنجح في طرد النحس عني فلن يحدث أي
ضرر ، وإذا نجحت فذلك أفضل طبعاً .
● حسناً ، وماذا ستعطيني في هذه الحالة ؟
- سأعطيك السمكة التي تستطيع اصطيداًها .

- هذا عجيب حقاً! يبدو لي أنك أحد أولئك الأثرياء غربي الأقطار. صحيح إذن المثل القائل (لا تحكم على أحد من خلال ملابسه) .. فعلى الرغم من ملابسك الرثة وأسمالك البالية فإن من المؤكد أنك من الأثرياء.

● هذا صحيح.

ترك الشاب قدميه تقودانه الهوينا في اتجاه المدينة بينما غرق في لجة من التفكير. وفي المدينة أحس بالجوع يعتصر أمعاءه، فتوقف عند إحدى واجهات بيع الطعام وتناول افطاره. كانت وجبة وفيرة كلفته خمسة شلنات، فبعثت في أوصاله النشاط والانتعاش. لقد تبدل حاله الآن. ألقى نظرة على بقية النقود الفضية التي عثر عليها فيما عثر في جوف السمكة ورأى أنها لا تكفي لشراء البسة جديدة. واستمر في طريقه.

* * *

في الساعة التاسعة والنصف من ذلك الصباح كان أغنى تاجر للأصواف جالساً في صالون منزله يطالع صحيفة الصباح. أطل عليه خادمه وهو يقول:

- عند الباب شخص أفاق يطلب مقابلتك يا سيدي.

● ولماذا تأتي إلي بمثل هذه الرسالة؟ اصرفه وشأنه.

- لقد حاولت يا سيدي، ولكنه يرفض الانصراف.

● لا يريد أن ينصرف؟ هذا عجيب! لا بد أنه أحد شخصين، فلما أن يكون معتموها أو جديراً بالاعتبار. هل هو معتموه؟

- كلا يا سيدي. لا يبدو عليه ذلك.

● إذن فهو جدير بالاعتبار. وماذا يريد مني؟

- لقد رفض أن يقول لي يا سيدي .. وكل ما قاله إنه يريدك لأمر هام ولن يذهب قبل أن يجتمع بك ولو اضطر للبقاء على الباب طوال اليوم.

● ومع ذلك فهو ليس معتموها. أدخله إذن.

انصرف الخادم .. وبعد هنيهات دخل الشاب فجعل التاجر يتأمله متفحصاً وقال في نفسه إنه ليس معتموها. ثم خاطبه بصوت عال:

- حسناً، أيها الشاب الطيب، كن سريعاً في عرض طلبك ولا تصنع دكمه واحدة عيتاً! قل ما هو مطلبك؟

أجاب الشاب على الفور:

- أريد أن أقترض منك مبلغ مئة ألف جنيه.

صعق الرجل وجعل يحدق في الشاب المائل أمامه وهو يقول في نفسه، يا إلهي، لقد أخطأت إذن .. إنه معتموه. ولكن لا .. لا يبدو عليه ذلك.

ثم صاح والدهشة آخذه منه كل مأخذ:

● ماذا تقول؟! لقد بهرت أنفاسي. تعال .. من أنت؟

- شخص لا تعرفه.

● وما اسمك؟

- (سيسيل رودس).

● لا أذكر أنني سمعت بهذا الاسم من قبل. لكنني أعجب ما الذي حدا بك للمجيء إلي في مثل هذا المطلب العجيب؟! - إن ذلك بهدف ربح مئة ألف جنيه لي، ومثلها لك، في غضون الستين يوماً القادمة.

● حسناً .. حسناً، هذه أعجب فكرة سمعتها في حياتي. اجلس، لقد أثرت اهتمامي وأحدثت أثراً في نفسي. ولكن ليس اقترحك الذي أثار في، بل هو شيء آخر لا أدري كنهه تماماً، يكن في شخصيتك وينبع من ذاتك. والان، يا للعجب، فهمت أنك راغب في اقتراض ...

- بل إني مصمم.

● عفواً، هكذا إذن. يلوح لي أنك غير مقدر لاهمية هذه الكلمة، وقوتها.

- بل أدرك قوتها تمام الإدراك.

● حسناً، ولكن انتظر لحظة. دعني أمشي قليلاً، فلاني أشعر بأن عقلي أصبح يدور في دوامة.

وقام الرجل يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً وهو يفكر بأمر هذا الشاب. من الواضح أنه ليس معتموها. ولكن هل هو جدير بالاعتبار؟ في الحقيقة أنه قد يكون على شيء من هذا أو أكثر.

وعاد يجلس في مقعده وهو يقول:

● أما الآن، أعتقد أنني تجاوزت حدود الانصعاق، ولم يعد هناك ما يمكن أن يصعقني بعد الذي سمعته .. فقل لي الآن ما هو مشروعك؟ - شراء محصول البلاد من الصوف في خلال ستين يوماً. ارتاع الرجل ولبث يحدق في الشاب جاحظ العينين ثم صاح مشدوهاً:

● ماذا تقول؟! أتريد شراء محصول الصوف بكامله؟! - نعم، المحصول بكامله.

● لا، هذا ما لم يكن يخطر لي على بال .. ظننت أنني أصبحت بمنأى عن التأثير والانصعاق بمفاجأتك. فهل تعرف كم يساوي هذا المحصول؟

- مليونان ونصف من الجنيهات أو أكثر قليلاً.

● لا بأس. تقدير صحيح على كل حال. ولكن هل تعلم كم من المال تحتاج لدفع التأمين الأولي لصنقات شراء المحصول؟

- المئة ألف جنيه التي طلبتها منك.

● تقدير صحيح في هذه المرة أيضاً. حسناً يا صديقي، فلننظر الآن فيما سيحدث لو أعطيتك المبلغ الذي تطلبه واشترت المحصول.

- سوف أحصل منه على ربح لا يقل عن مائتي ألف

جنيه.

● تعني طبعاً أنك قد تربح ..

- بل قلت «سوف».

● حقاً إنك قلت سوف .. لم يسبق لي أن رأيت شيطاناً أكثر منك

تحديداً في استعمال الألفاظ . إن الكلام المحدد يا عزيزي معناه توقد في القريحة وصفاء في العقل . وأنت بوصفك شاباً غريباً يسعى وراء مشروع ضخم لشراء محصول البلاد من الصوف . لا بد أن لديك ما تعتقده سبباً منطقياً للمجازفة بدخول هذا البيت . حسناً .. إليّ بهذا السبب فإنني أصبحت مستعداً للإصغاء إليك بهدوء وقد تكيفت الآن ضد الانصعاق بمفاجأتك . فلماذا تريد شراء المحصول وكيف يتسنى لك أن تحمي منه هذا الربح الخيالي ؟ ما الذي يجعلك تظن .. ؟

— إني لا أظن ، بل أنا واثق ولا يربيني أي ريب .

● تحديد مرة أخرى . وما الذي يجعلك تثق ؟

— ذلك أن فرنسا أعلنت الحرب على ألمانيا فارتفعت

أسعار الصوف نتيجة لذلك بمقدار ١٤٪ في أسواق لندن ، ولا تزال الأسعار في صعود مستمر .

فقال الرجل ببرود وتهكم :

● أوه ، حقاً ؟ لقد وقعت بيدي الآن . لا ريب أنك كنت تتوقع أن يطيش هذا الخبر العظم صوابي ويجعلني أقفز من مقعدي ، لكنك ترى أني لم أجعلني أسعداً ، وذلك لسبب بسيط هو أنني قرأت - لا أنصح - هذه المطبوعات وبسبب طليتها والارواح المتبيلة إذاً لم ألتفت . فعلاً وصلت - بل لاخره - في الساعة الحادية عشرة من الليلة الماضية وكانت قد غادرت لندن منذ خمسين يوماً . وكل ما تحمله من أخبار العالم مدون هنا في هذه الصحيفة . ولا تلوح غيوم أي حرب في أي مكان . وأما فيما يتعلق بـسور - من أكسد بضائع السوق الإنكليزية . والآن جاء دورك لأن تقفز .. حسناً ، لماذا لم تقفز ؟ .. مالي أراك جالساً هكذا بهدوء ؟

— لأن لدي أنباء أحدث مما تحمله هذه الصحيفة .

● أنباء أحدث ؟! أنباء أحدث من خمسين يوماً . وقد جاءت بها أسرع باخرة من لندن .

— إن أنبائي تعود إلى عشرة أيام فقط .

● هذا كلام مجانين ! فكيف يمكن أن تحصل على هذه الأنباء ؟!

— لقد حصلت عليها من سمكة قرش !

انفض الرجل كما لو انقضت على رأسه صاعقة ، وهب على قدميه وقد غلت مراحله سخطه وهو يصيح :

● يا للهول .. يا للهول . هذا كثير جداً . أين الشرطة يبدو أن مستشفيات المجانين قد فتحت أبوابها ..

فقال له الشاب :

— اجلس واسترد هدوءك .. ما الداعي لهذا الهياج .. ولماذا أراك هكذا مهتاجاً ؟ عندما أقول شيئاً لا يسعني تقديم الدليل على صحته فعندئذ سيكون لديك متسع من الوقت لبدء رأيك في جنوني وأوهامي .

خجل الرجل من سلوكه وقال معترداً :

● أوه ، ألف ألف معذرة ! في الحقيقة يجب أن أخجل من نفسي . غير أنني أعجب كيف يمكن إرسال سمكة قرش إلى لندن لاحضار قائمة بأسعار السوق ..

في هذه الأثناء كان الشاب منهمكاً في كتابة ورقة وقال :

— ما هو اسمك الأول يا سيدي ؟

● اندرو . ولكن ماذا تكتب ؟

— لحظة من فضلك ، إني أكتب لك تفاصيل قصة

السمكة وأشياء أخرى .. عشرة أسطر فقط .

ولما فرغ الشاب من كتابة الورقة قدمها للتاجر وطلب منه توقيعها .

قال الرجل :

● أشكرك كثيراً ، ولكن دعني أرى ما فيها أولاً .

وما كاد يقرأ ما في الورقة حتى ارتسمت أمارات الدهشة والاهتمام

الشديد على وجهه وهتف بانفعال :

● أوه .. هذا مدهش .. وفي غاية الأهمية ! .. برهن على صحة ما هو مكتوب هنا وأؤكد لك بأنني سأدفع المبلغ الذي طلبته بل ضعفه أيضاً إذا لزم الأمر . وها أنذا سأوقع الورقة . أربي نسخة من صحيفة التايمز تحمل تاريخ (قبل عشرة أيام فقط) .

فناول الشاب الصحيفة التي عثر عليها في جوف السمكة وبعض الأشياء الأخرى وهو يقول :

— ها هي الصحيفة . وهذه أيضاً أزرار ومفكرة الرجل

الذي ابتلعت السمكة . ومن المؤكد أن ذلك حدث في نهر التايمز ، إذ إن آخر تدوين في المفكرة مؤرخ في لندن بالتاريخ نفسه الذي تحمله الصحيفة وبلغه ألمانية مما يدل على أن الرجل ألماني . وهو يقول في هذا التدوين أنه في طريقه إلى بلاده بسبب إعلان الحرب . ومن الواضح أن السمكة التهمت قبل انتهاء ذلك اليوم . فيا للمسكين !

● حقاً إنه مسكين . لكننا سنؤجل أمر النأسف عليه إلى وقت آخر ، فلدينا الآن من الأعمال ما هو أهم . يجب أن أسارع الآن إلى السوق لأبشر عمليات شراء المحصول . إن هذا سيؤدي إلى إنعاش النفوس الخائرة ولكن إلى حين . كل شيء في هذه الدنيا مآله إلى زوال .. لا بد أنهم سيففون بعد ستين يوماً عندما تصلهم أنباء الحرب وارتفاع الأسعار ، وحينئذ تطالبهم بتسليم البضائع . هيا معي . وسأخذك أولاً إلى الخياط لأشتري لك ملابس جديدة . ماذا قلت لي اسمك ؟

— سيسيل رودس .

● إنه اسم صعب . ولكن أرجو أن يصبح أكثر سهولة على مر الأيام .

إن هناك ثلاثة أنواع من الناس وهم العوام والمحترمون والمعتوهون . وسأصنفك من الناس الجديرين بالاعتبار .

وتم عقد صفقات شراء محصول الصوف . وما إن وصلت أنباء الحرب وارتفاع أسعار الصوف بعد ستين يوماً ، حتى حقق المشروع نجاحاً كبيراً ، وفاض على أصحابه بأرباح وفيرة ، فحصل منها الشاب على أول وأكبر ربح في حياته ينتشله من حياة الضنك والبؤس إلى حياة الرغد والثراء .

التقارب

مثله مثل الشنفرى والسليك ، وقيل إنه كان يلحق بالطبي في الفلاة فيدركه ، توفي سنة ٥٤٠ م .



ثابت قطنه :

اسمه ثابت بن كعب بن جابر العتكي ، من شعراء وشجعان الأزدي ، عاش في العهد المرواني إبان العصر الأموي ، شهد الوقائع في خراسان وأصيب بسهم في عينه فاودى بها فجعل عليها قطنه فعرف بها ، استمرت معاركه مع الترك إلى أن قتلوه سنة ٧٢٨ م .



المجاحظ :

اشتهر بلقبه الدال على تنوع حذقته وجحوظها ، واسمه أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، ولد ومات في البصرة ، زار بغداد ، ولاية المأمون ديوان الرسائل فلم يستطع البقاء تحت قيوده ، زار دمشق وأنطاكية ومصر ، انضم إلى المعتزلة ، لم يترك مجالاً إلا وكتب فيه ، ألف حوالي ٣٠٠ كتاب منها البخلاء ، والحيوان ، والبيان والتبيين ، ولقد أصيب بفالج نصفي في آخر حياته ، فعاد إلى البصرة ، فتلته مجلدات من الكتب سقطت عليه سنة ٨٦٩ م .



الحشاشون :

فرقة إسماعيلية سرية دعت إلى إمارة نزار بن المنتصر ، مؤسسها الحسن بن الصباح ، الذي وفد إلى مصر ، وانضم هناك إلى مؤيدي إمارة



إخوان الصفا :

جماعة سرية ، دينية وسياسية وفلسفية ، شيعية أو إسماعيلية باطنية ، عاشوا في البصرة في النصف الثاني من القرن الهجري الرابع ، ونذكر منهم خمسة : محمد المستي ، أبو الحسن الزنجاني ، محمد النهرجوري ، المعوضي ، وزيد بن رفاعه . وسميت بذلك لأنها تألفت وتضافت واجتمعت على القدس والطهارة ، ولقد وضعوا مذهباً زعموا أنه يؤدي إلى الفوز برضوان الله ولذلك سمو بإخوان الصفا وخلان الوفا .



ابن البواب :

هو علي بن هلال أبو الحسن المعروف بابن البواب ، ولقب بذلك لأن أباه كان بواباً لبيت القضاء في بغداد ، وهو خطاط مشهور ، ابتدع الخط الرمحاني والخط المحقق ، حفظ القرآن الكريم ونسخه بيده أربعاً وستين مرة ، توفي سنة ٤٢٣ هـ .



تأبط شرأ :

اسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، اختلف العلماء في تعليل لقبه ، فقليل لقبته أمه إذ تأبط سيفاً وخرج ، فلما سئلت عنه قالت : تأبط شرأ ومضى لوجهه ، وقيل بل لقبته بذلك لأنها رأته يتأبط جراباً مليئاً بالأفاعي ، وربما كانت قبيلته هي التي لقبته بذلك لكثرة ما كان يرتكب من جنائيات وجرائم ، أي إنه يحمل دائماً في أطوانه شرأ يريد أن ينفذه ، ويعد من العدائين حيث كان مشهوراً بسرعة الجري

نزار ، ثم عاد إلى إيران وبث دعوته ، وتزايد أنصاره . استطاع أن يستولي على قلعة الموت سنة ١٠٩٠ - ١٠٩١ م ، وعلى قلاع أخرى ، سُموا بذلك لأن بعضهم كان يتعاطى الحشيشة المخدرة . يرأسهم السيد أو الشيخ الجبل ، ويليهِ الدعاة ، ثم ينقسم الباقيون إلى مراتب من أهمها : القداثيون الذين كانوا يغتالون الأعداء ، هاجمهم هولاءكو سنة ١٢٥٦ م ، وقضى على من كان منهم في فارس ، ولقوا نفس المصير في الشام على يد بيبرس سلطان المماليك سنة ١٢٧٢ م ، بقي منهم ثقات في إيران والهند .



الخنساء :

اسمها قحطان بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية ، من قبس عيلان ، لقبت بالخنساء لأن أنفها كان متأخراً عن وجهها ، وأرنيتة كانت مرتفعة بعض الشيء ، من أشهر شعراء العرب ، أدركت الإسلام فأسلمت ، ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم ، فكان رسول الله يستنشدُها ويعجبه شعرها . كان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦ هـ ، فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً ، فقالت : « الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم » . توفيت سنة ٢٤ هـ .



الدارقطني :

علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن ، لقب بذلك لأنه ولد بدار القطن من أحياء بغداد ، وهو إمام عصره في الحديث ، رحل إلى مصر ، ثم عاد إلى بغداد وتوفي فيها سنة ٣٨٥ هـ ، من تصانيفه كتاب السنن والمجتبى من السنن المأثورة .



ذو الإصبع العدواني :

اسمهُ حرثان بن الحارث بن محرز بن ثعلبة ، من عدوان ، ينتهي نسبه إلى مضر ، شاعر ، حكيم شجاع جاهلي ، لقب بذِي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها ، ويقال : كانت له إصبع زائدة ، وعَمَّر طويلاً ، وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر ، قليل الغزل والمديح . توفي نحو ٦٠٠ م .



رهين المحبسين :

أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي المعري ، ولد

ومات في معرة النعمان في سورية ، شاعر وفيلسوف ، أصابه الجدري في طفولته فافقده بصره ، رحل إلى بغداد ، ثم عاد واعتزل الناس ، وأصبح رهين المحبسين : عزلته وعماه لم يأكل اللحم خمساً وأربعين سنة ، وكان يلبس خشن الثياب ، أما شعره وهو ديوان حكته وفلسفته فثلاثة أقسام « لزوم ما لا يلزم » ويعرف باللزوميات و « سقط الزند » و « ضوء السقط » أما كتبه فكثيرة ، عاش ما بين ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ ، ولما مات وقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه .



زرياب :

أبو الحسن علي بن نافع ، مولى المهدي ، كان أسود اللون ، فلقب بزرياب لشدة سواد لونه ولفصاحة لسانه ، وتشبيهاً له بطائر مغرد اسمه الزرياب ، أخذ الغناء في أول أمره على إبراهيم الموصلي ، ثم على ابنه إسحاق . رحل إلى القيروان حيث التحق بخدمة بني الأغلب ، ثم ذهب إلى الأندلس ، فلي الخفاوة عند أميرها ابن الحكم . وهو ركن من أركان الغناء العربي في الأندلس ، وأول من أدخل غناء المشاركة إلى المغرب ، والألحان المعروفة بالموشحات الأندلسية ترجع إلى عهد زرياب . أخرج أثناء إقامته في قرطبة مضراب العود من قوادم النسر ، وتوفي فيها سنة ٨٤٥ م .



سيف الله المسلول :

إنه خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي من أشهر قادة العرب ، وأحسنهم بلاء في حروب الإسلام الأولى ، أسلم بعد الحديبية ، تولى قيادة المسلمين في معركة مؤتة بعد استشهاد زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ، فتمكن من إنقاذ الجيش والعودة به إلى المدينة فلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم : سيف الله المسلول . حارب مسيلمة الكذاب وقتله ، شارك في فتوحات العراق والشام ، توفي في حمص سنة ٦٤١ م .



الشنفرى :

اسمهُ : عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان ، شاعر جاهلي يمني ، من الشعراء الصعاليك ، كان من فتاك العرب وعدائهم ، علمه تأبط شراً اللصوصية وضمه إلى جماعته ، قيس فتزاته ليلة مقتلته فكانت الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة ولقب بالشنفرى ، لأنه كان غليظ الشفاه ، وأمه حبشية ، توفي نحو سنة ٥٢٥ م ، وهو صاحب لامية العرب التي

مطلعها :

اقيموا بني أمي صدور مطيكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل

ص

صناجة العرب

إنه الشاعر ميمون بن قيس (أعشى البكري)، ولد ومات بمنفوحة من الرياض الآن، وتكسب بالشعر فُدح الملوك والأشراف بالخير، زار اليمن وحضرموت والشام واليمامة والحجاز، ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم مادحاً ومسلماً، فتصدت له قريش ونفرتة ومنعته فرجع ومات في سفره. أولع بالمتعة في الخمر والنساء والغناء فعاش لها وتغنى بها وصوّر بحال الغناء والقيان، فكان رأس أصحاب اللذة والخمر من الشعراء، يضعه النقاد في مكانة عالية لكثرة تصرفه في فنون الشعر ووفرة الموسيقى وعذوبة ألفاظه ويسرها حتى سمي بصناجة العرب. ولقب بالأعشى لضعف بصره، وهو من أصحاب المعلقات. توفي سنة ٥٧هـ.

ض

أبو ضرية

محمد بن زكرياء بن أحمد بن محمد اللحياني الحفصي، الملقب بأبي ضرية، من ملوك الدولة الحفصية في تونس، كان في عهد استقرار أبيه بتونس معتقلاً فيها، ولما خرج أبوه نافضاً يده من الخلافة، أخرج رجال الدولة أبو ضرية من سجنه وباعوه سنة ٧١٧هـ، ونشبت حروب طاحنة بينه وبين المتوكل الحفصي، وخرج أبو ضرية في خلاها من تونس بعد تسعة أشهر ونصف من بيعة أهلها له، ثم استقر في تلمسان ومات فيها سنة ٧٢٣هـ. وقيل إنه لقب بذلك لقوته ولباسه.

ظ

الملك الظاهر

اسمه بيبرس العلائي البندقداري الصالحى، ركن الدين، صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، قاتل التتار في فلسطين، ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل الملك قطز فقتلوه، وتولى بيبرس سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ، وتلقب بالملك القاهر ثم بالملك الظاهر، وله الوقائع الهائلة مع التتار والصليبيين وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ، توفي في دمشق وأقيمت حول مرقده المكتبة الظاهرية (٦٢٥ - ٦٧٦هـ).

ع

أبو العتاهية

إنه إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان، ولد في عين التمر ونشأ في الكوفة، وأقام ومات في بغداد، اشتغل ببيع الجرار، واتصل بالخلفاء من المهدي إلى المأمون ومدحهم. حبسه المهدي لتغزله في جاريته عتبة، ثم أطلق سراحه، وظل يذكرها ويتغنى باسمها طويلاً، ولعل ذلك هو الذي جعل المهدي يقول له إنك إنسان معته فاستوى له بذلك لقبه «أبو العتاهية» وغلب على اسمه، وهو أول من أخضع الشعر العربي للفلسفة (٧٤٨ - ٨٢٦م).

غ

الغزال

اسمه يحيى بن الحكم البكري الجياني، شاعر مطبوع من أهل الأندلس، قام بدور الدبلوماسي مرتين، حيث أرسله ملوك الأندلس من بني أمية إلى ملك الروم، وعرف بشاعر عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، وبلغت مقدرته في الشعر أنه ألف تاريخاً لأمراء الأندلس شعراً. ولقد لقب بالغزال لوسامته، إذ اتصف بجمال ظاهر مع بسطة في الجسم، ووفرة في الصحة البادية والنشاط المتدفق.

ف

الفرزدق

اسمه همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، شاعر من النبلاء ومن شعراء الطبقة الأولى في الإسلام، وهو من أهل البصرة، اشتهر جرير والفرزدق بلون ظاهر من الشعر إبان العصر الأموي، أطلق عليه اسم «شعر النقائض»، ولقد قيل: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولقب بالفرزدق: لجهامة وجهه وغلظته، توفي في بادية البصرة وقد قارب المائة، وكان ذلك سنة ١١٠هـ.

ق

قيصر

اسم أسرة قديمة من أشراف روما، ولما تبني يوليوس قيصر ٤٤ ق. م، ابن بنت أخته أوكتافيوس اتخذ الأخير اسم قيصر وجرى خلفاؤه الأباطرة على اتخاذ هذا الاسم، إلى أن وضع هادريان سنة جديدة، وهي الاحتفاظ للإمبراطور وحده بلقب أغسطس وتلقب ولي العهد بـ «قيصر».

أحيا عواهل ألمانيا وروسيا اللقب الإمبراطوري القديم باتخاذهم لقب قيصر .



كشاجم :

اسمه محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك أبو الفتح الرملي ، شاعر ، متفنن أديب ، من كتّاب الإنشاء ، من أهل الرملة بفلسطين ، فارسي الأصل ، تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد ومصر ، ولفظ كشاجم منحوت فيما يقال من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للإنشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل لأنه كان شاعراً أديباً جليلاً مغنياً ، وتعلم الطب ، توفي في سنة ٤٦٦ هـ .



أبو هب :

اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قرية قريش ، عم الرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين . كان غنياً عتياً كبير عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه ، فأذى أنصاره وحرض عليهم وقتلهم ، وفيه الآية الكريمة ﴿ تبت يدا أبي هب وتب يدا أبي هب لأنه كان أحمق الوجه مشرقاً ، مات بعد معركة بدر بأيام وكله حسرة على هزيمة قريش سنة ٢ هـ .



المبرد :

اسمه محمد بن يزيد ، أديب ولد في البصرة ، ومات ببغداد ، اشتهر في اللغة والنحو والأدب والتفسير والأخبار وألف فيها كتباً كثيرة أشهرها « الكامل » و « المختضب في النحو » و « معاني القرآن » و « الرد على سيبويه » ويقال إن معنى اسمه « المبرد » هو : المثبت للحق ، فخرقه الكوفيون وجعلوه بمعنى البارد ، عاش ما بين ٨٢٦ - ٨٩٨ م .



النايعة الذبياني :

واسمه زياد بن معاوية ، وأمه عاتكة بنت أنيس من بني أشجع الذبياني ، فهو ذبياني أباً وأماً ، وكان يكنى بأبي أمامة وأبي ثمامة وهما ابتناه ، كما كان

يلقب بالنايعة وبهذا اللقب اشتهر ، واختلف الرواة في سبب تلقيبه به ف قيل لقوله في بعض شعره (فقد نبغت لنا منهم شؤون) ، وقيل لأنه قال الشعر بعد أن كبرت سنة ومات قبل أن يذهب عقله ، وقيل إنه سمي بذلك نظراً لنبوغته في شعره وتفوقه فيه ، عاش ما بين ٥٣٥ - ٦٠٤ م .



أبو هريرة :

اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صحابي ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، أسلم سنة ٥٧ هـ ، ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً ، ولي أمر المدينة مدة ، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين ، توفي في المدينة ، كان عطوفاً على الحيوان ، وكانت له هرة يطعمها ويحملها وينظفها ويؤويها . وكانت تلازمه كظله ، وهكذا دعي بأبي هريرة . عاش ما بين ٢١ ق. هـ - ٥٩ هـ .



وراقه :

حرفة صناعة الورق ونسخ الكتب والانتجار فيها ، ولقد نقل العرب صناعة الورق عن الصين ، ثم انتقلت إلى أوروبا ، واشتغل بحرفة السورافة عدد من أعلام الحفاظ والنحاة والفلاسفة والمؤرخين والأطباء ، فلعب كل واحد منهم بالورق ، ومن الذين اشتغلوا بهذه الحرفة : ابن النديم ، وياقوت الحموي ، وابن شاذان ، ومحمد بن يوسف ، ومحمد بن أحمد الموسيقي وغيرهم .



و - تهليلقات

تصحيح تصحيح التصحيح !
وقصة «الدوامغ» في الأدب اليمني

قرأت في العدد (٤٣) محرم / ١٤٠١ هـ - تشرين الثاني - كانون الأول (نوفبر - ديسمبر) ١٩٨٠ م ، من مجلة «الفصل» تعليقاً تحت عنوان : «تصحيح التصحيح» كتبها الأستاذ عدنان أسعد [القاهرة - مصر] وقد وجدت «التصحيح» يفتقر إلى «تصحيح» .

وعندما عزمْتُ على ذلك ؛ خطر بالبال أن يكون عنوان ما أنوي كتابته : «تصحيح تصحيح التصحيح» . ثم تبسَّمتُ ؛ فقد تذكرتُ القول المأثور عن أحد الزهاد أو إحدى القانتات : «استغفارنا يحتاج إلى استغفار» - أو كما قيل - وتذكرت الرواية التي تذكر بأن أول من تلقب بأمر المؤمنين هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لأنَّ سلفه «الصدِّيق» كان لقبه : خليفة رسول الله ، فلما مات استثقل الناس أن يسموا خليفة «خليفة خليفة رسول الله» ، وتصوَّروا فتح باب التكرار حين يقولون : خليفة خليفة خليفة ، إلى ما لا نهاية . فكان ابتداء هذه العبارة الرائعة : «أمر المؤمنين» يطلقها المؤمنون على كل من يرتضونه لهم إماماً أو رئيساً .

كما أني تذكرت النكتة «الصنعانية» : «خَدَام خَدَام الجرافي» . . واستعرضتُ قصة «الدوامغ» في الأدب العربي - واليمني منه على وجه الخصوص - وهي تلك القصائد التي تجالذ بها شعراء عدنان وشعراء قحطان عَبْرَ العصور في نغمة واحدة وُزْنَاً وقافية وروياً . وسموها أولاً «دامغة» . . . ثم دامغة الدامغة . . إلخ .

والدامغة لغة مشتقة من دَمَغَةُ ؛ إذا ضربه على دماغه وهي من الشجاج التي تهشم الدماغ .

وأول من ابتدع هذا الاسم - فيما أعلم - هو «أبو الذلفاء» في قصيدته التي جارى بها قصيدة «الكيت» والتي سماها «المذهبة» وكان قد ردَّ بها على تفاخر الشاعر حكيم بن عيَّاش على شعراء «مضر» وقد التزم الكيت فيها النون المفتوحة والوزن «الوافر» ومطلعها :

ألا حَيَّت عَنَّا يا مدينا ؛
وهل بأسٌ بقول مسلمينا

وهي أكثر من ثلاثمائة بيت . كما أن «أبو الذلفاء» قد التزم في قصيدته «الدامغة» نفس الوزن والروي ، وجاء دعبيل بن علي الخزاعي وكان شديد التعصُّب لآل علي رضي الله عنه ، ولقحطان على عدنان ؛ فعارض وناقض قصيدة الكيت بطويلة قيل إنها أكثر من ستائة بيت على نفس الوزن والقافية ومطلعها :

أقلِّي من ملامك يا ضعيما
كفأك اللوم مرَّ الأربعينا
ومنها البيت الذي ضمن فيه الآية الكريمة :
ويحزهم وينصركم عليهم
ويشرف صدور قوم مؤمنينا

كما أن «أبا سعد المخزومي» الهجاء المشهور قد ناقض قصيدة «دعبيل» ؛ ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» وهناك شاعر آخر عاصر «دعبيل» وناقض «مذهبة» «الكيت» وهو «عبد الله بن أبي عيينة» ، وقد تعصَّب لقحطان وهجا «نزاراً» وقبائلها . . وجاء الشاعر الحسن بن زيد وكنيته «أبو الذلفاء» فنقَضَ وعارض قصيدة دعبيل وقصيدة ابن أبي عُيينة وهجا قبائل اليمن وسماها كما قلنا «الدامغة» ومطلعها :

أما تنفك مقبولا حزيناً
بحبِّ البيض تعصي العاذلينا

وجاء بعد هؤلاء جميعاً صاحب الإكليل الحسن بن أحمد الهمداني (المتوفي حوالي ٣٦٠ هـ ، ٩٧١ م) فنظَّم قصيدته «الدامغة» في نحو ستائة وسبعة وأربعين بيتاً ومطلعها :

ألا يا دار لولا تنطقينا
فإننا سائلون ، وغربونا

و تهليقات

وقد نُشرت وُشرت بكتاب ، قام بتحقيقه ونشره القاضي محمد ابن علي الأكوخ وهو الذي تحدثت عنه في كتابي : «جناية الأكوخ على ذخائر الهمداني» ونشرت مجلة «الفصل» فصلاً منه ، واعترض الأستاذ عدنان على بعض ما ورد فيه ؛ فكتب تعليقه : «تصحيح التصحيح» فتذكرت قصة الدوامغ وأحببت أن يشاركني قراء «الفصل» ما عني لي تذكره منها قبل أن أصحح التصحيح !

وقد سردت معظم أخبار تلك المفاسخات في كتابي شرح «دامغة الدوامغ» ، وأشرت إلى أن فتنة «الدوامغ» كانت تنجم في معظم فترات تاريخ اليمن فيتعصب قوم «لقحطان» ويناقضهم شيعرًا آخرون ، أو العكس يكون ؛ غير أن جل ما ورد بعد القرن السادس الهجري قد نهج نهجاً مذهبياً ، واصطنع بالصبغة الطائفية ، كما أن دوافع المتأخرين قد التزمت النون المفتوحة في الوزن «البسيط» ؛ فدامغة «ابن العليف» مطلعها :

ما عنت مد كنت لأحاب مظلونا

ولا بنفت من الأسرار مكنونا

وأبياتها اثنان وستون بيتاً ، وناقضها الشاعر الزبيدي علي بن سليمان الأسلمي بقصيدة أولها :

فلارنا سيوف الهند يكفيننا

عن فخركم آل عدنان ويغنيننا

وهي مائة وخمسة وعشرون بيتاً وسمّاها : «دامغة الدامغة» . وجاء على أثره العالم الزبيدي أيضاً الهادي بن إبراهيم الوزير (المتوفي عام ٨٥٤ هـ) فناقض الأسلمي بقصيدة عدد أبياتها مائة وسبعون بيتاً وأولها :

فخارنا برسول الله يكفيننا

عن كل فخر؛ وأن الألبا فبنا

وسمّاها : «دامغة دامغة الدامغة» ! وهذه التسمية هي التي جعلتني أذكر ما أشرت إليه في مطلع الحديث عند قراءتي للعنوان

«تصحيح التصحيح» فسَميت هذا المقال : «تصحيح .. تصحيح التصحيح» مجازةً وتسليّةً لنفسي والقراء .

ولثلاً يظن الأستاذ عدنان المصري ، وبعض قراء «الفصل» أن نغمة الدوامغ القديمة قد تلاشت ؛ فلعلّه من المفيد قبل «التصحيح» أن أذكر بأنني في عام ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، قد دفعني حبّ الأدب ، وحداني صوت الإنصاف ، إلى التمييز بين ما هو حقّ وباطل في تلك المعركة الأدبية محاولاً جهدي أن ألحّب الطّريق للمُنصفين مُسدّداً بالمفاخرات العرقية والعنصرية والأحساب والأنساب ، فقلت قصيدي التي سَميتها «دامغة الدوامغ» في مائة وستين بيتاً وأولها :

أقضي في سبيل الأولينا

فتمدح تارة، وتلدّم حيناً؟

وتفخر بالي لأفخر قبا،

وتعهر بالي تُندي الخينا؟

وتخفّض بالملامة شأن قوم

لترفع شأن قوم آخرينا؟!

وتنكر ما تشاء بلا حياء..

ولر كان الحقيقة واليقينا؟

أقضي أم سبيلك مُستقل

لحبت طريقه للمُنصفينا؟

سبيل محمد، وبني علي

واعتزله، ونهج الراشدين!

فلا مجد للفقر فسوقاً

ولا من كان فطاً، أو حوئنا،

ولا للظالمين، وإن أشادوا

فصوراً، أو سدوداً، أو حصونا

إلى آخرها ، وقد أحدثت ضجةً في أوساط النوادي الأدبية اليمنية وغيرها ؛ وعارضها الشاعر مطهر الأرياني بقصيدة طويلة سمّاها «المجد والألم» وأولها :

أيا وطني جعلت هواك ديناً،

وعشت على مشاعره أمينا،

وقد سلك فيها مسلك الأولين ، وأشاد بالقحطانية والتبابعة ، وخصَّ
الجن بكل الفضائل البشرية ، مثلما عمل قبله من تعصَّب للعَدَنانية ؛ وقد
وقع الشاعر مطهر الأرياني في عدة أخطاء ؛ فنصَّب الفعل المضارع
« يلين » دون عامل نصب ، وتورَّط عدة مرَّات في عيِّب شعري يتحاشاه
المجيدون — وهو منهم — وأعني غيَّب « السُّناد » ؛ وهو أن يخالف النُّظام
بين الحركات التي تلي الأرداف في « الروي » ؛ فاستعمل في قصيدته ألفاظ
« غَلَّينا » و « مَنينا » و « شَنينا » و « غَيَّنا » و « أُنينا » وكل الحروف فيها
مفتوحة قبل الياء الساكنة . . مع ألفاظ القافية المتبعة في قصيدته — وكل
الدوامغ — وهي — كما يعرف القراء — النون المفتوحة يسبقها « ياء »
قبلها كسرة ، أو « واو » قبلها ضمة مثل « دِينا » ، « آمينا » ، « القانتينا » ،
« حصينا » ، « فُوننا » ، « عِيُوننا » إلخ . . . وقد حاورته بقصيدة أخرى في
ديواني « لزوميات الشعر الجديد » ؛ كما أن شعراء معاصرين قد
خاضوا هذه المعركة الأدبية والحديث شجون .

هذه هي خلاصة قصة « الدوامغ » في تاريخ الأدب اليمني
وأخلق بها أن تكون موضوع دراسة أدبية في كتاب مستقل ؛
ولعلني قد أسرفت في الاستطراد ، وأن لي أن أصحح
التصحیح .

وتصحیحات الأستاذ عدنان أسعد قد أجملها في خمس نقاط وهي :

(١) قال : « صحَّح الكاتب قول الأستاذ المحقق : « فتكون نَمَطاً
والقصيدة سلكه » ، بقوله « فتكون نظاماً والقصيدة سلكه وهو أقرب إلى
الصواب » وأقول — أي الأستاذ عدنان — « الصحيح هو فتكون سَمَطاً
والقصيدة سلكه إذ المعروف أن السمط هو الحبل إذا نظم فيه الخرز ، وإلا
فهو السلك » ثم يقول : « وتصحيح مثل هذه الأغلاط لا يتوقف على مجرد
الذوق واللغة [هكذا] وإنما يرجع أول ما يرجع إلى التحريف والتصحيح
وعليها يدور التصويب ؛ فأين لفظة « النظام » التي يريد بها الأستاذ الكاتب
من لفظة « النمط » ؟ ولكن الصواب هو « السمط » كما قلنا ؛ والتحريف
فيه واضح لكل ذي عينين !

انتهى كلام الأستاذ عدنان . وأقول : لا شك أن الأستاذ الفاضل
عدنان أسعد يملك قدراً من الحس اللغوي ، والذوق الأدبي ، وبها أدرك
أن هناك تصحيحاً وتحريفاً ؛ غير أنه لم يكن حصيفاً في نقل تعليق الذي
ورد في المجلة والذي هو كما يلي : « والذي في نسخة دار الكتب المصرية

هكذا » : « فتكون نظاماً والقصيدة سلكه » . ثم قلت : « وهو أقرب إلى
الصواب » أعني أن ما ورد في مخطوطة دار الكتب المصرية من كتاب
الدامغة الذي حققه الأكوع هو : « فتكون نظاماً والقصيدة سلكه »
وليس كما جاء في النسخة التي اعتمد الأستاذ الأكوع عليها ؛ وأن ما في
المخطوطة المصرية أقرب إلى الصواب ؛ لأن « النمط » لغةً هو الطريقة
والنوع ، « والنظام » من نظم ينظم نظماً ونظاماً للؤلؤ ونحوه ألفه وجمعه في
سلك ومنه نظم الشعر ، ولم تكن العبارة « فتكون نَمَطاً » التي أوردها
المحقق من كلامه ولا عبارة « فتكون نظاماً » من كلامي بل هما نصَّان
مختلفان في نسختين مختلفتين لكتاب الدامغة . .

ولو أن الأستاذ عدنان قد رجع إلى كتابي « جنابة الأكوع على ذخائر
الهمداني » الذي نقلت مجلة « الفيصل » عنه المقالة قبل طبعه . . لوجد
فيه أي قد ذكرت [صفحة ٩ -] : أن لفظة « السمط » هي الأصل في
كلام « الهمداني » ، وأن « النمط » ربما كان تحريفاً لها فقلت : « ومن
الممكن أن يكون الأصل هكذا : فتكون « سَمَطاً » والقصيدة سلكه
فحرفها القاضي أو الناسخ وجعلها « نَمَطاً » ، و « السَمَط » هو الخيط
ما دام الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه جمعه سموط » ترى هل اطلع على
الكتاب ؟ .

(٢) يقول الأستاذ عدنان : « ويصحح الكاتب قول المحقق
— مرة أخرى تؤكد أن القول قول الهمداني ؛ والتحريف فقط هو من
الناسخ [— « سَجَمْتُ عين فلان إذا ساجع قطر عينها فيقول : والصواب
إذا تتابع « قطر عينها » ، ثم يقول الأستاذ عدنان : « والصواب لا ساجع
ولا تتابع وإنما هو (ساجل) باللام من السَّجل وهو تتابع المطر
والدمع » .

وسيالاحظ القارئ أن الأستاذ عدنان قد خرج عن قاعدته حين قال
متباهياً : « وتصحيح مثل هذه الأغلاط لا يتوقف على مجرد الذوق
واللغة ؛ وإنما يرجع أول ما يرجع إلى التحريف والتصحيح » ؟ إلخ .
وتوصل إلى أن « النمط » هو تحريف لكلمة « السمط » ، وتساءل أين لفظة
« النظام » من لفظة « النمط » ؟ فهلاً ساءل نفسه أولاً : أين لفظة
« ساجل » باللام من « ساجع » بالعين ؟ وهلاً تأمل ؛ أن لفظة « تتابع »
أقرب إلى « ساجع » مثل « النمط » إلى « السمط » ؟ من دون نظر إلى
الذوق والمعنى « اللغوي » ؟ أما قوله : إن الصواب إنما هو « ساجل »

و - تهليلات

باللّام من السجل ؛ وهو «تتابع المطر» فهو غير صواب لا لغة ولا ذوقاً ؛ ولعلّه يعلم أن «صيغة» «فاعل» إنما يُنقل إلى «وزنها» لأمر ؛ منها وهو الغالب ، الدلالة على المشاركة ؛ أي أن يُفعل الواحد بالآخر ما يفعله الآخر به حتى يكون كل منها فاعلاً ومفعولاً ؛ نحو ضَارَبَ زيدٌ غمراً ؛ . . ومعلوم أن «ساجل» فلانٌ فلاناً بمعنى باراه وفاقره ، وهما يتساجلان أي يتباريان ، ومنه قول الشاعر اللّهي :

مَنْ يُسَاجِلِي سَاجِلٌ مَاجِدٌ
يَمْلِكُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

والسَّجُلُ ليس كما زعم الأستاذ عدنان ؛ تتابع المطر والدَّمْع . وإنما هو الدَّلُو العظيمة مملوءة ، والرجل الجَوَادُ ، والضَّرْعُ العظيم كما في القاموس ؛ ويقال سَجَلُ الماء فانسَجَل : صَبَّه فانصبَّ ؛ . . نعم ، ويقال : «عينٌ سَجُول» أي غزيرة الدمع . . ولعل الأستاذ قد قرأ ما يشبه هذا فظن أن «ساجل» قد تأتي بمعنى سَجَمَ : وهو وَهَمٌ لا يُقره ذوقٌ أدبي ، ولا ترضاه اللغة . ولو أنه قد أراد الإغراب لغةً ومعنى فزعم أن الصواب : «إذا تساجل قطرٌ عينها» أي أن عيني الباسكي تباريتا في انسجام الدَّمْع لكان له عذر الإغراق والإغراب . وذلك بعيد .

(٣) قال المصحح الأستاذ عدنان : «ويقول الأستاذ الكاتب : إن المحقق نقل قول الهمداني : «وبقي ما لم يصل النار على حاله» هكذا «ما لم تصل» والصواب «بصل» بالياء التحتية لكونها مجزومة» ولو عاد إلى كتابي «الجنانية» لوجد العبارة هكذا : «وبقي ما لم يصل النار على حاله» ، انظر (ص ١٢) ، فالحظ طبعي في المقال نشكره على التنبيه إليه .

(٤) قال عدنان المصحح : «يقول الأستاذ الكاتب : إن الأستاذ المحقق لم يفهم عبارة الهمداني ونقلها هكذا : «واحدتها طلا مقصور ترى غزاها» وأخشافها» ، وعقب بقوله : «ولو تأمل الأصل «بحس أدبي ، وذوق لغوي لعرف أن العبارة هكذا : «والأطلاء» واحدتها طلا مقصور ؛ صغارها وأخشافها» والصواب - والكلام للأستاذ عدنان - «ترعى» بدلا من «ترى» التي مر عليها الأستاذ الكاتب دون تعليق و «غزلانها» بدلا من «غزاها» ؛ أما حكاية «الصغار» التي أت بها الأستاذ الكاتب فلا مكان لها ولا موجب ، لأن الأمر تحريف وتصحيف وليس بمجرد حسن أدبي ، أو ذوق لغوي .»

وقد وقع الأستاذ عدنان - بحسه الأدبي ، وذوقه اللغوي - في نفس الخطأ الذي وقع فيه القاضي الأكوع ؛ ولأن الأستاذ - كما قال - لم يطلع على كتاب قصيدة الدامغة ، وبالطبع لم يقرأ كتابي «جنانية الأكوع» الذي طبع بعد نشر المقال في مجلة «الفيصل» . . أرى من المفيد أن أنقل للأستاذ النص الوارد في كتاب الدامغة تحقيق الأكوع ثم ما ورد في كتابي .

في (ص ١٢) من كتاب قصيدة الدامغة ما يلي :

«١٣ - وبذلك الزمان يمثل هنيئاً
لطول العهد أطلاءً وعيناً

العين جماعة عينا ؛ وهي البقر الوحشية والذكر أعين ، والأطلاء ؛ واحدتها طلا مقصور ترى غزاها وأخشافها ، وقال زهير وذكر أراماً ويقرأ .

بها العين والأرام يشين خلفه
وأطلاءً ينهضن من كل نجم
والأرام الظن .

هذا نص كتاب الدامغة بتحقيق الأستاذ الأكوع . مع الأخطاء المطبعية : وقلت مُعلّقاً في كتابي : «كما أنه لم يفهم عبارة الهمداني في السطر العاشر - أي وهو يفسر الأطلاء - ونقلها هكذا «واحدتها طلا مقصور ترى غزاها وأخشافها ثم علّق عليها بحاشية رقم - ٣ - قائلاً : «كذا في الأصل ولعلّها نرعى غزلانها» وهو تعليل لا يقره من يملك ذوقاً لغوياً ، ولو تأمل - الأستاذ الأكوع أو مساعده الأصل لعرفوا أن عبارة الأصل - أي عبارة الهمداني - هكذا : «والأطلاء» واحدتها طلا مقصور ؛ صغارها وأخشافها» أي أن الأطلاء الواردة في بيت الدامغة رقم - ١٣ - هي صغار وأخشاف البقر الوحشية التي هي العين أيضاً .

وإذن فتصحيح الأستاذ عدنان غير صحيح ؛ ولا وجود للفظه «ترى» التي قال إن صوابها «ترعى» ؛ ولا وجود للفظه «غزاها» التي قال إن صوابها «غزلانها» مُتبعاً حاشية المحقق الأكوع ذوقاً وحساً ؛ ولم أت بالصغار من عندياتي ؛ بل هي نص تفسير الهمداني لبيته الشعري ، إذ قال : إن الأطلاء صغار وأخشاف البقر الوحشية : «العين» والفاظ «ترى» و «غزاها» هي تحريف وتصحيف من قبل الناسخ للفظه «صغارها» . هل هذا واضح يا أستاذ عدنان ؟

(٥) وقد جرّ هذا الخطأ الأستاذ عدنان إلى الخطأ الخامس إذ قال :
« ويُعلّق الأستاذ الكاتب على قول المحقق : « والذكر شاة الضأن
والظباء » بقوله : فيه سقط والصواب : « الأنثى نعجة ، والذكر شاة مثل
الضأن والظباء » .

ثم يواصل الأستاذ عدنان قائلاً : « ومن العجيب أن يخطئ المحقق
والمعلّق معاً كلاهما ؛ ويقولان : إنّ الذكر شاة ، وصحّت العبارة
[هكذا] هي : « الأنثى نعجة الذكر — بحذف الواو — شاة ، مثل
الضأن والظباء » .

وهذا التعليق يدل على أن الأستاذ عدنان قد اعتمد على حسّه
البياني ، وذوقه اللغوي الخاص ، حسب معلوماته ومعرفته ، ولم يرجع إلى
كتب اللغة ، وقواميسها ، أما نصّ تعليقي كما في « الجناية » فهو كما يلي :
« ١٣ — ١٤ — في السطر السادس ما يلي : « الأنثى نعجة ، والذكر
شاة الضأن والظباء » وفيه سقط ؛ والصواب : « الأنثى نعجة ، والذكر
شاة مثل الضأن والظباء » إلخ .

ولا شك أنّ في تعبيري غموض ، قد يُسبّب الارتباك ؛ ولا سيما عند
من لم يقرأ الأصل .. [كتاب قصيدة الدامغة] ؛ ولا تعليقات القاضي
الأكوع عليه ؛ وكان من واجبي أن أنقل النص كاملاً وهو كما يلي :
(ص ١٤) قال الهمداني : « والتعاج ؛ بقر الوحش ، الأنثى نعجة ،
والذكر شاة ، الضأن ، والظباء ، والأوعال ، الذكر تيس ، والأنثى عنز ،
مثل المعز » إلخ . وعند أن غُفِّبْتُ على هذا الكلام ؛ قلت إنّ هناك
سقطاً ؛ وأعني لفظة « مثل » بعد عبارة « والذكر شاة » .. ليكون المعنى
والمراد واضحاً .. فجاء الأستاذ عدنان المصحح ، وتبرّع بذوقه ، وظن
أن الشاة لا تكون ذكراً — وذلك ما يظنه الكثير — وأنها هي
« النعجة » .. فقال : « والصواب الأنثى نعجة والذكر شاة » واستغرب ،
بل وخطئ المحقق والمعلّق ؛ وأنها قالا « الذكر شاة » مع أنها لم يقولوا
هذا ؛ بل هو الوارد في أصل كلام وتفسير الهمداني ، وهو المذكور في
كتب اللغة ، ولو عاد إليها بذوق لغوي ، وحس بياني لوجد ما يلي :
« والشاة : الثور الوحشي خاص بالذكر » .. نص القاموس المحيط
وهو يوافق ما قاله الهمداني : « والتعاج ؛ بقر الوحش الأنثى نعجة ،
والذكر شاة » ثم أراد الهمداني أن يدلّل ، وأن يتوسع فقال : مثل الضأن
والظباء والأوعال ؛ الذكر تيس ؛ والأنثى عنز ، وختاماً وللفادة لي
وللأستاذ عدنان ، وللقرّاء سأنقل ما ورد في كتب اللغة .

★ الشاة : الواحدة من الغنم للذكر والأنثى .

★ النعجة : الأنثى من الضأن .

★ الضأن : اسم جنس ؛ لخلاف الماعز من الغنم .

★ الطلا ، والطلنو ، ج أطلاء وطلا ؛ ولدا الطبي ساعة يولد .

★ الطلي : ج طليان ؛ الصغير من أولاد الغنم [وهو المستعمل في
اليمين اليوم] .

★ نعا ج الرمل : البقر ، الواحدة نعجة ، ولا يقال لغير البقر من
الوحش . والبقرة للمذكر ، والمؤنث .

★ التيس : الذكر من الظباء ، والمعز ، والوعول ، ج تيسوس ،
وأتياس .

★ المعز والمعيز : خلاف الضأن من الغنم .

★ الماعز : واحده المعز ؛ للذكر والأنثى .

★ العنز : الأنثى من المعز . ج أعنز وعنوز ، وعناز .

وبهذا كله يتجلى للأستاذ عدنان والقرّاء ما أراده الهمداني في كتابه ؛
ويُعرف أن البقر اسم جنس واحده بقرة تقع على الذكر والأنثى ، وكذلك
الماعز ، وأن التعاج بقر الوحش .. الأنثى نعجة والذكر شاة مثل
الضأن ، والظباء ، والأوعال تختلف أسماء الأنثى والذكر منها .
وعلى كل فللأستاذ عدنان الشكر ؛ لأنه قد نَهَيْني إلى أنه كان من
واجبي التبيين ، وأن أفدّر أن الكثير من قرّاء مجلة « الفيصل » ، أو
كتابي : « الجناية » لن يطلّعوا على كتاب قصيدة الدامغة للهمداني
بتحقيق الأكوع ؛ كما أن له فضل إشارة موضوع قصة الدوامغ ، وهي
إثارة شَيْقة كما يَحْتَلُّ لي .

أحمد محمد الشامي

بروملي — بريطانيا



قارئ من اليمن

إلى مجلة «الفصل» .
وإلى كل العاملين في هذه
المجلة الثقافية المحترمين .
ألف تحية وألف سلام .
أزفها إليكم مع أجمل تحياتي
العظيمة وأمنياتي هذه المجلة بالتقدم
والازدهار .
فهني المجلة الوحيدة التي تحتل
الصدارة في نفسي عن سائر
المجلات ، فأنا أعزها وأقدرها كل
التقدير ، فهي المنهل الذي أشرب
منه العلم والمعرفة . . وهي الثقافة
الكاملة لاحتوائها على جميع فنون
المعرفة من أدب وعلم وثقافة وفن
ودراسات .

وللعلم قد أصبح عندي من
هذه المجلة ما يقارب الخمسين عدداً
منذ أن تعرفت عليها ، وقد تعرفت
عليها عندما جاء خالي من المملكة
العربية السعودية قبل مدة كبيرة
وأعطاني عدة أعداد - كانت
معه - كهدية .

ومن ذلك الحين وأنا أتابع كل
أعداد المجلة والله الحمد .

وأنا أعرف بسمعة مجلة
«الفصل» بأنها طيبة وليس هذا
مدحاً وإنما هي الحقيقة .

وأرجو من الله هذه المجلة
التوفيق والازدهار والتقدم وكل سنة
والمجلة والعاملين بها بخير .
وبالخير تقبلوا خالص الشكر
والتقدير .

أمين عبده سيف الحزمي
تعز - الجمهورية
العربية اليمنية

رحلة الصيد عبر التاريخ

فلنني إذ أتقدم إلى سيادتكم
ونبابة عن الإخوة قراء المجلة
الفياضة بالعطاء الدائم . .
وأرجو من سيادتكم أن تعطوا
للقرء جرعة من جرعاتكم
الثقافية - في الباب الخاص بالمجلة
ألا وهو : - من الموضوعات
الخاصة - متمنياً أن يكون الموضوع
خاصاً عن «تطور رحلة الصيد عبر
تاريخ الإنسان» .
هذا ولا يسعني إلا أن أكرر
شكري وتقديري لكم جميعاً .
والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

ربيع الألفي - مدرس
جمهورية مصر العربية
بور سعيد

● المجلة : شكراً . . ونأمل
تحقيق رغبتك في المستقبل إن شاء
الله .

رسالة من تونس

تحية عطرة شذية أستهل بها
رسالتي وأهديها من كل قلبي إلى
كافة الأسرة المسؤولة على حفظ
هذه الزاوية الثقافية ، وأمل ، كل
أمل أن تكونوا جميعاً بخير وفي
صحة طيبة ، وكلكم نشاط وحماس
وحوية لمواصلة القيام بهذا الدور
العظيم المناط بعهدتكم على أحسن
الوجوه ، مع التهنيتات لكل الإخوان
ولمجلتنا العزيزة عاماً جديداً مليئاً
بالسعادة والنجاح والتوفيق ، وأن

تتمتعز خلاله كل الجهود والطاقات
وتتكاثر جميعها للتقدم والنهوض
أكثر فأكثر بهذه الرسالة الثقافية .
وبالتعاون والالتفاف ومزيد السعي
والبذل تضفي استمرارية المجلة في
المستوى الجيد وفي كنف اطراد
التقدم والازدهار كل عام ونحن
جميعاً أسرة واحدة بألف خير
وعافية .

نجيبة دربال
صفاقس - تونس

ورسالة من المغرب

● أكتب لكم هذه
الرسالة الثانية لأنوه بمجهوداتكم
الجبارة التي تبذلونها من أجل خدمة
القارئ العربي ، ولي رجاء وهو
أنني أقترح عليكم بأن :
- تعرفونا بالجامعات والمعاهد
في المملكة العربية السعودية .
- وكذا بالنهضة الثقافية في
هذا البلد الشقيق ، مع جزيل
شكري .

حسن صبار
الدار البيضاء - المغرب

● المجلة : نشكركم على ما
أبديته تجاه المجلة ، أما الإجابة على
طلباتك ، فنفيدك بالتالي :
١ - بالنسبة للجامعات
فتوجد بالمملكة العربية السعودية
ست جامعات رئيسية غير فروعها :
فجامعتي البترول والمعادن
وجامعة الملك فيصل - بالمنطقة

الشرقية .

وجامعتي الرياض ، والإمام
محمد ابن سعود الإسلامية -
بالرياض .

وجامعة الملك عبد العزيز
(بجدة) ، والجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة .

وهناك كليات للبنات تابعة
لرئاسة تعليم البنات ، غير كليات
الجامعات اللواتي ينتسبن إليها
البنات ، أما المعاهد فكثيرة جداً .
٢ - بالنسبة للحركة الثقافية
أو النهضة الثقافية فتتبدى تلك
الحركة واضحة من خلال انتشار
التعليم وكثرة الجامعات وظهور
الأدباء سواء أكاديميين أو غيرهم .
أخيراً لك تحيات المجلة .

اقتراحان

أقول إن «الفصل»
بمواضيعها القيمة ، وطباعتها
الراقية ، وورقها الناصع ، وعدد
صفحاتها الكثير ، لتؤكد أنها القمة
في صحافة العرب .

ولكن هذا لا يمنعني بكتابة
اقتراحاتي :

★ تخصيص عدة
صفحات لاقتراحات وآراء
ومساهمات القراء .

★ الأسئلة أرجو أن لا
تكون من الأعداد السابقة
بالنسبة للمسابقة . لعدم
حصولنا عليها .

وأخيراً فأنا شديد الإعجاب
بشاعر المملكة «عبد الله الفيصل»
أطال الله في عمره .

وأرجو أن أكون صديقاً دائماً ،
وأن أحصل على أول عدد من مجلة
« الفصيل » . مع التقدير
والشكر .

عبد الكريم جابر عبد الرضا
الجمهورية العراقية ،
محافظة البصرة ،
مدينة الجمهورية ،
مكوى ريجنت

● **المجلة :** مرحباً بك ،
وبصداقتك ، وشكراً من الأعماق
على ما جاء في رسالتك الكريمة . .
وملاحظاتك نجيب عليها على الوجه
التالي :

١ - بالنسبة لتخصيص عدة
صفحات لاقتراحات ، وآراء
ومساهمات القراء ، فإنك كما ترى
لا نهمل هذا الجانب ، وننشر ما
هو مناسب ، وليست صفحات
« آراء ومناقشات » و « مع
الأصدقاء » و « ردود قصيرة » إلا
صفحات مخصصة للقارئ .

٢ - بالنسبة لاقتراحك عدم
طرح أسئلة من الأعداد السابقة
فقد اقتنعنا برأيك ، ورأي غيرك
من القراء ، ولم نعد نطرح أسئلة
من المجلة ، ومن بداية السنة
الخامسة للمجلة فقد اختصرت
الأسئلة إلى خمسة فقط رغبة في
التيسير على القارئ .

٣ - وما نحن ننشر إعجابك
بصاحب السمو الملكي الأمير
الشاعر عبدالله الفصيل ، ونقل
إليك تحياتي ، وشكره بالنيابة
عنه . . مع تحياتنا .

مدن وقرى المملكة

إنني أحد قراء مجلتكم من
بداية أول عدد صدر ومن المحبين
والمعجبين الكثير لها ، لذلك إنني
أبعث لكم بهذه الرسالة وبها بعض
الأمنيات ولا أقول اقتراحات ،
حيث إنكم أكبر من ذلك .

إن عصرنا الحاضر يفتقر
للثقافة والمعرفة المركزة حيث طفنت
الماديات في وقتنا الحاضر على كل
شيء ، وأصبح جيلنا كسولاً يرغب
في السهل ونشأنا تكاد تبني على
القشور دون اللباب . وشباب هذا
الجيل ولا أقصدهم جميعاً بل
أكثرهم ثقافته سطحية ، لذا أتمنى
أن نحظى منكم في كل عدد
وبصورة دائمة على تحقيقات عن
مدينة أو قرية من وطننا
الحبيب المملكة العربية
السعودية ، وأخص بالذكر
تلك القرى والمدن الصغيرة
التي لا نعرف عنها شيئاً إلا
اسمها فقط على الخريطة .

واعتقد لو صدف وعمل بحثاً
على معظم شبابنا لما عرف أكثر
من أصابع يده عن مدن وقرى
وطنه الكبير . واعتقد أن المدن
العربية التي نكتبون عنها أحياناً قد
أشبعها بحثاً مجالات عديدة مثل :
العربي ، ومنار الإسلام وغيرها .

أكرر رجائي أن تتكرموا
وتعملوا على زيادة معلوماتنا بأمثال
هذه الاستطلاعات التي تظهر في
باب « مدينة وتاريخ » بأن تكون في
كل عدد عن مدينة أو قرية في
بلادنا الواسعة وبصورة رسمية .

ختاماً تحياتي أكررها ودعوات
لكم بالتوفيق .

القارئ
حسن علي بنجر
جدة

● **المجلة :** نشكر للأخ حسن
بنجر رسالته ، ومشاعره الرقيقة ،
كما نشكر له ملاحظته . ونود أن
نقول له إن المجلة قدمت عدداً
لا بأس به من مدن المملكة مثل
(مكة المكرمة ، المدينة المنورة ،
الرياض ، حائل ، جيزان ،
فرسان ، جدة ، الدرعية ، شقراء)
وفي المستقبل القريب إن شاء الله
سوف نطالع استطلاعات عن
(عنيزة ، وبريدة ، وصبياء ،
وأبوعريش ، والنفوس ،
والأحساء ، وينبع . . وغيرها) . .
وكما تلاحظ أننا لم نهمل مدن
المملكة وحواضرها وقدمنا خلال
الأربعة أعوام تسع مدن . . ولو
عرفت المشاق التي نعانينا أثناء
الكتابة عن مدينة من مدن
المملكة ، وذلك لقلة عدد المراجع
والمصادر ، ومع ذلك فهذا لا يعفينا
على الإطلاق من مواصلة البحث ،
وتقديم بقية المدن بحول الله تعالى
وقوته .

أما بالنسبة للمدن العربية
والإسلامية التي نشرنا عنها فهذا
جزء من واجب ومخطط المجلة ،
ذلك لأن على المجلة ، وهي توزع
في كل العالم العربي ، واجب
التعريف بمدنه ، فكما أنك تحرص
على التعرف على مدن المملكة فإن

غيرك من الإخوان العرب ، وهم
جانب كبير من قراء المجلة ، يهمهم
التعرف على مدنها . والطريق
أماناً طويل ، وحافل بالمتاعب ،
والمشاق ، لكن إيماننا بالله
المصحوب بالتصميم والإخلاص
هذه العوامل سوف تسهل لنا كثيراً
من المتاعب والمشاق ، وما ذلك
على الله يعزى ، والله الموفق . . مع
عميق تحياتنا .

سامراء

أود أن أتقدم بملاحظة حول ما
ورد في موضوع تاريخ المدينة المنورة
ضمن العدد الخامس من مجلتكم
الغراء صفحة ١٢٧ تحت عنوان :
سامراء - فربما (سر كل منهم
برؤيتها) أي جنود المعتصم ، وعليه
فقد شاعت عبارة (سر من رأى)
إشارة لهذه المدينة ، لكن ليس
بالصحيح أن هذه العبارة تحولت
إلى سامراء فيما بعد ، فقد أثبتت
الدراسات التاريخية الحديثة في علم
الآثار أن اسم هذه المدينة كان
(سامارا) وذلك ضمن النقوش
المتعددة .

وعليه فتسمية سامراء قديمة ،
ومعروفة قبل أن يشيد جنود
المعتصم قريها أول حجر . كما أن
العرب لم يعرف عنهم أنهم أطلقوا
خلال تاريخهم هذه العبارات
الطويلة على مدنها وقراهم كتسمية
ها .

راشد كم نقش
دمشق - سورية

المكتشفات .. والمسابقة

أتمنى من المجلة أن تولي عنايتها إلى جانب هام وهو جانب تقني رغم أنني أعرف أنها ليست مختصة في هذا المجال، فلا بأس أن تخصص مجلة «الفصل» بعض السوريات لبعض المكتشفات وأعني بذلك:

تعريف تقني تسلسلي لبعض المخترعات، مثلاً الراديو، كثير منا يعرف كيف يفتح الراديو وكيف يغلقه... لكن لا يعرف كيف يصله الصوت.

السيارة مثلاً: كيف تسير؟

كل ما أعرفه أن هناك محركات وضغط أي كلمات مقطعة، مريشة...

إن تخصص المجلة ورقتين لهذا الموضوع على الأقل ستعم الفائدة للجميع فالكبير سيحكي للصغير وبذلك يستفيد.

هذه الفكرة هي حية ورائعة إذا طبقت، لنرى مثلاً كيف العالم الأميركي Adison اخترع واكتشف، كان ذلك بعد أن طرد من مدرسته فأخذ يطالع الجلات التقنية البسيطة جداً وساعده أبوه وأمه، فأصبحت الآن أميركا = أديسون كما يقال.

أيتها المجلة العزيزة إن كل ما أكتبه لكم نابع من الأعماق، أريد أن يستعيد العرب مجدهم كما يريد أي عربي، فانشروا التقنيات وكيفية سيرها لا بسرمد تاريخي عن

كيفية صنعها لأننا هنا لا نجني أي فائدة.

طبقوا هذا الطلب العزيز وسنرى النتائج. وهنا أذكركم ما قاله أحد الكتاب الغربيين: «إن ما ينقص العرب هي المعلومات». فبالله لا نخبوا أملي، لأنه كما قلت نابع من القلب.

فيصل المصمودي

صفاقص - تونس

● المجلة:

لو راجعت بعض أعداد المجلة اعتباراً من العدد الأول السنة الثانية لوجدت ما نوهت عنه، فقد كتبنا عن عدد من المخترعات وكيف تعمل تحت باب «الإنسان والعلم»، هذا إلى جانب الدراسات العلمية المتفرقة في كل عدد من أعداد المجلة.

اللغة الأوغارية

بينما كنت أتصفح العدد ٣٩ من مجلة الفصل فوجئت بمقال الأستاذ إحسان جعفر بعنوان «اللغة الأوغارية أقدم لغة مؤبجة وصلة كاملة بالعربية».

ولما كنت من المهتمين بالأوغارية وعلاقتها ببعض اللغات (السامية) مع التحفظ في إطلاق هذه التسمية التوراتية، فقد استبشرت خيراً وتوقعت جديداً، فإذا بي أكتشف أن الأستاذ كان قد نشر نفس المقال بمجلة «آفاق

عربية - العراق - العدد ٤ السنة الخامسة يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ م، وبغنوان «لغة أوغاريت الكنعانية أقرب لغة سامية إلى العربية».

ولست أدري كيف فات المقال عليكم وأفلت ليجد طريقه إلى صفحات الفصل التي عودتنا إضافة كل جديد وأصيل.

وتقبلوا وافر تحياتي والله

الموفق.

محمود أحمد لوبينيت

● المجلة:

نشر نص رسالة الأخ محمود أحمد لوبينيت، وهي حقيقة تعكس بعض ما نعانیه من ظاهرة تكرار نشر المواضيع في أكثر من مجلة، وفي الوقت الذي نأسف لانتشار هذه الظاهرة لا ندعي القدرة على إدراك مثل هذه الظاهرة فهل يساعدنا الكتاب أنفسهم بالقضاء على هذه الظاهرة؟ ونشكر لالأخ محمود ملاحظته.

ملاحظات

●● لي ملاحظة أود أن أحمس بها. فقد ورد في العدد (٣٣) عدد ربيع الأول ١٤٠٠ هـ، فبراير (شباط) ١٩٨٠ م (السنة الثالثة) ص ٨٤، في باب (رحلة في كتاب) العمود ٢، السطر ٢:

«فاسألوا أهل العلم إن كنتم لا تعلمون» (سورة النحل

آية ٤٣)، (سورة الأنبياء آية ٧) والحقيقة أن الصواب:

«فاسألوا أهل الذكر

إن كنتم لا تعلمون» سواء في السورتين. أرجو أن لا يكون الرد... إنه خطأ مطبعي والكمال لله وحده.

لا تغضب مني، ولكنها غير دينية، فنحن بحق من قراء مجلة (الفصل) منذ العدد الأول حتى العدد الذي بين أيدينا

وأحيط علم سيادتكم بأن للمجلة هنا في محافظة أسبوط شعبية كبيرة، وأسوق إليكم على سبيل المثال لا الحصر، أننا مجموعة والحمد لله لا يفوتنا عدد من (الفصل)، وعندما لا نجدها في محافظة أسبوط نرسل في طلبها من المحافظات المجاورة، وبعد وصول العدد لأيدينا يحدث التخصص، فثنا من هو مختص بباب (مدينة وتاريخ)، وثنا من هو مختص بباب (رحلة في كتاب) وهكذا. وكلما استجد باب في المجلة نضيف إلى مجموعتنا فرداً جديداً لهذا الباب الجديد.

وفي الختام جل من لا يسهو والكمال لله وحده.

فتححي محمد العقر

محافظة أسبوط - مصر

● المجلة:

غيرتلك الدينية وسنعمل جاهدين على عدم تكرار مثل هذا الخطأ الذي وقع بكل أسف في آية من آيات كتاب الله العزيز.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .
وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

قال جعفر الصادق : « لا تفتش على عيب الصديق ، فتبقى بلا صديق » .. وفي هذا المعنى قال شاعر :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل صديقك إنه

.....

أ - ما اسم هذا الشاعر؟

ب - أكمل البيت الثاني .

السؤال الثاني :

ما اسم أول من صور طلبة الرصاص .. وهي تسير في الهواء من بين الأسماء التالية :
(الأميرال الفرنسي بيير لافونست - العالم التمسائي أرنت ماخ - المارشال فوش - الطيار الروسي باورز) .

السؤال الثالث :

اشتهر بعض الأدباء والشعراء العرب باللقاب شاعت في الأوساط الأدبية العربية .. من هؤلاء :
طه حسين (عميد الأدب العربي) - أحمد شوقي (أمير الشعراء) - الأمير عبد الله الفيصل (محروم) - زكي مبارك (الدكاترة) - أحمد رامي (شاعر الشباب) .
كيف خلعت عليهم هذه الألقاب ؟ اذكر الأسباب .

السؤال الرابع :

متى أعلن « الإعلان العالمي لحقوق الإنسان » عالمياً ؟
(١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩١٥ م - ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ م - ٣ يوليو (تموز) ١٩٥٠ م - ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ م - ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٨ م - ١٥ مارس (آذار) ١٩٤٩ م) اختر أحد هذه التواريخ .

السؤال الخامس :

قال الشاعر :

نأويه طيف بذات الحرائم

فنام رفيقاه ، وليس بناثم

اذكر اسم الشاعر .. واسم الذي عناه الشاعر .

قسمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٦٠)

الاسم :
المهنة :
العنوان :
.....

● نتائج مسابقة العدد (٥٣) ●

بدوي جلال .
● من الجزائر، - 26 - أصلاحي الطاهر، قسنطينة، الأخ فطيط حسين بن رابع ابن بوزيد .
● من اليمن - صنعاء، وزارة الداخلية، إدارة العلاقات العامة، ص . ب . (٤٤٩) الأخ عبد الخالق عبدالله الأكوع .
● من المغرب - عمالة أكادير، مدرسة المل، مكتب إيموزار إذاوقنان، الأخ محمد مبارك الأنيسي .
● من الرياض، مشروع مياه الرياض بالملز، الأخ عبدالرحمن صالح المهنا .
● من مصر - الإسكندرية، مطار النهضة، عزبة منسي شارع (٤) منزل أبو سمير، الأخ مجدي صلاح عبد المجيد قنديل .
● من مصر - محافظة الدقهلية، طلخا - ١٩ - حارة العواد المتفرعة من شارع مدرسة البنات، الأخ علي إبراهيم إبراهيم مصطفى العواد .
● من الكويت - نيطان، ثانوية أنس بن مالك، الأخ عدنان حسن عبدالرحمن صالح .
● من العراق، بغداد، ص . ب . (١١٢٢) الأخ مجدي السعيد عوض كشك .

القوسمة، ص . ب . (٣٨٤٠٣)، الأخ محمود حسن محمد رباح .
● من قطر - الدوحة، وزارة التربية والتعليم، ص . ب . (٨٠) مدرسة الخليج العربي، الأخ عدنان محمد أسعد الشحري .
● من عمان - مطرح، ص . ب . (٧٢٩٩)، الأخ مهدي محمد عبد الخالق محمد .
● من الدمام، ص . ب . (٥٦٥)، الأخ إبراهيم عبد اللطيف محمود نصار .
● من سورية - دمشق، الأخت جيهان أحمد حمودة .
● من سورية - دمشق، مزة، أنوستراد مقابل صالة الجلاء الرياضية، رقم المبنى (٥٥) طابق أرضي، الأخ زاهر مرعي حوراني .
بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :
● من السودان - بورنسودان، وزارة الأشغال، الأخ عبدالله عمر محمد .
● من المغرب - مكناس، برج مولاي عمر، مجموعة - 11 - رقم - 558 - الأخ

● ناز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ عدنان ياسين الشيخ ياسين الحداد، بيروت - لبنان، كورنيش المزرعة، قرب مستشفى البربر، مكتبة الحرش بواسطة السيد محمد عز الدين .
● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ مصطفى عبد المجيد سليمان، وزارة التشييد والأشغال العامة، ص . ب . (٣٠٠) الخرطوم - السودان .
● وفاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ إبراهيم مصطفى عبد الرحمن، ص . ب . (٢٦١٣٩) المنامة - البحرين .
وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :
● من الإمارات العربية المتحدة، العين، مكتب وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ص . ب . (١٤٠٥)، الأخ عبد العزيز عبد القادر الرئيس .
● من الأردن - عمان، مكتب بريد

● أجوبة مسابقة العدد (٥٣) ●

قصائد في زمن السفر : شعر أحمد صالح الصالح (مسافر) .
معركة بلا راية : شعر د . غازي القصيبي .
ج ٤ دناتير شاعرة عباسية، كانت مولاة محمد بن كناسة الشاعر العباسي المعروف، وكان له صديق يكنى أبا « الشعثاء » يعرض دائماً بهذه الشاعرة، ويظهر حبه لها حين يسمع غناها . . من ضمن قصيدة لها قالت :
زارني منه كلام صائب ووسيلات المحبين الكلام
ج ٥ زحل أحد كواكب المجموعة الشمسية يبعد عن الأرض حوالي (١٦٠٠) مليون كلم يدور حول نفسه، يبلغ يومه ١٠ ساعات و ١٤ دقيقة، حجمه يعادل حوالي ٨٠٠ مرة حجم الأرض .

ج ١ اهفوف إحدى مدن المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وسميت باهفوف لتهافت الناس عليها ورغبتهم في سكنها، لكونها - كما قال المؤرخ ابن عبد القادر - عاصمة الأحساء . . ومدينة التجارة والبيع والشراء والأخذ والعطاء .
ج ٢ عقبة بن نافع أحد قادة المسلمين الذين فتحوا شمال إفريقيا . . أسس مدينة القيروان في تونس، وبنى جامع المعروف باسمه إلى اليوم، من أقواله : « والله، لو عرفت وراء هذا البحر أرضاً لمضيت إليها مجاهداً في سبيل الله » .
ج ٣ وحي الحرمان : شعر محروم الأمير عبدالله الفيصل .
أغنيات لبلاوي : شعر سعد البواردي .

Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SI

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	\$	5

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

Personal Subscription : S.R. 150

Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

المملكة العربية السعودية	٨	ريالات
الكويت	٦٠٠	فلس
الامارات العربية المتحدة	٧	دراهم
قطر	٦	ريالات
البحرين	٥٠٠	فلس
سلطنة عمان	٦٠٠	بسة
الأردن	٤٠٠	فلس
ج. ع. . اليمنية	٦	ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠	فلس
مصر	٣٠٠	مليم
السودان	٣٠٠	مليم
المغرب	٥	دراهم
تونس	٥٠٠	مليم
الجزائر	٥	دنانير
العراق	٤٠٠	فلس
سورية	٥	ليرات
لبنان	٥	ليرات
ليبيا	٨٠٠	درهم

[illegible]

استياد (إعلان)

تنهاية

للإعلان والعلاقات العامة،
وأبحاث التسويق